

لدراسة أثر الفقه الإسلامي في لبنان في القرن التاسع عشر

أما ملخصه فهو دراسة أثر الفقه الإسلامي في لبنان في القرن التاسع عشر

المقدمة

١ - أهمية الموضوع :

ما جعلني أسعى حثيثا لاختيار البحث اللغوي في لبنان في القرن التاسع عشر ، موضوع تخصص عال ، في العلوم اللغوية ، ما يعثر حاضرا ثقافتنا اللغوية من لبس وتحمية يذهبسان بالقارئ العربي عامة واللبناني خاصة مذهبا عاثرا . أما الليس فنناد عن اعتماد قرائنا على مؤلفات أو مقالات لكتاب توزعتهم الأشواء ، وانداحت لبعضهم على أرض التعمص فتناقفوا من أسباب الحق ، ووافقوا يقيمون من الأرجح والمحتمل والتخمين شرعة ومنها لكل بحث آت .

أما التعمية فمردها الى ما شاب أبحاثنا اللغوية من أشواء طائفية حجبت عن القارئ موضوعات خطيرة أو حقائق لا يمكن - بأي عذر - رد انبثاقها .

وخير دليل على ما ذهب اليه ، مايرين على انتاج مؤلف ضخم كأحمد فارس السدياق مثلا حيث بقيت مؤلفاته الى يومنا هذا طي النسيان والفحلة في البراج الثانوية والجامعية على حد سواء ، وما ذلك الا لكونه مسيحيا (عاقا) ، فهو ماروني الأصل ، ثم صار بروتستانتيا (انجيليا) ، ثم اعتم بالاسلام دينا وفكرا ومعتقدا .

هذه الصورة الدينية لم تحظ بحطف القيين على مناهجنا التربوية ، مما عجم الكتب من حق تعرف الناس عليه ، وحق القارئ من التعرف اليه .

من هذه الجهة ، نكون قد رددنا في بحثنا هذا جانبا منصيا ، فبيناه .

وتكون قد وضعنا للقارئ العربي ، واللبناني خاصة ، ملاح رأي جديد ، كثر سرا ما حاولنا فيه الاعتماد عن الهوى والميل المذهبي . ايماننا منا بموضوعية البحث ، وتنزهها ،

ابتغاء معرفة بعيدة عن شئون الذات .

ومن جهة ثانية أخذنا بأسباب التطور المرحلي للسياسة وأحداثها المتعاقبة في القرن الماضي ، وما شهدته المنطقة من اضطرابات دامية ، كثيرا ما عصفت بأمن لبنان واستقراره وجعلت منه ريشة في صهب ربح عتس . ثم تناولنا الاطار الثقافي محددتين ملامح التطور الفكري والديني ، ومآثران من ثم للحياة الاجتماعية والاقتصادية من أثر فعال في ذلك كله .

هذا في الباب الأول من البحث .

أما الباب الثاني فخصصناه لملائق اللغة بالمجتمع من خلال المدرسة والكتاب والمعلم والمنهج التربوي . حيث رصدنا بحثا خاصا للرساليات الأجنبية ودورها في تنوير ملامح المجتمع والفكر عند الانمان العربي عامة ، واللبناني خاصة . جاعلين من التبشير خداة عملية انتهقت عن التخطيط الذي قام بوضعه المستشرقون .

لذا رأينا أن نغرد بحثا مقتضيا لبحث شئون الاستعراق من خلال قضية أثره على التبشير

في لبنان فقط . دون أن نتطرق الى تفاصيل ذلك ، وهو ما يخرجنا عن غايتنا في البحث الذي نريد . هذا ، وقد جعلنا لما أصاب اللغة من ازدي واجية ، سريانية وعربية حيننا ، وعربية وفرنسية أو انكليزية حيننا آخر ، فصلا قائما بذاته ، أفسحنا فيه المجال لظهور صفحة جديدة تصور ذلك الصراع الخفي الذي عانته اللغة العربية في القرن الماضي .

وقد جعلنا علاقة اللغة العربية بالمجتمع حجر الرحى في كل ما ذهبنا اليه

ابتغاء تحديد ملامح التطور المعاصر .

أما الباب الثالث فقد تناولنا فيه جوهر القضية التي نبحث جاعلين منه فصلا ثانوية توزعت على البحث اللغوي بكل علومه . فقد رصدنا اتجاهات الدرس اللغوي مبينين ملامح مساره المعاصر عند كل من أحمد فارس الشدياق وجرجي زيدان وأبراهيم اليازجي وسواهم مبتدئين بما كان من اعتقاد عندهم بالفكرة الصوتية ، ونظرية المحاكاة التي لعبت دورا في نشأة اللغة حسب اعتقادهم ، ثم تناولنا نظرية الثنائية الصوتية في علم الجذور اللغوية ، أو ما دعى بالمضاعف الثنائي عند نجم القرن أحمد فارس الشدياق وذلك في كتابه " سر الليال في القلب والابدال " .

ثم تناولنا طريقة النقد المعجمى عقب دراسة الصوتيات لأن الشدياقى بنى نقده على هذه النظرية . ولما كان البحث يدور فى فلك القضية المعجمية وجدنا من الضرورى اقامة دراسة منهجية لكل المعاجم الصادرة فى القرن الماضى . بدأ بمعجم " محيط المحيط " ، ومختصره " قطر المحيط " لبطرس البستانى . ثم " أقرب الموارد الى فصيح العربية والشوارد " لسعيد الشرتونى . هذا وقد كنا فصلنا الكلام على معجم " سر الليال " ، لأحمد فارس الشدياقى أثناء حديثنا عن النظرية الصوتية والثنائية لجذور اللغة عنده .

وبعد ، جاء الكلام على النقد المعجمى فدرسنا مناهج النقد عند لقويينا مبتدئين بأعمال رشيد الدحداح فى " احكام باب الاعراب " الذى صحح به كتاب " باب الاعراب " لجرمانوس فرحات .

ثم تهاطنا فى الكلام على طريقة الشدياقى فى عمله الكبير وهو " الجاسوس علىسى القاموس " ، حيث انتقد أعمال المعجميين القدامى وعلى رأسهم الفيروززادى صاحب " القاموس المحيط " .

أما ختام البحث فكان لما جاء من نقد جزئى يتناول المادة ومشتقاتها عند الشرتونى فى " ذيل " أقرب موارد .

هذا الأمر جعلنا نخلص الى تسجيل كلمات كثيرة وضعها هؤلاء فى معاجمهم هذه أو أرادوا وضعها . لذا خصصنا الالفاظ المستحدثة وقضية التعريب بمبحث خاص ، بينما فيه أثر النزعة القومية عند هؤلاء الكتاب وما كان عندهم من غيرة على لغتهم وتراثهم .

أما البلاغة فقد ألحقناها بالبحث اللغوى لأنها بقيت ضمن الممثل اللغوى العام عند هؤلاء فى القرن الماضى . غير أنه لم يكتب لأبحاثها أى نجاح فى التصف الاول عن القرن ومن الطبيعى ان لا تبقى الابحاث على انكماشها وجمودها ، فقد بدأت معالم الدرس اللغوى الجاد طريقها الى الظهور فى أوائل العقد الثامن من القرن وما لبثت أن انبثقت ساطعة على يد جهه ضوابط

في كتابي "خواطر الحسان" و "فلسفة البلاغة" . ولعل الكتاب الأخير يشكل حجر الزاوية في كل درس البلاغى الذى نتج عن القرن الماضى . ولانحسبن أن هذا صنيع ضومط لوحد ، فالكتاب جلته مقتبس من الكاتب الانكليزى " هيرت سبنسر " .

أما علومنا النحوية والصرفية فقد غشيها تأليف مدرسى ومنهج تقليدى جعلنا الفكر اللغوى في انحباس وخمول . ورغم محاولات ناصيف اليازجى في أرجوزة "جوف الفراء" فقد بقيت محاولاته بائسة لم تنهض بالمعمل النحوى درجة واحدة . كما أننا تناولنا مادار من مناقشات نحوية أو صرفية كانت تعقب صدور كتاب أو مقال ، كلك المناقشة الحادة التى دارت رحاها بين الشدياق والأسير والأحدب من جهة ، وإبراهيم اليازجى والشرتونى والبستانى من جهة أخرى . وأخيرا ، قمنا بدراسة طرق النقد اللغوى ، ومراحل التطور النقدى العام من خلال بحثنا بالسذات . حيث رصدنا الانتاج الأدبى واللغوى معا ، وربطنا اللغويين حسب مدارسهم فكان هناك تياران يتنازعا اتجاهات النقد ، كثيرا ما كان التيار المحافظ يسيطو على تفكير هؤلاء وأعمالهم مما جعله أكثر الابحاث أجراما تدور في فلك القديم وأساليبه . ولم نترك شوارد هذا النقد اللغوى على حالها ، بل أخذنا بضبطها وفق نسق موحد جزينا عليه منذ مبحثنا الأول . نعى بذلك التناول الأفقى لأعمال اللغويين دون أن نذهب فى دراسة علم واحد أو اثنين أو ثلاثة بل الكل يندرج تحت مدارس عامة وضعنا لها أسماء أو غيرنا بعض أسماء جاء بها باحثون قبلنا .

٢ - بيان مجمل بمراجع البحث وصلتها به :

- تنقسم مراجع البحث الى قسمين رئيسيين : أولهما مؤلفات لغويى القرن أنفسهم .
- والثانى ماجاء من دراسات حول الموضوع .

أما مؤلفات اللغويين فقد صعب علينا كثيرا الحصول عليها وذلك لندرتها أو عدم وجودها أحيانا . واننا لنسجل هنا ما لمكتبة " جامعة بيروت الأمريكية " من فضل في الحصول على هذه الكتب النادرة ككتاب " ارشاد الوري في تخطئة جوف الفراء " للشيخ يوسف الأسير ، وكتاب " رد الشبه للسهم " أيضا . وكتاب " رد السهم عن التصويب " للشيخ ابراهيم الأهدب . و " السهم الصائب " لسعيد الشرتوني . و " لسان غصن لبنان " لشاكر شقير . وغير ذلك من المراجع التي سهل علينا مطالعتها في المكتبة المذكورة .

هذا ونشكر مقدمه موظفو مكتبة " جامعة بيروت العربية " ، وموظفو " دار الكتب الوطنية " من خدمات جلي ورعاية مثلى .

أما الكتب التي عالجت شيئا من أبحاثنا فقد توفرت ، ووجدنا فيها قبس هداية استنرنا كثيرا بها . نخص بالذكر كتاب الدكتور / محمد أحمد خلف الله عن أحمد فارس الشدياق ، وكتاب الدكتور / حسين نصار " المعجم المرسي " .

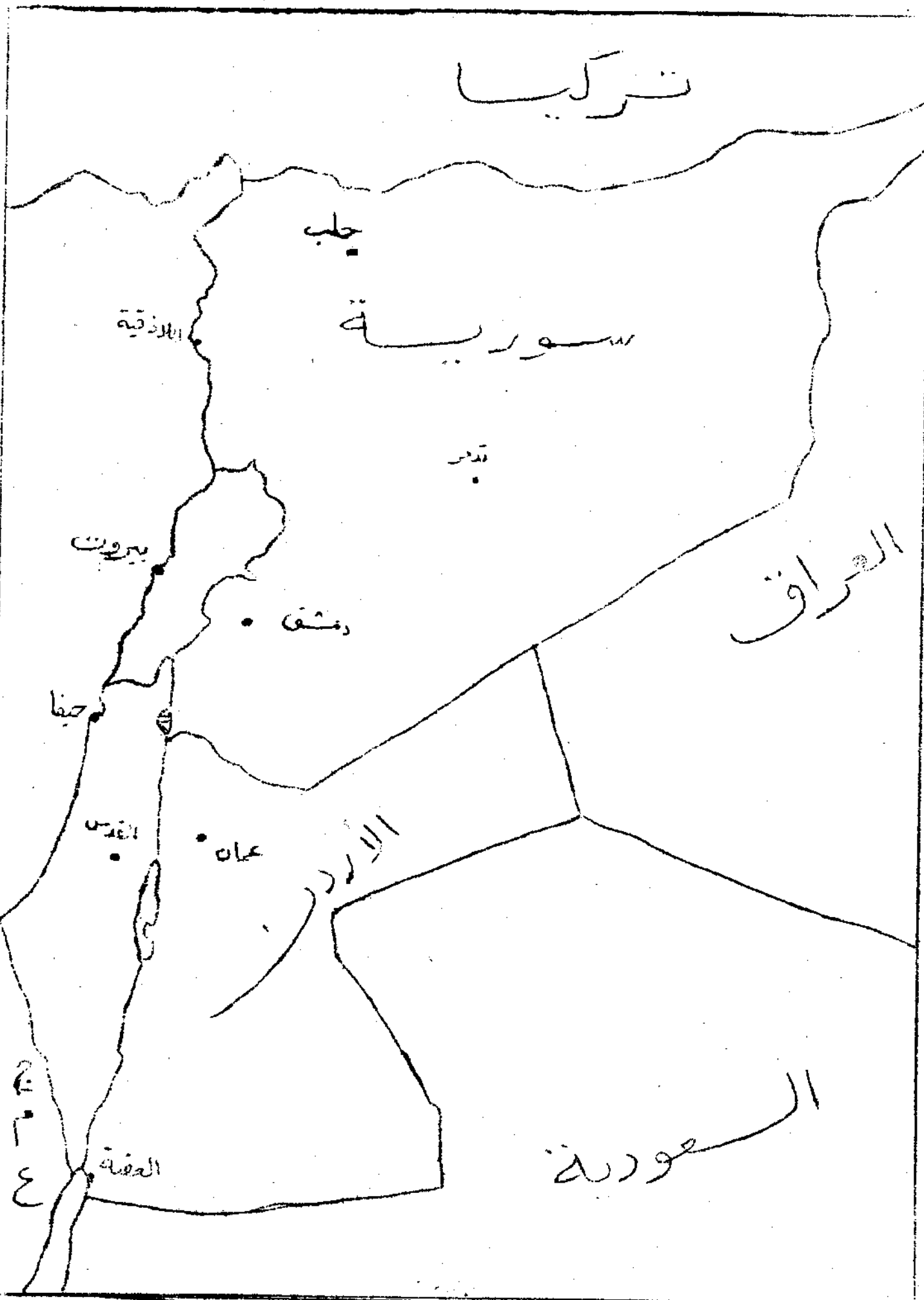
هذا وقد وقمت أيدينا على مجالات كثيرة تناولت بعض القضايا المهمة كمجلة المجمع العلمي بدمشق والمجمع اللغوي في القاهرة وبغداد .

وأخيرا ، لا يسعنا الا تقديم وافر الشكر والامتنان لسيادة الدكتور ، الفاضل ، العلامة حسن ظاظا لما قام به من رعاية وخدمة أهوية لهذا البحث .

فعمى أن يكون هذا الكتاب أول زهرة نقدتها لصنيعه وأياديه البيضاء .

بيروت في : ١٢ أيار (مايو) ١٩٧٢ م

الجمعة في ٣٠ ربيع الأول ١٣٩٢ هجرية



الفصل الأول

الحياة السياسية

لبنان مذ كان :

كرة ضربت بصوالجة فتلقها رجل رجل

أو ((صخرة حطمتها الطبيعة على طريق الشعوب المتوثبة الى الفتح (1))) حتى كان يمر كل عابر ملكا كان أو قائدا ، أن يتسلق تلك الصخرة ، وأن يحتال لمروره بكل وسيلة ، اما واعدة واما متوعدة . الخاية هي المرور ، فالوصول الى عدوه عبر لبنان .

وما القرون السابقة لمرحلة القرن التاسع عشر الا صفحة من تلك الصفحات التي

تؤلف هذا السفر الكبير .

وعلى احدى هذه الصفحات خط انتصار الشماليين عام 1516 في مرج دابق ، ودخل لبنان تحت نفوذ بني عثمان عقب ذلك الانتصار العسكري . وما الامر هذا بجلال ، انما الامر ، أمر ما نتج عن انقسام الامراء في لبنان ، فعلمهم من أيد المماليك ، وظل ولائه لهم ، كالأمراء التنوحيين ، ومنهم من تعاون مع السلطان العثماني الوافد ، كالأمراء المنيعيين . ومنهم من حاول الاستقلال الذاتي ، كأمراء حبل عامل .

ثم ما كان من اضطراب وفتن وكرامية نجمت عن هذا الانقسام . والقرن التاسع عشر

كليلة النحاس ، خصب تحبل فيه العقول بالاحلام والاماني فتلد العجائب والشرائب .

أما توزيعنا للأحداث السياسية ، فرباعي المراحل ، ندرجها في طورين رئيسيين •

— الطور الأول : يتألف من مرحلتين : — الأمير بشير الشهابي

(١٧١٨ — ١٨٤٠)

— الحروب الأهلية —

• (١٨٤٠ — ١٨٦٠)

— الطور الثاني : يتألف من مرحلتين : — الفتنة الأهلية —

(١٨٦٠)

— دلام المتصرفية —

(١٨٦١ — ١٩١٥)

الطور الأول :

— أ — مرحلة الأمير بشير الشهابي (١٧٨٨ — ١٨٤٠ م) :

لم يكن القرن التاسع عشر ، قرن فتور أو خمول ، أو مجموعة حوادث قصار شاحبات تملوه ، كتلك التي طلت القرون السابقة له • بل كان قرن التغيير والتحول ، والحوادث الجسام التي هزت بوقتها أركان عواصم الدنيا • جاغة البلاد في انقلاب جذري ، يأخذها إلى حيز من الجلاء ووضع الرؤيا ، وارعاضات ثقافية ، ما نديها لاستقبال حياة اختمرت في رحمها بذور انبعاث وتجدد واحياء فكري ، سرعان ما حرك جمود الانسان ، في المنطقة ، وصهد السبيل لنهضة بزغت شمسها من كوى الخلف ، مبددة سحيف الليل الصفيفة ، وندوب الصنيع الحناري •

والتي

والتي ، كان يسمى الر تحديد المفهوم السياسي ككل ، وطبعه بطابع الذات

الحاكمة ، التي تجعل من كل مرافق الحياة ، أجراء تدير بفلكتها ، حتى اذا ما كان

لها ذلك ، رغبته وبانت قهيرة العين •

وأول نموذج من هذا الحكم شخصية الأمير بشير الشهابي الكبير، الذي " كان يتمتع بشخصية قادرة محلثة جعلت منها التجارب قوة تميل إلى البطش والارهاب، كي تجسّل الاستقرار في البلاد سائداً " (١).

هذا وقد غيب نجاح الأمير في الحكم، لأن من اعتقدوا به رجلهم الضعيف ولعل أول هؤلاء كان والي عكا أحمد باشا الجزائر، الذي كانت له اليد المولوية في تنصيب الأمير علي حبل لبنان. وقد اثبت احتكاك الأمير مع غيره، أبه خير وريثه بار لسلفه الأمير فخر الدين المعني الثاني.

ولم لا، والأمير بشير قد احتذى حذوه في تعزيز الحكم، والاستقلال الذاتي والتطلع نحو الولايات المجاورة طمعا في ضمها، وجعلها مناطق نفوذ تتبع الميل سياسيا. ولعل هذا ما جعله يتشدد في حماية الضرائب من الشعب تأميناً للأموال اللازمة، لكن الثورة عصفت بأحلامه بداء، واختلرت عام ١٨٢٠م للفرار إلى حوران. وقد عرفت هذه الثورة بـ " العامة " (٢).

لكنه لم يفقد شيئا من نفوذه وسلطته، بل ربح أكثر بلادته بدمر الدساخر ويتدخل في شؤون سوريا وقلسها، ويشير إليها ناديا، وفي كل من دمشق والرايطة ومهنا رابحا من هذه الخصومات المحلية حينها، فاسرا حينها، حتى دهمته أحداث سياسية عالمية في السنوات العشر الأخيرة من حكمه.

(١) لبنان في التاريخ، فيليب حتي، ص ٥٠٠ - ٥٠١ (بتصرف)

(٢) العامة تعني ثورة يشترك الناس بها عامة.

وقد وثقت هذه الاحداث لبنان " بفنل موقعه بحكم السياسة التي اتبعتها
الامير على مسرح السياسة الدولية موال محاذ الامم مدة ثلاث قرن " (١)

بدأت هذه الاحداث لما قام محمد علي باشا " عام ١٨٣١ " بهشزوتركيا طارا في
فلساين وسيريا فان الامير اختار ان يكون الى جانب محمد علي بحاكم مصر معلقا مصيره
بمصير تلك الحرب • بمقابل هذا ابقى ابراهيم باشا قائد الحطة بادارة الحكومة في
لبنان ، بيد الامير •

في حين جعل من سوريا ولاية تخضع له حكما مركزيا مباشرا ، عمقيا ذلك برفع
الضرائب التي تشدد عبائه في كيفية سدادها من الشعب ، كما واحتكر الفاتح الحديد ،
جميع الموارد الاقتصادية وسخر العمال اللبنانيين في استخراج الفحم والحديد من
المناجم • هذا النهج السياسي الخاطيء ، وضع البلاد في جوارحاي ، جعل القلوب
تضم السوء له ، وباعت الثورة نارا تحت رماد ، سرعان ما تطاير شررها اثر فرض الخدمة
المسكرة على اللبنانيين بالذات •

وقد انتهز الامير بشير فرصة دخول جيش ابراهيم باشا للبنان لينقض على مدافعية
جبل عامل ، ويضمها الى ولايته • الا ان العاطلين " الشيعة " قاموا بعدة ثورات
مسلحة ضد ابراهيم والامير معا فكان اولها ثورة حسين الشبيب الصنبر عام ١٨٢٩ ثم
ثورة حمد البك سنة ١٨٤٠ م • وامتدت الثورة ضد الفاتح الى فلساين عام ١٨٣٤ ممتدا
لهيبتها الى جبل النصيرية في شمال سوريا فحوران ، وما ان بدأ عام ١٨٤٠ حتى كانت
الثورة في جبل عامل تشتعل ضد الفاتح والامير معا بقيادة حمد البك • ثم اندلعت ثورة

(١) لبنان في التاريخ محلي ص ٥١١

عامة في لبنان بأسره ضد الحكم المصري ولم تحدد محاولات الحاكمين ابراهيم والامير بشير
نفسا في تهديئة الثائرين خصوصا وان ابراهيم مكث بوعده حين اصر في بداية عام ١٨٤٠ على
ان يسلم المواربة - وهم فرقة من سبعة آلاف رجل كانوا قد حاربوا مع ابراهيم الدرزي في
حوران - اسلحتهم .

وقد عرفت هذه الشبهة بـ " عامية " ١٨٤٠ بحيث عقد الثائرون - دروز ودياري
وشيعة وسنة - مؤتمرا ناطليا في الثامن من حزيران واتفقوا يمينا عند المذبح في كنيسة
مار الياس على ان يوالوا يدا واحدة .

وقد بحثوا بندا الى اتباعهم ليثوروا ضد الحكم الالم بوتجاهدوا في ما بينهم
" على ان يحاربوا ليستردوا استقلالهم ان يموتوا " (١)

وقد ضايق الثائرون الجيش المصري ، ونهبوا مستودعات المؤن والذخيرة بواسطة موا
مع الحدود في مناوشات لم تلبث ان اتسعت حتى عمت جميع اطراف البلاد . وفي الوقت ذاته ،
كان اسطول يتألف من سفن انكليزية وفرنسية وتركية يهاجم بيروت بالصيناء الذي اتخذه الجيش
المصري قاعدة له ، وينزل الجيوش على شواطئ " جبوتية " (٢)

وفي الناصر من تشرين الأول ١٨٤٠ باستسلم الامير بشير للانكليز وبما استسلام الامير
ينسدل الستار عن حاكم قنسى في سلطته قرابة نصف قرن من الزمن .

(١) لبنان في التاريخ بعثي ص: ٥١٥

(٢) نفس المصدر (ص: ٥١٥) (بتصرف)

ب - فترة الحرب الأهلية : (١٨٤٠ - ١٨٦٠)

تلت ولاية الأمير بشير فترة اضطرابات وقلق، كان من أسبابها زوال الزعامة القوية، ومحاولات التدخل الأجنبية، ورغبة الدولة العثمانية في السيطرة الكلية على لبنان، وانها امتيازاته الاستقلالية .

وذرقن الخلاف بشكل لم يستطع منه الأمير بشير الثالث (١٨٤٠ -

١٨٤٢) تهدئة الأحوال، لما كان به من شخصية ضعيفة، وقلة خبرة .

وما الفتنة الأولى، التي اشتعلت نارها بين الدرزي والنصاري (وتعرفها

الحامة بالحركة الأولى) إلا دليل على فساد حكم هذا الأمير .

وقد أسفرت هذه الفتنة الأولى عن فقدان الثقة بين جزئي سكان البلاد

وذرت الكراهية وعمقت البغضاء . كما أصبحت هذه الفتنة النمط أو النموذج لفتن لاحقة

أشد حولا عنها .

وبعد عزل الأمير النضيف سنة ١٨٤٢، عين الباب العالي لأول مرة واليا

تركيا على لبنان . لكن فشل الحاكم التركي في لأم الصدع الطائفي، وتفاقم الاضطرابات

وأحساس اللبنانيين بضاع امتيازاتهم، حتم على الدولة العثمانية بالاتفاق مع السدول

الأوروبية وضع تدبير جديد يتقضي بتقسيم جبل لبنان الى قائمتين : قائمتين

شمالية للنصاري، ومركزها بكفيا، وقائمة جنوبية درزية مركزها بيت الدين . على

أن يكن عمر نهر البيدر حدا فاصلا بينهما، وكلا القائمتين مسئولان أمام والي صيدا

المقيم في بيروت .

اما جيل كامل ، فقد آل الحكم فيه الى حمد اليك بعد قيامه
الثورة ضد ابراهيم باشا والامير بشير معا عام ١٨٤٠ . وصار الحاكم العام لمنطقة
الساقلين ، ووفاته يخلفه ابن اخيه علي الاسعد (١٨٥٢ - ١٨٦٢) .
وفاته تنشب خلافات بين ابناء علي الصغير حول الحكم ، فيلحق الجيل العاطلي
مباشرة بالحكم العثماني ، ويقضى علي الاستقلال .

ويفضل دلام الداعمية ، وتضطرب احوال البلاد ، وتشتمل الحوادث
الطائفية محمدا في نيسان عام ١٨٤٥ ، ويعقبها اضطرابات اجتماعية عام ١٨٥٨ ،
تادها الفلاحون ضد الاقطاع بزعامة طائيرس شامين .

تلك الثورة التي لم تنته الا بعد تدخل من البطريرك الماروني والقنصل
الفرنسي في بيروت آنذاك .

الطور الثاني : ١٨٦٠

أ - الفتنة الكبرى :

خلعت تلك السنوات الصحاف ، برامها ، سحبا فتنة في سماء العلاقات
بين ابناء الادياف . سبها الدرزي والنصاري . كما زاد التقسيم والقتال والشحنات
والحكم الفاسد حدة الخلاف بين افراد الشعب الواحد ، في حين لعب الاتراك
دور المشجع على هذه الفتنة ، التي اشتملت عام ١٨٥٦ ، اثر قتال صبيين كانسا

يلعبان ، احدهما درزي ، والاخر مسيحي ، في بلدة " بيت مري " فاعتد خصامهما الى الوالدين ، ولم يلبث ان شغل الطائفتين ، وامتدت الحركة من " بيت مري " الى ان شملت جميع المناطق اللبنانية المأهولة بهاتين الطائفتين . ثم امتدت الى دمشق ووادى التيم .

واذا كنا نعثر ان هذه الحادثة هي السبب المباشر لاشعال نار الفتنة ، فما لا شك فيه ، ان اسبابا اخرى غير ما نرى تكمن تحت الرماد ، غذتها الابدى الالهية الأثمة وفتيات هذه الحادثة ، فكانت بمثابة القشة الاخيرة التي قصمت ظهر البعير .

وتعددت الممارك ، وكثرت المضاميا وعم الخراب والدمار وغشي البلاد قحط وتشريد عبيس . كثر الشؤم ندينا على وجه كل لبناني ، وكل ذلك " والجيش التركي العظامي لم يحاول ان يوقف القتال الذي نشب ، بل كان موقفه على تغيير هذا ، فان اساء معاملة البهاريين اللاجئين الى بيروت ودمشق ونهب ما يحظرون من ثياب واموال " (١) .

اما الدول الأوروبية ، فانها لم تحرك ساكنا الا بعد ان تعدد لبنان بدماء الأتوباء ، فعقد مؤتمر دعت اليه فرنسا ضم بريطانيا والنصا وروسيا وروسيا

(١) لبنان في التاريخ ، حتي ، ص ٥٢١

وتركيا تنهيه التدخل لا يقف المذابح وتم انهاء د'ام التقسيم الى قائمتين ،
ووقع في اسطنبول ، على د'ام جديد للحكم في لبنان يعرف بـ " د'ام ١٨٦١ " ،
او " د'ام المتصرفية " . الذي وضع موضع الاختيار مدة ثلاث سنوات ، وبدوانه
نجح بالقيام الى د'ام القائمة ، فعديل عام ١٨٦٤ ، ونال مصولا به السى
دموب الحرب العامة الاولى (١) ، عندما انهاء جمال باشا .

ولكن ذكرت الفترة هذه بيهااتها ، فالناريخ لا ينصر حتى الامير
عبد القادر الجزائري ، الذي حوى في دمشق اكثر من الف مشرد وهارب من القتل ،
مسطرا نبل اخلاقه صفحة مشرقة وحيدة من صفحات تلك الابهام السوداء .

(١) لبنان في التاريخ ، حتى ، ص ٥٢٦

ب - دالام المتصرفية : ١٨٦١ - ١٩١٥

قسم جبل لبنان ، بمقتضى الدالام السابق ، الى سبعة أفضية ،

قضاء الكورة ، البترون ، كسروان ، المتن ، الشوف ، زحلة ، جزين .

وكان على رأس كل قضاء قائمقام يختار من الاكثية التي تمثل

هذا القضاء . وعلى هذا فقد كان توزيع القائمقاميين على النحو التالي :

ثلاثة من الموارنة ، ودرزى واحد ، ومسلم سني ، ومسلم شيعي

وواحد من الروم الارثوذكس ، وواحد من الروم الكاثوليك .

هذا لم يكن لبنان " المتصرفية " في حدوده آنذاك يشمل

البناع ووادي التيم . كما أن بيروت وصيدا فصلتا عنه . وبهذا تكون مواني لبنان

القديمة ، بيروت وصيدا ، وطرابلس ، قد وضعت تحت اشراف الدولة العلية المباشر .

ولم تخل فترة " المتصرفية " من ثورات وقلاقل ، لكنهما

سرعان ما تهدأ بسبب تعيين الحاكم كل خمس سنوات (١)

ويمكننا القول ، ان دالام المتصرفية في لبنان ، له فضل في تنمية

الروح الديمقراطية والوطنية في لبنان لما مرموا برغم جميع العقبات ، حصل امن

(١) لبنان في التاريخ ، حتي ص ٥٢٢

(٢) باستثناء الحاكم الاول ، داود باشا الارمني ، الذي حكم ثمان سنوات .



واستقرار وعدل وحرية في الفكر والقول ، وندام ديمقراطي أكثر من ذي قبل . وتألف
في لبنان مجلس إدارة للإشراف على توزيع الضرائب وطرق جبايتها وامداد المتصرف
بالرأى في الامور الهامة . وتألفت ضابطة من اللبنانيين دون سواهم .

ومارس اللبنانيين حقوقا وطنية طبيعية باشتراكهم في انتخاب شيخو الصلح

قأعضاء المجلس الادارى .

لقد كان لبنان في عهد المتصرفية يتمخضر ليستكمل الكيان اللبناني بحدوده

الحاضرة واستقلاله وسيادته الوطنية وجمهوريةه ذات الدستور الديمقراطي . وشعبه
المتماصك في وحدة وطنية لا انفصام لها (١) .

(١) الفقه الوطنية . . ص، ٢٢٩ .

التشريع لجمهورية لبنان

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

أ - الواقع الاقتصادي :

لم يكن الشعب كله ، يملك أرضه ، أو يجده ، أو نفسه ، كان سلعة وأداة في أيدي الحكام ، وتسلل مراتبهم ، فأدى جندى ينتزع أرض الفلاح أو وسائل الزراعة أو المؤونة ، متى عن له ذلك .

السلطان في عوز دائم الى المال ، يبذله على لذاته وفخامة قصوره ، واتساع حاشيته بأعوانه . وكان المورد النازف دائما هو الشعب .

فإذا اضطر الى المال ، وضع داما ضريبيا جديدا ، أو فرمانا يقضي بوضع بعض الاملاك العامة ، أو الخاصة ، في المزاد ، أو يبيع الرتب والاموسمة لمن طلبها . كل ذلك ، قليل أمام صلافة حباة الضريبة الذي يجمعون الى جانب ما يفرض على الناس في القرى والمدن من ضرائب ، كل ما يقع تحت أيديهم من المؤونة والبذار ، ويبيعون ذلك ، فيدفعوا للوالي أو لئلامير الاتحادي ما فرض ويقتسمون الباقي .

وتفشيت الرشوة تفشيا عظيما ، يرتفع مقدارها بارتفاع مرتبة الموظف فيحكم

الجرى بالاعدام ، ويبيرا المجرم .

وطى في كثير من الأحيان بالقتل والنهب والسلب . يقضي الامير طى من يخالف امره ، او من يظن انه خالف امره ، لدسيمة او رشاية ثم يزعم ان سيقتصر من القاتل فيقتل من يشاء باسم القصر ليتخلص من العناصر التي لا يرضى عنها فلا حرمة لحياة ، ولا مكانة لانسان ، الكل مهدد المصير كل حين ، والعائلات عرضة للجوع والتشريد .

" اما الزراعة - وهي العمل الاقتصادي الرئيسي الذي يتعاطاه اكثرية السكان - فقد كانت على مستوى بدائي ضيق يكفل للفلاح قوته اليومي . اي ان الزراعة لم تكن عملا اقتصاديا من النوع التجاري الذي يكفل للمرء طعامه وارباحا اخرى لسد حاجاته الاخرى . ولكن في سهل البقاع حيث التربة خصبة ، والماء متوفر كان الفلاح يكسب عيشه وعيش عياله " (١) .

وطى هذا فالزراعة متخلفة جدا تعتمد على الوسائل القديمة ، "الرومانية" والاقتصادي يعتبر نفسه مالكا الارض وراثيا من يحمل فيها .

والسخرة وسيلة من وسائل الاستغلال ، تمتد الطرق مونتني التمسير للانبياء ، وتدشأ حدائقهم بسهد انباء الشعب غير المأمور .

وفريق ذلك وتفرض على " المسلمين منهم " الجندية الاجبارية فينتزع من يحطون لاالة عائلاتهم لميموتوا في الحرب او عريا ، او بردا ، دون راتب .

والتجارة نفسها في أيدي الأغنياء وهي خاضعة على كل حال للظروف

السياسية ، والاستغلال موشهنة ذرى الحاكم .

" اما الصناع فكانوا صنّاع قري اي ان اناسهم لم يكن يتعدى استهلاك

اهل قريتهم ، وكان لكل بيت نول يدوي لحياكة ما يحتاجون اليه من الاقمشة . وكانت

علاقتهم التجارية تدرى على اساس الجوار الودي ذاته ، فان لم نقل العائلي ، السدي

كانت تدرى عليه علاقتهم الاجتماعية في القرية . وكانت التجارة والاعمال التجارية

تدرى على اساس شخصي يتميز بالتضامن والثقة " (١)

اما علاقة هؤلاء ، واولئك مع الجند الحكام او الموافين ، فلم تكن الا

صورة سوداء ، قائمة ، لما كانت عليه من اهانة واستغلال فمعظم الواردات تذهب الى

الضرائب او الرجبوب الاقوياء .

ب - الواقع الاجتماعي :

انعكست آثار الاضطرابات السياسية والاقتصادية على الحياة الاجتماعية ،

واثرت فيها بآثار بائت متداخلة كأشاح بؤثر اللون به له تأثيرا كبيرا . ولقد كان

من اثر ذلك على بنية المجتمع ، انه كان في احوط مراتب الوجود في العهد العثماني

خاصة . كما ان الخلل العام اسحب على التركيب البشري وترتب به الطبقي مالى ان

اغزر مبددا يعاني من البؤس والتفقر والحرمان .

(١) لبنان في التاريخ ، حتي ، ص ٥٧٢

الفلحان
ورغم الفجارات زمنية تكتب بمجيء حاكم عادل ، وطني ، فقد زال المجتمع
يشكو من تلك القلاقل السياسية التي عصفت بأمنه واستقراره الاجتماعيين .

أخف الى ذلك كله ، مشكلة البطالة التي عمت غالبية السكان من الفلاحين
والعمال ، حتى صارت مألها عاما . وشكوى الطبقات الكادحة . وهي ان غابت
أحيانا في زراعة الأرض - وهي ملك للاقطاعيين من مقدمين وشيوخ - أو في الاشتغال
بمشاريع حكومية ، تأخذ غالبا ، طابع السخرة المملوكة بشئ الرأب القسوة والتجنسي
فانها سرعان ما تعود مكشورة عن انبائها ، حاصدة الامال في غد افضل . ويقسول
الشدياق ، ابن القرن التاسع عشر شاكيا رقة الحال والبطالة يومها :

" اني أرى جسمي كل يوم في ذبول ، ونفسي في انقباض ، ولو كنت عرفت من قبل
" ما أصير اليه لما سلكت هذه الطريقة . غير ان أبي وامي فقيران ، وخشيا أن أكون
" من ذوى البطالة والتصل . اذ لا صنائع نافعة في بلادنا يمكن للانسان أن
" يتعلمها ويحيش عليها . "

هذا وقد تركت تلك المعالم ، غير المستقرة ، سياسيا ، أصداءها في تركيب
بنية المجتمع . وامتدت أصابعها لتتلاعب في تكوينه اقتصاديا واجتماعيا .

أما التكوين الاجتماعي ، فقد كان مبنيا على الاسر الاقتصادية ، حيث انقسم
المجتمع اللبناني الى طبقات أربع :

أ - طبقة الحكام والامير الاقطاعية :

وهي صاحبة النفوذ في البلاد ، وصاحبة الامر والنهي فكثيرا ما كانت تتمتع بامتيازات تجعلها مستعدة للطبقات الدنيا ، وهي سبب كل فساد ألم بلبنان في ذلك الزمن .

ب - طبقة رجال الدين والكليروس :

وكانت تدعم الطبقة الاولى وتساندها في كل استغلال موارد البلاد وطاقات الشعب . وقد كانت هذه الطبقة أعلم بلاء وأشد خطرا . فقد كان بعض المتمردين يحملون سخطهم على الطبقة الاولى . ويهيبون مطالبين ببعض ما كانوا يرونه من حقوقهم . ولم يكونوا يخشون سوى العقاب الجسدي ، الذي كان يهون احتماله على بعض النفوس الكبيرة .

والوطن يفخر ، أنه في اشد المرات تاريخه كثافة ، لم يخل من متمردين يدعون على المستبدين أحلامهم بالسيادة الناشئة ، ويقتضون عليهم مشاجرتهم الوثيرة .

أما الطبقة الدينية فقد كانت تتمتع بما للأولى من امتيازات أرضية زمنية ، توازرها امتيازات روحية دينية ، وهي اشد وأقوى تحكما في رقاب اللبنانيين الذين كانوا أقرب الى المذاجة والقطرة منهم الى التفجع الخطي ، والاخذ بمفاهيم الفلسفة المنطق ، فكانوا يستجيبون لرغبات رجال الدين التي كانت تذهب من أمرها شططا غريبا دون أن تقف عند حد .

وكثيرا ما كانت هاتان الطبقتان تتساندان لتحقيق غايتهما ، وارهاق الشعب
الذي كان يئن من داء التسخير والضرائب ، والنهب وسواها . . . فتستعين
واحدتها بالآخرى ، فيستخدم الامراء والحكام نفوذ رجال الدين لتسيير امورهم
وكذلك رجال الدين ، يستخدمون السلطة لتنفيذ رغباتهم . والشعب في كلتا
الحالتين مخلوب على امره . متحكمة به " سلسلة من الاستبداد يجررها الحكم المطلق
وراه ، تمتد حلقتها الاولى من استعمل لتتصل بالحلقة الثانية في صيدا أو عكا .
أما الحلقة الثالثة ، ففي دير القمر ويتدين . وهي الكلاية المطبقة على رقاساب
الشعب " (١)

ج - طبقة الجند :

وهي عصا الطبقتين السابقتين ، يلوّحون بها كلما شاموا تمردا ، أو أحسوا
بمعيان . فهي وسيلة التنفيذ والاطمئنان والارهاب المطلقة على النفوس التي باتت
" أرخص متاع في هذا العصر ، حيث الامير أو الوالي يعمد الى ارخاء العنان لخصمه
حتى يجمع ما يجمع من أموال العباد محتر إذا رآه قد سمن واستدارت اليه أرسل
جنده ، لينحرره ويصفوا أمواله ودمه ، ويستولوا على عتاره ويشردوا اولاده ، هذا
إذا لم يقتلهم . أافر لذئاب غور ، والهيل لمن يؤخذ على حين غرة . جند
مرتزقة في عصر اربابي شريعتة القوة والعنف وسنة النهب والقتل " (٢)

(١) صقر لبنان ، طرون عبود ، ص ١٩

(٢) صقر لبنان ، عبود ، ص ١٩ (بتصرف) .

د - طبقة عامالشمب :

كانت هذه الطبقة ، تمثل قاعدة الهرم موطن اكتافها ثقل البناء كله وهي هدف الطبقات الثلاث ، اليه توجه سهامها وتراشئ نبالها • وكسأن الطبيعة كانت تتعاون على ارماق هذه الطبقة التي باتت كبقرة حلوب أو هي على غير غذاء آتتاريب الايدى على سرقتها بمعظم الشعب الا انله يعميش في ظروف بائسة جدا بالعائلة كلها تحيا في غرفة واحدة ، تنقصها كل اسباب النظافة والصحة ، وخاصة في القرى • فالدراب والفلاح وعائلته يحبون في ما يشبهه الزريبة • والغذاء مقصور على اقل المواد نفعا ، وعدم الدراية بتدبير المنزل والجهل المطبق يزيد من الوضع سوءا ، البطالة شاملة بعداد العاطلين عن العمل اكثر بكثير من العاطلين ، مما فتح الباب واسعا امام السرقة ، وقطع الطرق في سبيل العيش •

وكان المجتمع يحطف على قطاع الطرق المشهورين ، فكأنهم المتنفس الوحيد ضد الظلم والقمهر ، والمرض متفش ، فلا اطباء الا الدرة النادرة وحتى في المدن • واذا وجد الطبيب والدواء بعض الاحيان ، لم يكن في مقدور الشعب المريض ان يتداوى لضيق اليد • وقد يطشي وباء كالكوليرا ، فيحصد الارواح حصدا حتى يختفي المرض ذاته بعوامل طبيعية موغر ذلك • والدولة لا تقوم بأى جهد بوكان الامر لا يعنىها •

وكان وضع المرأة ناسوا من وضع الرجل مهما كان وضعه من السوء شهي سلعة ، لا ارادة لها ولا رأى ولا قيمة • يتصرف بها الرجل كما يشاء •

هذا التركيب الاجتماعي الجائر بحق الأسرة القائم على تعاريف الاقطاع السياسي والاقطاع الديني ، وفساد نظام الحماية الذي كانت تتبعه السلطة بوسخير الاهالي ، وارهاق كواهلهم ، جعل اللبنانيين يتطلعون مفتشين عن الخلاص ، الذي لم يجدوه احيانا مالا في الهجرة .

فأخذوا ينزحون فرارا من هذا الظلم المحيق بهم ، طلبا للحرية وتحقيقا لمستوى معيشي لائق .

الهجرة :

وكانت هجرة اللبنانيين تحو منحيين : داخلي وخارجي .

اما الداخلي ، فقد تم اثر نزوح الكثير من اللبنانيين بواسطة اهالي القرى الجبلية وغيرهم ، من انحاء سوريا الى بيروت على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ . وقد احدث هذا النزوح حركة اجتماعية في العاصمة موزاد تدوم الاجانب اليها للتجارة والتبشير في ظل الامتيازات الاجنبية ففكثروا بعد ذلك وانشأوا المدارس على اختلاف اغراضها .

وقد طرأ نتيجة لذلك ، ومن بداية العقد السابع من القرن ، بالتحديد ، تبديل يذكر في المظاهر الاجتماعية اللبنانية ، حيث بدأت طلائع الزحف الاجتماعي من اوربا تتوغل في البلاد ، ومرجعها اولا الى المعاهد الكبرى التي تقنافس على انشائها المرسلين الاجانب ففتحوها في الشرق منافذ على حضارة الغرب واحواله الاجتماعية ، فتنبهت الافكار ، وتطلعت العيون ، وصبت النفوس الى الاعتراف من مناهل ذلك الجديد ، كما اقتنن بذلك بانشاء الصحف ، وتاليف الجمعيات الادبية والعلمية ، وقيام فن التمثيل موافقا لادباء على ترجمة الكتب الاجنبية ، واطلاع الناس على ما في الحرب من اسباب الحضارة . فآثر هذا كله في النفوس الشرقية ، وجلا للبلاد حالا اجتماعية جديدة ، سرعان ما انتشرت في كل البلاد ، واعتنقها اللبنانيون وساروا فيها ، شوطا بعيدا .

— أما المنحى الخارجي للهجرة : فقد استهدف مصر أولا ، وقد بدأت هذه الهجرة تتنظم بشكل جارف ببداية العقد التاسع من القرن الماضي ، حيث ترك الكثير من اللبنانيين ، وجلهم من النصارى ^{مصر} ميممين وجوههم شطر بلاد النيل ، التي استهوتهم لما كان قد بدأ به الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) من تغيرات تتفق مع رغباته في جعل مصر بلدا عصريةا وقد لاقى في السوريين و(اللبنانيين خاصة) خريجي الجامعات والارساليات والذين يتقنون اللغات الأجنبية ، مؤلفين أكفاء

وقد استمر عمل الكثير من هؤلاء المثقفين في المرافق الحكومية والعامية لفترة ما بعد الخديوى اسماعيل . وقد أثرت هذه ، الطبقة تأثيرا بينا في النهضة الثقافية المصرية ، سواء في الصحافة ، أم في الأدب والطب . وتقيمت رحلة هذه الطبقة المثقفة الى مصر ، رحلة التجار وأصحاب الأعمال ، فوجدوا في مصر ، موطننا ثانيا ، وقد شجعهم على هجرتهم هذه ما لاقوه من أخوانهم العرب في مصر من حفاوة وترحيب . وتدل الاحصاءات اللبنانية الرسمية الى أن عدد اللبنانيين في مصر أصبح عام ١٩٠٢ ، حوالي ثلاثين ألف نسمة .

الفصل الثالث

الحياة الثقافية

من أسوأ ما أصاب الشرق العربي من شر لدى وقوه تحت الحكم
العثماني ، هو ذلك الايكماش الفكري ، وتلك العزلة العظيمة التي أبعدته عن
مسارب الثقافات ، وأبعدت عنه تأثيرات التيارات الأجنبية اللازمة لكل نهضة .
فقد كان ذلك الايكماش وتلك العزلة ، استارا كثيفة حالت دون التطيح الفكري
اللازم لكل تقدم وتطور ، مما أدى بالشرق العربي الى شبه سبات جعله في
مؤخرة الركب الحضاري ، بعد أن كان رائدا له منذ قرنين خلت .

غير أن لبنان بفضل موقعه الجغرافي ، وبفضل اتجاهه الى الغرب منذ
العهد الفينيقي الى أيام الامير بشير الثاني ، كان الى حد ما ، أكثر تجاوبا
مع تلك التيارات الفكرية ، وأكثر ميلا الى تقبل الحضارة الأوروبية . ومرد
ذلك ، الى أن الستائر العازلة التي أسدلها الاتراك على لبنان ، كانت أقل
كثافة ، وأكثر شفافية من تلك التي أسدلها على سائر الولايات في العالم العربي .
وعلى الرغم من اتصال لبنان منذ أقدم الأزمنة بأوروبا ، فإن التغيرات الجذرية
في حياته لم تتم الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

أما في مطلع القرن ، فقد كان ، كثيره ، يخط في سبات عميق من الجهل
لانعدام وسائل التعليم فيه ، فلم يكن هناك مدارس تعلم ، أو كتاب يهذب . كما
يجب أن تعلم المدارس أو يهذب الكتاب .

كما ، وليس هناك أمل في وجود ذبيك ^{القسيس} الهاديين ، وأمر عجاب من
أمة باتت من غير مدرسة ، وأمسّت من غير كتاب ، كيف لها أن تبني مجدها ، إن
أمر لا يستطع أهل العصر الحديث تصوره .

أجل فالمستوى الفكري كان منخفضا جدا ، حيث اقتضت أشباه تلك
المدارس ، مسيحية كانت أو إسلامية على التعليم الابتدائي وتدريب الناشئة
(الثقة منهم) على أمور دينية لا تتعدى معرفة الطقوس والقيام بها .

ويمكن أن نعتبر مدارس ذلك الزمان ، لونا من ألوان اجتماع الصبية الضار
في " كتاب " ، أو تحت السديانة ، أو يتحون زاوية في الجامع أو يصدّقون
خدا مستقبها قرب حائط الكنيسة ، وبين أيديهم ورقة الالفبا أو الأبجد ، حتى
إذا ما لقدوا الحرف (١) أهواوا بدل ذلك وريقات الزهور يزجون بها يومهم بتمويجات
لها بوليس المسلمون في كتابهم بأفضل حال ، من اخوانهم المسيحيين ، كل فسي
قراءة سقيمة ، لا تجدى ولا ترفع ضم جهل غش العقول .

كما كانت ندرة الكتب عاملا من عوامل تأخر التنوير الثقافي ، أو جهود على
الأقل بوزل ذلك يرجع الى قلة المهتمين أولا ، وقلة المتابع ثانيا ، التي وان وجدت في
بعض الأديرة ، فان وجودها لا يحدو ندياق عمل بمض النشرات الدينية الخاصة
باندقوس .

" أما الصحف والمجلات العربية فلم يكن لها أدنى وجود قد " (٢) .

(١) رواد النهضة الحديثة ، مارون عبود ، ص ٢٠ (بتصرف) .

(٢) بقظة العرب ، جورج اندونيوس ، (ترجمة الاحسان عباس) ص ١٠١ .

ويقول حتى من ذلك العصر " وكان عدد الكتب المستوردة من الخارج قليل جداً ولم يكن ثمة ترجمات عربية لكتب غربية ذات قيمة ، فلو أن أحد الناس كان يرغب في الحصول على كتاب يبحث قضايا دلبية فقد يقدم له بائع الكتب نسخة من طب ابن سينا . وكذلك لو رغب أحد الناس في اقتناء كتاب في الصرف والنحو لقدم له البائع كتاب سيويه " الكتاب " أو شرح ابن هقيل لآل فيسيه ابن مالك .

أما الكتب الحديثة في العلم الطبيعية، أو من جغرافية البلاد أو تاريخها الحديث فكانت في حكم المعدومة (١) .

ولم تضر الفترة دون سوانح ، أو انفراجات تتم من تمام ثقافي يشع هنا وهناك كذلك التواصل في الدرس الديني واللغوي في مدارس جبل عامل ، التي بقيت تخلق شخصية العاملي في جبله ، حافظاً آياه من أن يغيب في مهامه الاستعداد التركي ، مهية أحياناً علماً يسعون الى جامعة النجف الأشرف ، لاكمال تحصيلهم العالي ، حتى اذا ما رجعوا الى جبلهم ، حفظوا للعلم عهداً ، وحملوا مشعل الهداية في مدارس توهجت في أماكن كثيرة من أرض عاملة ، بمدد شيا من قمة الجهل والفتور .

(١) لبنان في التاريخ ، حتى ، ص ٥٥٩

وهذه الكهنة المارونية ، تبذل بحضر الجهد لايجاد تعليم
أرقى في مدارسها ، جهود ايجابية تمثلت في بحث " فيندوره " التي
كانت معهدا دينيا لتدريب رجال الكهنوت عام ١٧٢٨ ، وفي تجديد مدرسة
" عين ورقة " التي كانت تتبع الدير ، ثم صارتا تعنيان بتشجيع دراسة الادب
العربي واللغة ، مما هيا ظهور أكثر البارزين من الادياب والاساتذة والعلماء
الذين ظهوروا في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، كبنارس البستاني وأحمد
فارس شدياق وكثار غيرهم .

غير أن هذا العطاء الكنسي أو ذاك القيس الحاملي ، أو ما تدّهن
بعض الكتائب ، أو تلك المعارف الالوية في مدارس الدولة العثمانية ، لم يكن
له من القوة الكافية ما يكفل بتبديد الجهل المديق على الامة الا شيئا
قليلا ، فانه لم يقو على الليل ^{الدم} احوالهم ، فاللثة نفسها قد انحدرت وفسدت
وصارت لغة التخاطب مخالفة للاصول الفصيحة ، حتى كادت هذه العامية
تدغى على الفصحى وتفسدها . ويحدثنا جورج اندونيوس عما صارت اليه
البلاد وقتها فيقول ، " وقد بلغ الفساد الذي أصاب اللغة الفصحى في
مطلع القرن التاسع عشر ، مبلغا كبيرا على الأقل في بلاد الشام - وأدى الى
انحطاط ذخير ، وخاصة في لغة النصارى .

وزاد الامر سوءا أن أدب المصور الزاحية قد نسيت ذكرة الناس
واندرس واندرت نماذج البيان الالدي ، وانحس ما كان لهذه الثقافة
العظيمة من أثر روحي (١)

(١) يقظة العرب ، اندونيوس ، ص ١٠٢

أما فن الكتابة ، فقد كان على جانب كبير من الانحطاط والركاكة يتصل
بأساليب عصر الانحطاط وهذا ما جعل ثورة العلماء أمثال الشدياق
والبستاني واليازجيين وشقير والاحدب والشرتوني . . . عارمة في وجه التقليد
والمقلدين ، واصحاب السجع والتكلف اللغوي الذين أماتوا الابداع والتجديد
الفني في الأسلوب .

فالانشاء ، في مطلع القرن الماضي ، سقم لا يجرى على قواعد اللغة
وعلمها ، بل فمه من العامية والردائة الاممجية ما يجعلنا في سأم وملل من
تناول تلك النصوص التي لا يتبين فيها لغة معربة ولا عبارة صحيحة .

وقد ظلت لغة الرسائل الاممية في النصف الاول من القرن الماضي
على ما كانت عليه في القرن السابق " أي الثامن عشر " ، حتى اذا ما كانت
بدايات النصف الثاني من القرن التاسع عشر هذا ، أخذ الانشاء يتحول من
الاسلوب القديم العقيد الى الاسلوب الجديد الحر " المرسل " . وقد
أهان على ذلك ظهور طعنا جدد وانتشار العلم والتجارة والاحتكاك بالعالم
الغربي ، ثم نشوء الصحافة وانتشارها بين طبقات الشعب .

وقد جاء في مقال الطارف نكد ما هو في صدد هذا المعنى ، حيث
يقول : " كانت اللغة حتى عهد (هولاء العلماء بالشدياق والبستاني واليازجي
وغيرهم) في حالة المرير يحتضر ، أفلاذ في الالفاظ مفردة ، وضعف في الجمل
مركبة . وأسلوب سقم ، وتعبير غير مستقيم ، ولا ضابط ولا وازع ، وليس من يرفع
صوته بالتنبيه الى ما وصلت اليه اللغة المريرة من التفكك المفضي الى الانحلال
فالموت " (١) .

(١) مجلة المسرة / السنة ٣٣ - ١٩٤٢ / جز ٦ / ص ٣٧١

في غمرة هذا المجد ، من الجهل والتخلف ، لا يسمعا الا أن نذكر
فضل أملاك كبار رفقوا راية اللغة عاليا ، وبعثوا درسها اللغوي متجددا وأحيوا
تراثها بعد موات كالشدياق والبستاني واليازجيين والاسير والمعلوف وسواهم .
ولهم يرجع الفضل في عودة الجدية الى العباحث اللغوية والادبية والبلاغية ، التي
كفلت للحرية وهلوسها شرف النماء والازدهار ، وأمدتها من الدفع الحضاري ما
جعلها لغة أمة جديرة بالصمود ، ومكبتها من أن تقف وقفة صمود أمام بشاعة
الترك العثماني .

ان ما قلتم به . روآد القرن الماضي ، ليعتبر - بحق - مفخرة يعتر بها قبيح
النهضة وعهد الانبعاث القوي .

هذا ، ولا يخفى ما كان من أثر فعال لوقع الحضارة الغربية في حياتنا
على الدور الذي رافق الفاقة وخاصة لبنان .

ويذهب بعض المؤرخين اللبنانيين الى تعظيم أمر هذا الالتر لوقع الحضارة
الغربية على لبنان ، فيرد أسباب النهضة اليه ، لسبب أو لاخر . يقول حتي مثلا ،
" ان جميع الأحداث والتغيرات التي درأت من سياسية واجتماعية واقتصادية
وروحية وفكرية يمكن ردها مباشرة أو بالوساطة الى هذا العامل (١)

(١) لبنان في التاريخ ، حتي ، ص ٥٥٠

ولعل ما ذهب إليه حتى يعود في كثير من أمره إلى ما قامت به
الارساليات للاجنبية من دور تعليمي ، ساهم في نشر الثقافة والوعي في البلاد .
ولا مندوحة من الاعتراف بأثر هذه البعثات وجهودها الحافزة على ايقاظ
الحياة الفكرية ، وانعاش الثقافة ، وفتح روج التعليم ، بما أنشأت من مدارس في
مناطق متعددة من جبل لبنان والساحل . وبما أصدرته من كتب ومجلات ونشرات .
وبما كان من أمر مداهمها الحديثة ، التي جعلت من الكتاب ، سلعة ، يسيرة التداول
رخيصة للاثمان ، زادت معه حركة النماء في التعليم والثقافة .

كما ساهم خريجو هذه المدارس وخريجو المدارس الوطنية من تحمل الصب
الكبير من العمل الصعب ، والكفاح ضد الجهل والاستعمار ، ففاضلوا في أكثر
من ساح ، جامعين من تراثهم بداية لحركة فكرية شاملة .

وقد امتازت حركتهم بوفرة الأبحاث اللغوية ، واجادة علم كثيرة ، عصرية
مما ساعدتهم على خوض ميادين عديدة في مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية
والثقافية .

وقد نشأ على يد هؤلاء ، من ثم ، جيل ناهض أفاد من حركة ترجمة العلوم
ونشر المؤلفات الحديثة والقديمة ، فأقبل على تدارس الأصول القديمة ، وطوى
الصب من الثقافة العلمية الطارئة بازدياد المعاهد الأجنبية بهمة منقطعة النشور .
وواصل هذا الجيل العمل في بناء أركان النهضة ، جامعا بين الصالح من القديم ،
والنافع من الجديد ، مع ميل إلى الحفاظ على قدمه وتراثه والدفاع عنه . وكان
ثمرة هذا العمل وذاك العطاء مدارس جديدة وطنية ، وانشاء صحف ومجلات ،
والنشر جمعيات أدبية وسياسية ، وحركة نقل للعلوم ووضع المؤلفات وانشاء الأبحاث .
ونذكر من علماء هذا الجيل : بزق الله حسون ، وإبراهيم اليازجي ، وأديب اسحق

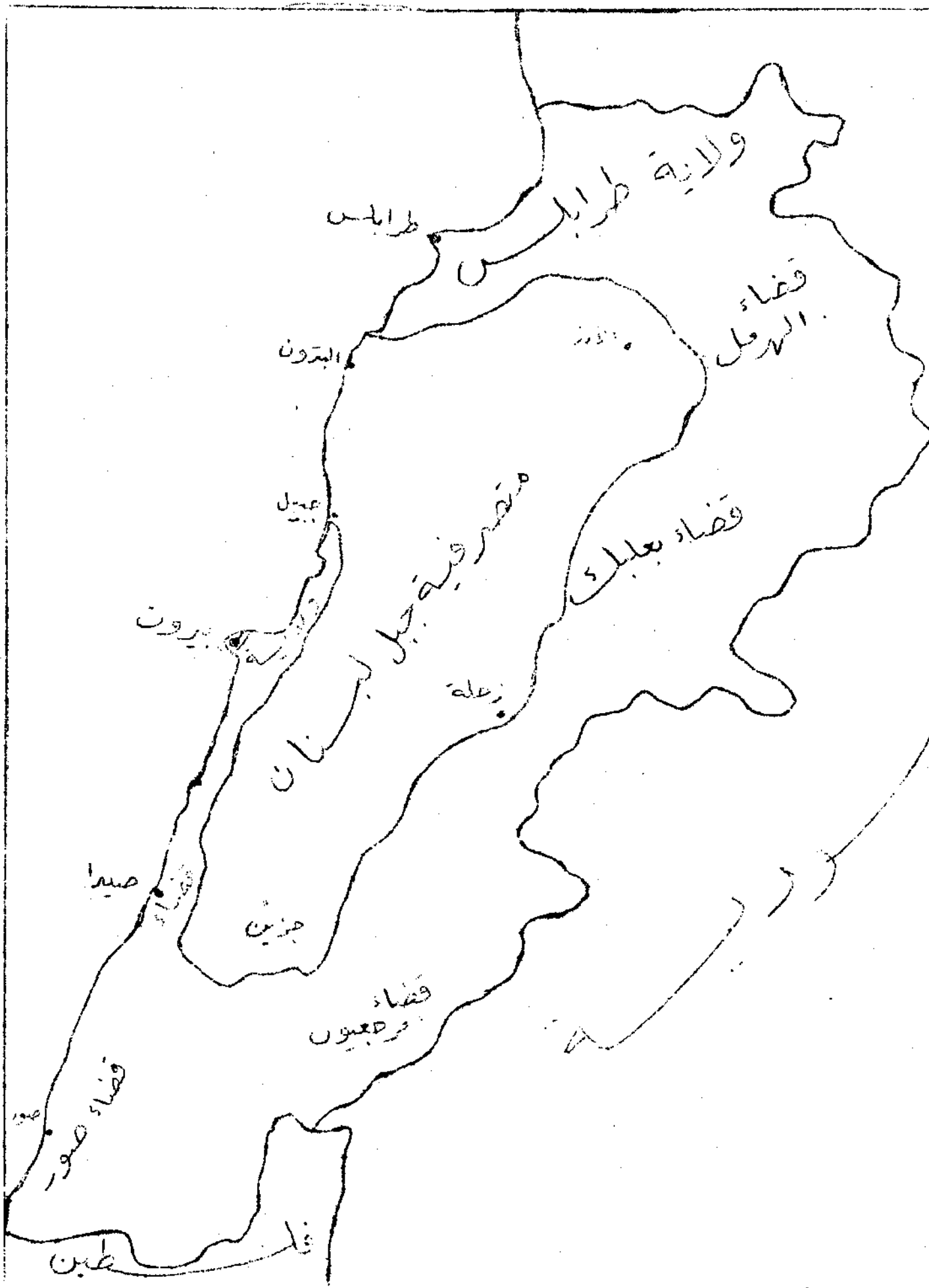
ويحقوق صروف ، وجرجي زيدان

وقد سلك بعد هؤلاء أدباء طرقتوا أبوابا جديدة ، وسلكوا مناهج فريدة
بدأ نشاطهم في أواخر القرن الماضي ، ونضجوا وانتجوا في أوائل القرن العشرين
كسليمان البستاني ، وجبران خليل جبران ، وأمين الريحاني ، وهي زيادة موميخايل

نعيمة •

ولقد كانت جل غاية الرعيل الأول من أعلام هذه النهضة ، متصرفة
الى أحياء التديم ، مما جعله متميزا بالأبحاث اللغوية المعيارية في أغلب
الأحيان على ما سندشهده في الفصول التالية •

الباب الثاني



لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

الفصل الاول

المدارس وازدواجية اللغة

لحل من العسير في شي* ان نقسم نشاط المدارس في لبنان ، خلال هذه المرحلة الى ثلاثة ادوار متعاقبة ، تتصل ببعضها بعضا عن طريق التسبب الزمنية في فترة القرن التاسع عشر ، وفترات ماضية سابقة له .

هذا ، وقد جعلنا البحث في كيفية تناول العلم العربية ، واللغة خاصة حجر الرحي الذي تدور حوله الغاية ، هادفين الى تحديد مراحل النمو التعليمي في تطيق اللغة العربية ، وتحديد صورة العلائق التي مزجت بين العربية وغيرها من اللغات كالسريانية او التركية ، والفرنسية والانكليزية . واثار ذلك كله على حركة الابحاث القومي و احيا التراث في اواخر القرن الماضي وبداية عصر النهضة في القرن الحالي .

اما الادوار الثلاثة التي مرت بها اللغة في المدارس فهي على التوالي :

١ - الدور الاول : (حتى ١٨٢٤)

بيدوان لبنان كان أوفر حظا من غيره في المنطقة العربية ، فقد تهيأت له محاولات اتصال بالعالم الغربي ، وسوانح انفكك من سلطة الحكم العثماني . جعلته اكثر تحررا من سياسة التجهيل التي اعتمدها استعمول خلال خمسة قرون .

كما احدثت رغبة تأسيس المدارس وتخرج الطلبة ابان فتح ابراهيم باشا لسوريا هذا الاحتدام كثيرا ما تمثل في صورة التناقض بين الرسائل التبشيرية في استعمال

الناس الى مدارسها • كل ذلك جعل هذا الوطن الصغير رويدا رويدا
الى معارج من التطور الفكري ، ما لبث ان تفتحت ازميره في النصف الثاني
من القرن التاسع عشر •

ولعل لبنان ، اول وطن عربي ، فهم القومية في العصر الحديث
افتتاحا وعلا ثق فكرية وعضارية يقيمها مع العالم • فهذا اول ساع لديار
الغرب ، بطلابه (الموارنة) الذين قصدوا مدرسة رومة المارونية في
القرن السابع عشر • وكان من أبرز الطلاب الذين عادوا الى وطنهم لبنان
ومن ألمهم (اسطفان الدويهي ١٦٣٠ - ١٧٠٤) الذي تسلم أرفع
الرتب الاكليريكية في **لبنانه** ، وألف الكثير من الكتب (١) .

" والاب بطرس مبارك القوسطاوري الذي حذق سبع لغات ، والذي انشأ
اول مدرسة في لبنان • انشأ مدرسة عينطورة ، ثم وكل تدبير شؤونها
الى الالباء اليسوعيين سنة ١٦٥٢ م (٢) •

" وكان من جملة الامة البارزين الذين نالوا في أوروبا يعطون وينشؤون
المخطوطات ويكتيبون وينتجون الصهيوني والحافلي والسماحي •

(١) لبنان في التاريخ ، حتي ، ص ٤٨٨

(٢) صدر لبنان ، عبود ، ص ٥١

" وقد كان هو "العلماء اللبنانيون مزدوجي اللغة ، فانهم كانوا يحرفون ويتكلمون
اللغتين معا السريانية والعربية " (١) .

فجبرائيل الصهيوني (١٥٧٧ - ١٦٤٨) " ترجم الى الطليانية سنة ١٦١٩
" كتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والافاق " للشريف الادريسي " (٢) .
" وقد نشر أيضا التوراة بلغات متعددة ، ومن جعلتها الترجمة السريانية والترجمة
العربية ، كما ألف كتابا في قواعد اللغة العربية يعد من أقدم كتب القواعديين
من نوعه " (٣)

" كانخ السعاني ١٦٨٧-١٧٩٨ في سنة ١٧٣٧ الذي اطلق عليه البابا لقب
" معلم البلاط الرسولي " (٤) .

" واليه يعود الفضل في جعل مكتبة الفاتيكان التي كان نا اربما ومديرها أغلى
وأعلم مكتبة في العالم بالمخطوطات الشرقية . وقد قام بسفرين الى الشرق
طلبا للمخطوطات كما ضمن أبحاثه ودراساته لهذه المخطوطات السريانية
والعربية والعبرية والفارسية والتركية والحبشية مؤلفا ضخما عنوانه " المكتبة
الشرقية " (أربعة مجلدات ، روما ١٧١٩ - ١٧٢٨) ولا يزال هذا المؤلف مصدرا
أوليا قيما للمعلومات التاريخية التي تتعلق بالكنائس الشرقية وتاريخها (٥) .

(١) لبنان في التاريخ ، حتي ص ٤٩٠

(٢) صقر لبنان ، عبود ص ٥١

(٣) لبنان في التاريخ ، حتي ص ٤٩٠ (بتصرف)

(٤) صقر لبنان ، مارون عبود ، ص ٥٠

(٥) لبنان في التاريخ ، حتي ص ٤٩٢

ومعنى هذا كله أن " لبنان قصد الغرب فأحضره الى الشرق " (١) يتكرر

هذه البادرة " يوم ذهب الامير فخر الدين المخني الى توسكانة فتمعرف في فلورنسا
عاصمة الحضارة الغربية يومذاك الى نسق المعيشة والى الفن والى القصور . وحمل
الى بلاده الرغبة في محاكاة الحضارة العظيمة " (٢)

" وهذا ما حمل الامير فخر الدين على السعاح للارساليات الكاثوليكية،

ولا سيما الكوشيين ، في تأسيس ارسالية في صيدا واهدن ثم توسعت حتى شملت
بيروت وطرابلس " (٣).

ورغم ضيق نطاق عمل هذه الارساليات ، فانها حاولت ان تعمل جلبا الى جنب

مع المدارس الاعلمية (المسيحية) في البلاد والتي لم يكن التحليم فيها سوى تعليم
ابتدائي (" يرتبط بالدروس الدينية المذهبية في الدرجة الاولى " (٤) ويرتبط في
كثير منها بالاديرة التي كانت مراكز عمادة وتعليم .

اما المعلمون فقد كانوا رهبانا وقسيسين يعملون في خدمة الرعية معازجين

بين الوعظاء وتعليم الطقوس وتلقين مبادئ العلوم السربانية والحربية . " اما

(١) لبنان الشاعر وسلاح لبكي ، ص ٦٧ .

(٢) لبنان الشاعر وسلاح لبكي ، ص ٦٧ .

(٣) لبنان في التاريخ وحتى ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٤) تاريخ الاداب العربية ، زيدان ، جزء ٤ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

السريانية هذه ، فقد كانت اللغة الاولى عند المسيحيين ، وهي اللغة المنحكية بين الموارنة في الاماكن النائية المنعزلة (١) .

ولعل الذي زاد من تكريس اللغة السريانية في لبنان ، كون الشعائر الدينية تلقن وترتل بها ، وكون الذين تخرجوا من مدرسة رومة المارونية في القرن السابع عشر والثامن عشر ، وساهموا في وضع الاستشراق هناك كالصهيوني والحاقلاني وسمعان ، أو من عاد منهم الى لبنان " كانوا مزدوجي اللسان ، فانهم كانوا يتكلمون اللغتين السريانية والعربية " (٢) .

و" يتول ديهلا روك الذي زار لبنان سنة ١٦٨٤ أنه وجد عددا كبيرا من الناس في لبنان في نواحي بشرى والحدث لا يزالون يتكلمون السريانية ، ويقول افرنسي اسمه دي شاستي جاء بيروت سنة ١٦٣٢ أنه وجد أهل حمرون وأهدن لا يزالون يتكلمون السريانية . وحتى أنه في زمن متأخر نسبيا في سنة ١٨١٠ ما يروى الرحالة السويسري يورك هارت ، الذي درس العربية في حلب ، أنه وجد كثيرين من الموارنة يتكلمون السريانية . وقد لاحظ أن جميع الأسماء المكتوبة على الأكياس الصغيرة المعلقة في كنيسة قزحيا والتي فيها بهز دود الحرير مكتوبة بالأحرف السريانية " (٣) .

(١) لبنان في التاريخ ، حتي ، ص ٢٩٠

(٢) لبنان في التاريخ ، حتي ، ص ٤٩٠

(٣) - - - (٣) ٤٩١

غير أنه لا يعني أن السريانية قد عمت مرافق الحياة كلها حتى عند
المسيحيين فنحن نجد من مثابلتنا لا أقوال هو^١ ، رعية لا تجيد نطق السريانية
فديلا روك الذي استشهد لهم حتى يحدد منطقتين من الجيل " بشرى والحدث " و
ودي شاستي أيضا يحدد منطقتي " حصرون وأهدن " ، والسييسرى يورك هارت " وجد
كثيرين من الموارنة يتكلمون السريانية " فلا يعني هذا جميع الطوائف المسيحية
حتى الموارنة بالذات ليس كلهم من كان يجيد نطق السريانية . وعلى هذا تكون
العربية مبدئيا في الدرجة الثانية عند الموارنة وتتغالب مع السريانية على المرتبة
الأولى عند الطوائف المسيحية الأخرى .

ولننتقل إلى امر يبين ذلك من الشدياق ابن ذلك القرن حيث يحدثنا
عن شكواه من أحد الشمامسة الذين لا يجيدون العربية في خطبهم فيقول :
" قاتل الله هو^١ العلو^٢ انهم يقيمون في بلادنا سنين ولا يحسنون النطق
بلسنتنا . فيلفظون السين اذا سبقها حركة زايا وحروف العلق وغيرها محالة . . .
وقد سمعت أن بعض " هو^١ " الذين لبثوا في بلادنا سنين رام مرة أن يخطب
في القوم . . . فقال بعد ما ارتج عليه المنبر ساعة : " أيها القوم كد فئات
الوقت الآن ولكني أهتب فيكم نهار الأحد الكابل ان شاء الله " (١) .

يفهم من هذا النص أن القسيسين الأجانب (المرسلين) كانوا يؤدون

خطبهم يوم الأحد والأعياد باللغة العربية لفهم الرعية ما يريدون .

(١) الساق على الساق ، الشدياق ، ص ٢٢٤ - ويريد أن يقول : أيها

القوم قد فات الوقت الآن ولكني أخطب فيكم نهار الأحد القابل ان شاء الله .

ولعل اللغة العربية لم يكتب لها النجاح نهائيا الا ببداية الدور الثاني من التعليم في لبنان أي أنها صارت بعد عام ١٨٣٤ عقب مجيء ابراهيم باشا لغة محكية عند الجميع ورسمية في كل مكان حتى عند الموارنة بالذات .

غير أن بعض المسيحيين لم يتخلوا عن السريانية حتى يومنا هذا ، ولما قلنا بالكتاب المقدس . الا أنه من المحتم تقرير هزيمتها أمام العربية منذ أحيال .

والحدير بالذكر أنه عندما أصبحت اللغة العربية تستخدم في الكتابة الدينية ، عند المسيحيين ، كانوا يكتبون بالحرف السرياني المعروف " الكرشوني " وهي عادة لا تزال آثارها باقية الى يومنا هذا .

ويتول حتى أنه " قد كان في دير قزحيا . . . مطبعة . . . أصدرت . . . نسخة من سفر المزامير باللغة العربية ، انما كان سفرا مكتوبا بالحرف السرياني " الكرشوني " " لما كان شائعا في لبنان في ذلك العهد " (١)

ويقول حتى في مكان سابق أن اسقف اهدن كتب الانجيل باللغة السريانية والعربية ولكن بالخط الكرشوني (٢) .

(١) لبنان في التاريخ ، حتى ، ص ٥٥٥

(٢) لبنان في التاريخ ، حتى ص ٤٢٢

وهذا الخط يعود الى أيام تأسيس " مطبعة دير قزحيا التي كانت أولى مطابع الشرق وفيها طبع زبور داود بالسريانية والحربية " الكرشوني " سنة ١٥٨٥، ترجمة جورجس مطران بيتوسيه ، وطبعه البطررك سركيس الرزي " (١) .

وهذا ما يؤكّد من جديد اضطراب رجال الكليروس المسيحيين الى تداول الحربية كلغة بين الرعية كي تتم علائق الاتصال بين الدين والمؤمنين .

وكما لم تكن الطوائف المسيحية كلها ذات لسان سرياني ، بل ثلّة منها وهي الموارنة كذلك لم تكن الطوائف هذه بمستعملة للخط الكرشوني . فقد اختلف الروم الاثوذكس والروم الكاثوليك عن الموارنة بأنهم لم يدرحوا على استعمال الحرف الكرشوني هذا . مع هؤلاء اذ كانوا على الطقس اليوناني لا السرياني كتبوا الحربية بالحرف العربي . وعلى هذا يكون الموارنة وحدهم ، قد استعملوا الحرف الكرشوني دون باقي الطوائف .

أما فيما عدا نطاق التعليم المسيحي ، المزدوج اللسان والحرف من جهة الرسم كما رأينا . فقد كانت الدولة العثمانية ، تسعى الى الزامية اللغة التركية في مدارسها ، " والمدرسة " هنا عند الامتراك تعني " المدارس ذات التعليم الديني " أما المدارس الاخرى فقد خصصوا لها اسم " المكاتب " بوجه عام " (٢) .

(١) صقر لبنان ، عبود ص ٥٠

(٢) البلاد الحربية والدولة العثمانية ، ساطح الحصري من ٢٢

السلمون
نقول بهذه القسمة بين التعليم المسيحي والعثماني ، " لان التعليمين
لم يغيرا تغييرا يذكر مواقف كل من المسيحيين والمسلمين في البلاد العربية
نحو الدولة العثمانية ، ظل المسلمون يعتبرون الدولة دولتهم ويستسلمون لحكمها
" ليس الشيعة " لكونها دولة الخلافة الاسلامية ، و ظل المسيحيون يشعرون بانها
غريبة عنهم ، لانها تعتبرهم رعايا ، ويتوجهون نحو الدول الاوروبية ، لانها تحميهم
في كثير من المناسبات ، حتى أنها تقدم بحسن المساعدات " (١) .

وهذا ما يفسر طريقة توزيع المدارس التبشيرية التي كانت " تؤسس بوجه خاص
في القرى المسيحية ، والمدن التي يكثر فيها المسيحيون " (٢) .

نقول ، ان هذه المدارس الحكومية " التركية " قد جعلت لغتها التركية
الزامية في التعليم " وكان أكثر معلميها من الاثراك ، ومن كان عربيا منهم ألقى
دروسه بالتركية وتجاهل عن الكلام بالعربية مع أن من يخاطبهم عرب " (٣) .

(١) البلاد العربية والدولة العثمانية ، ساطع الحمصي مهد الدراسات العربية

الحالية ص ٨٢

(٢) نفس المصدر ص ٨٢

(٣) حاضر اللغة العربية في الشام ، سعيد الافغاني ص ٢٣

ويتأرجح الأستاذ الأفغاني عن مصطفى الشهابي (١) فيقول :

" حتى الكلام خارج غرف الدرر في الباحات وضحوا عليه الرقباء فمنحوا أبناء الحرب أن يتحاوروا في الشؤون العادية بينهم بالعربية وأجبروا عليهم الكلام بالتركية ، ومن سبق لسانه الى كلمة عربية صاحوا به " سينيال " وسموه خشبة نقش عليها كلمة " سينيال " (٢) وصار على هذا ان يجول بين رفاقه حتى يسمع كلمة بالعربية سبق بها لسان متكلم ، فيبادر الى تسليمه الخشبيصة صارخا به " سينيال " ومتى انتهت الاستراحة عوقب الذي تبقى بيده .

ويطلق الأستاذ الأفغاني على هذا التصبر المقيت فيقول : " وكانت هذه آخر سهم في جعبة التتريك حتى يجفوا الناس لنته وينشأ طر التتريز منها " (٣) .

ولم يكن هذا التتريك تآمرا على لغة التعليم في المدارس فمسيب بل انسحب على جميع مرافق الحكومة والحياة الاجتماعية حيث فرضت التركية ، لغة رسمية على الجميع ، منذ أيام السلطان سليم الأول ، فهي لغة القوانين والادامة والبلاغات الرسمية التي توجه الى الأهالي ، ولغة المحاكم المدنية والشرعية ، ولغة استجواب المتنازعين والتحقيقات وصدور الأحكام كانت التركية لغة التعليم

(١) انظر مصطفى الشهابي ، معاضرات في الاستعمار ٢٨ / ٢

(٢) كلمة Signal الفرنسية التي معناها العلامة والسمة

(٣) حاضر أفغاني ، ص ٢٢

والجنود خلال التدريب ، حتى أمست ، هذه اللغة ، تقرر مبدأ سيادة الشعب
وذلك في جعلها لغة المجالس التمثيلية من بلدية واقليمية ونيابية ، بها تلقى
الخطب وتجرى المناقشات ، وتدور محاضرات الجلسات •

هذه الاطر أحكم رباطها ، حتى تبقى اللغة العربية في علق زجاجة
أو تنكمش على أخيق حدود التداول ، أو تلفظ أنفاسها الاخيرة •

أما في جبل عامل فقد أحرز التعليم باللغة العربية ، شأوا بعهدا
لا يدانيه قطر آخر ، ولعل ذلك مرده الى كراهية الترك العثمانيين للشيعة
الذى يعود الى أيام خلاف السلطان سليم الاول والشاه اسماعيل الصفوى
" الذى جعل نفسه داعيا للمذهب الشيعي ، وحاميا للشيعة يحارب معهم
الغازي الجديد • ما جعل السلطان سليم الذى يتولى زمامة السنة ، يستحصل
على فتوى تعتبر الشيعة خارجين على الدين الاسلامي ، ويقرر وجوب محاربتهم
وقتلهم بأمر يقتل كل من كان معروفا بالتشيع " (١)

ولعل هذه الكراهية للشيعة ، حدث بالعثمانيين الى عزل الجبل ، مانعة
عنه كل عون ومساعدة ، وما دروا أنهم ، أحسنوا من حيث أرادوا الاساءة ، فلقيد
أصبح الجبل ، بتمرده على الانضواء حيناً ، وفرض العزلة عليه أحيانا ، " مركزا هاما
من مراكز التدريس الكبرى يومه الطلاب من كل فوج وصوب " (٢)

(١) ساطع الحميرى ، البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٣٠

(٢) تاريخ جبل عامل محمد جابر آل صلعا ، ص ٢٢١ •

ولئن انقطع فيه مدد العلم أو خبا نوره " في فترات قصيرة كانت تعقب الحروب والفتن التي يرافقها التدمير والخراب ، وانقراض المدارس ، وتعطيل معاهد التدريس " (١) .

وكانت هذه المدارس أشبه بالكليات عليها بالمدارس العادية ، ويدرس فيها الفقه والأصول والحكمة الاشرافية ، والكلام والتوحيد ، والمنطق والفلسفة القديمة عدا العلوم العربية كالنحو والصرف والبيان واللغة .

وكان بعضهم يدرس علم الهيئة والحساب والجبر والطب والهندسة ، وبعضهم يدرس الفقه والأصول على المذاهب الخمسة ، وكانت حلقات التدريس محبوكة بطلاب الشيعة والسنة دائبين على الاشتغال وارتشاف مناهل العلم والهداية بريح التساهل والاخاء ، بينما كانت عوامل البغضاء والتفرقة تلحظ دورها في خارج تلك المدارس المباركة .

ونذكر من هذه المدارس الاولى : - أ - مدرسة شقرا لمؤسسها العلامة موسى بن حيدر الحسيني العاملي " ١ - ١١٩٥ هـ " وقد ضمت أربعمائة طالب في فترة بلغ العلم والأدب في جبل عامل حده الأقصى ، غير أن الحروب وفتنة الجزائر قضت مضجع الجبل ، وماجر من لم يقتل أو يسجن من العلماء الى خارج البلاد ووقف التدريس وأغلقت المدارس بمن فيهم مدرسة الشقرا هذه

(١) تاريخ جبل عامل ، محمد جابر آل صفا ، ص ٢٣٢ " من هذه الحروب التي

أعقت الخراب للجبل ، معركة يارون ١١٩٥ هـ - ١١٧٨ هـ

١٧٨٠ م

ودامت الحالة على هذا أكثر من ربع قرن ، الى موت الجزائر في سنة " ١٨٠٤ "

• فعادت الحركة الحلمية الى الحيل

نخلص من كل ما تقدم الى نتيجة هي : أن اللغة العربية ما عرفت في هذا الدور مؤثلاً يحتضنها الا ديار جبل عامل وبعض المدارس الأهلية والكتاتيب التي نالت تعلم القرآن واللغة العربية ، وبعض الديرة الذي أخلص للعربية وان كانت تشوبها سريانية " كرشونية " في أغلب الأحيان •

أما ما عدا ذلك ، فقد طمت بالتركية مرافق التعليم والحياة ، كما نخلص الى ان التعليم الشعبي ، ظل حتى هذه الفترة ضيق النطاق ، لا يتعدى مجابهة تتطور الحياة ومتطلبات الفكر الانساني ••• وليست تلك المدارس ، بالسبب الوحيد لبطء انتشار التعليم في القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر • فكمما أن عدد المدارس لم يكن كافياً ، كذلك كانت الكتب المدرسية نادرة الوجود ، وكانت هذه الكتب ، بل حتى فيما بعد ، لا تزال تنسخ باليد • إذ أن الطباعة العربية لم تكن بعد قد انتشرت انتشاراً واسعاً • وكان المسلمون آنذاك يعتبرون الحرف العربي مقدساً ، لذلك حرم الباب الحالي لزمن طويل طباعة اللغتين العربية والتركية بهذا الحرف ، لكن هذا الحرف لم يشمل غير العربية ، مما سمح لرعايا السلطان من غير المسلمين باتباع لغاتهم بأحرفها الخاصة •

ويحدثنا مارون عبود عن النساخة والنساخين فيقول : " كان يختبئ

راهب يابس عن اليوم ، أو يتفرغ ، أمام مصباح من الزيت بلا زجاجة ••• يحنوط على كتابة ••• يقرأ بأصمان ريثما نستريح أنامله ويزول خدر رعله ، ثم يعود الى عمله بعد ما يتبسط جلده وتمحي الاثلام التي شقها فيه قش الحصير " (١) .

(١) زواذ النهضة الحديثة ، مارون عبود ص ٢٦ - ٢٧

"أما الدواة النحاسية ٠٠٠ فهي أمامه ٠٠٠ يمسكها قلم " الشراذم "

على صدرها ٠٠٠ وعن يمين الناسخ ، كما هنا كان أو شدياقا ، لوحة مشيخة
بالخيوط شبحا متناسلا مستقيما ، يملأ الناسخ عليها الورق لتستقيم السطور
ذاك كان عمل رجال الدين في كل ملة (١)

الدور الثاني : ١٨٢٤ - ١٨٦٠ م .

ترتبط أسباب هذا الدور بمحمي* ابراهيم باشا الى سوريا ، في حملة
عسكرية لتأديب العثمانيين ، عام ١٨٢٤ ، فالجهود التي قام بها هذا الفاتح
الجديد ، من انشاء مدارس حكومية " أعنت بأبناء المسلمين خاصة " **والتاحة**
المجال لعمل المبشرين الذين نشطوا في عهده ، هذه الجهود وغيرها
جديرة بأن تعد نقطة انطلاق للتقدم الذي تم احرازه فيما بعد .

وكان لندام التعليم الذي أدخله ابراهيم باشا - مع أنه لم يدم طويلا -
أثره الفعال في بحث اللغة العربية ، وجعلها الزامية في مرافق حياة الأمة
وحفز التعليم القومي وخاصة بين المسلمين . هذا الندام الذي كان يرمي
عامدا الى ايصال الوعي العربي بين التلاميذ . وعلى الرغم من قصر الحكم المصري
في الشام فقد كان لعمل ابراهيم ، وبما اشتمل عليه من أنماط جديدة من
المدارس والكتب المدرسية تجربة ضرورية أيقنت النفوس وحركت الأذهان الراقدة .

(١) رواد النهضة الحديثة مارون عبود ، ص ٢٦ - ٢٧

ولو نظرنا الى الماضي لبدأ لنا ان نتأخر هذه التجربة كانت يا مرة ،
فقد استطاعت بما ارسنته من اصول لتألم ثقافي جديد . ان تشهد الطريق
امام اللغة العربية لتمود مرة اخرى فتصبح قادرة على ان تكون وسيلة التمييز
عن الفكر .

وشمة نتيجة غير مباشرة افضت اليها حملة ابراهيم باشا ، افادت البلاد
كثيرا ، قد اقتربت بأثار التجديد الاجباري الذي فرضه ابراهيم على ابناء
المسلمين ، وما اعقب من مخاوف في نفوس اباؤهم ودفعتهم الى ان ينشأوا المدارس
الخاصة بهم لتراحم المدارس التي انشأها ابراهيم فأتاحوا بذلك لابنائهم
فرصة النجاة من السندية . وقد اصبحوا بسبب هذا الدافع يحتمون عناية كبيرة
بالتعليم المدني " غير الديني " وثابتت عنايتهم به بعد انسحاب ابراهيم تزداد
قوة مع مرور الزمن .

ومن النتائج التي ترتبت على مجيء ابراهيم ايضا ، ما اعطاه من حرية
للرساليات التبشيرية في الحمل . كان اولها قيام الاباء المازاريين في افتتاح
مدرسة عيظورة عام ١٨٢٤ ، التي ساهمت بلصب كبير في تكوين الكتاب والمفكرين ،
وتقيام " الدكتور فاندريك بانشاء مدرسة " عيه ١٨٤٧ " وهي مدرسة عاليه ،
وتأسيس الاباء اليسوعيين لمدرستهم في غزير في نفس العام . وما اعقب ذلك من
منافسة بين الامريكين واليسوعيين في انشاء المدارس " .

ولقد اثار في نظر المرسلين رجال الكهنوت من اهل البلاد الذين اشعلت فيهم البعثات نار الحسد والخوف على مصيرهم مما دفعهم الى العمل بهمة ونشاط حفاظا على الذات . ولعل هذا ما فكهم من عقالة الجمود والانطواء .

وثانيها تأسيس المدارس الاميركية " ١٨٢٤ والكاثوليكية عام " ١٨٤٨ " اللتين عملتا على ايجاد الكتاب المطلوب وتوفيره بين ايدي التلامذة وجعلت منه وسيلة لنقل الثقافة ، كما حققت المطبعتان امل المتعلمين والناشئة في رؤية كتب التراث مطبوعة من جديد ، وباسعار معقولة ، وهو ما جئنا عليه مفصلا ، في فصل التبشير .

الدور الثالث : " ١٨٦٠ حتى نهاية القرن "

اهم ما يذكر في هذا الدور ، ذلك النظام الجديد الذي اقتستت به المدارس الاعلية من مدارس المرسلين حيث تمكنت من ان تخرج عددا وافرا واحذق من الادباء والمفكرين .

ومن هذه المدارس الرومانية :

— المدرسة اللواتينية " ١٨٦٢ — ١٨٧٦ " للمعلم بطرس البستاني .

وقد نهجت في تدريسها منهاجا وطنيا يعتمد اللغة العربية وطومها اساسا في التعليم ، " وقد كانت تولى القلوب بين متنايري الاديان ، ومتبايدي المذاهب تذييع المبادئ الوطنية . . . على صدق في جانب الدولة ، واخلاص في جانب الوطن . . . (١) .

(١) بطرس البستاني وصوايا ص ٢٧

وقد كان من اساتذتها الشيخ ناصيف اليازجي وولده ابراهيم والشيخ
يوسف الاسير والشيخ خنثار الدحداح وسليم تقلا مؤسس جريدة الاهرام
فيما بعد *

- وقد نبغ من هذه المدرسة طائفة من الادياء وارباب الاقلام . نذكر
منهم سليمان البستاني معرب الالفاظ وعبد الله البستاني صاحب قاموس البستاني
والدكتور شاكرا الخوري وغيرهم من الذين تابعوا في تدعيم النهضة العلمية
والادبية والوطنية والقيسية .

وقد عمدت الدوائف الاخرى على تأسيس مدارس خاصة بهما ، احدهما
الباربركية للبرم الكاثوليك * انشئت عام ١٨٦٥ " وهذه طهر من تلامذتها
جماعة من الادياء . ثم مدرسة الثلاثة لاقمار للبرم الارثوذكس كانت في
سوق الغرب ونقلت الى بيروت سنة ١٨٦٦ وكان لها شأن بين المدارس
الوطنية ومدرسة الحكمة للحباران يوسف الدبس انشئت سنة ١٨٦٥ وهي
للطائفة المارونية .

غير ان التعليم في هذه المدارس الوانوية ، (المسيحية) كان قسمة
بين العربية والسريانية من جهة ، وبين هاتين واللغات الاجنبية
المتعددة كالفرنسية والانكليزية فالمدرسة الوانوية مثلا كانت
تعلم من اللغات العربية والسريانية والاطالية والترنسية
والانكليزية وشيئا من اللاتينية واليونانية (١) .

كما ظهرت مدارس اسلامية كالمدرسة الرشيدية وهي أقدم مدارس المسلمين الحديثة ، ومدرسة دار المعلمين وكلتاهما للحكومة ، والكلية العثمانية الاسلامية للشيخ أحمد عباس الأزهرى .

أما مدارس جبل عامل ، فقد نمت في هذا الدور نموا كبيرا ، مما ساعد على حركة الانبعاث القومي والتحرر الوطني نذكر منها :

- مدرسة الكونيسة التي انشئت في العقد الرابع من القرن الثالث

عشر الهجرى بإيعاز من النجف الأشرف (١) .

وهي ظاهرة فريدة لم نجد لها في غيرها من المدارس العاملة ، وكان من طلابها حمد الهك النصار الذى أصبح زعيم جبل عامل فيما بعد ، والعالم اللغوى علي السببى * ١٣٠٣ هـ - ١٨٨٣ م * والشاعر علي بن ناصر بن زبيدان المتوفى سنة ١٨٧٢ . وعلى ابراهيم الحسيني الفتي في جبل عامل وسواهم . . .

وبوفاة مؤسسها العلامة القبيسي تنتهي حياة المدرسة وتنتقل حركة

التدريس الى :

- مدرسة جبج ٢ - ١٨٨٥ * و "التعلم في جبج قديم نسي تاريخه

نسي من القرن التاسع الهجرى بدأت مداها العلمي بتقديرها الكبار من الرجال والأعيان ، وكانت جبج تعتبر معد جزين من الحواضر العلمية القديمة في جبل عامل وأغناها بمن تخرج منها ربما أنتج ابناءؤها من مؤلفات وما تركوا من آثار علمية

(١) - تاريخ جبل عامل ، محمد آل صفا ، ص ٢٤١ والحركة الفكرية والادبية في جبل

عامل لمؤلفه محمد مكي در ٣٣٠ .

قيمة ، وقد ذكر محسن الامين من اعلامها ما يزيد على ثلاثين شخصية كبيرة* (١)

وقد تخرج من هذه المدرسة عدد وافر من العلماء منهم حسن يوسف ،
مكّي مؤسس المدرسة الحميدية قسي النبطية ، وموسى شرارة مؤسس مدرسة بنت جبيل .

- مدرسة بنت جبيل* ١٨٨١ - ١٨٨٦* أسماء أحد طلبة مدرسة جنوبية

سابقا ، وقد جمعت ، عددا وافرا من افضل الطلاب وتعتبر من المدارس التي جددت
العلم بعد دروس مدارس من القطر وخرجت من العلماء والادباء على قرب عهدنا
من حفظوا فيه الميراث العلمي العاملي ، وواحيوا مواته ، من هؤلاء ، العلامة محسن
الامين صاحب أعيان الشيعة ، والعلامة الشيخ عبد الحسين صادق ، والشيخ عبد الكريم
الزين ، وغيرهم ممن كانوا الخيرة الصالحة في جبل عامل* (٢) .

وغيرها من المدارس ، كالمدرسة النورية والمدرسة المحمدية^{المجدية} ،
ومدرسة النبطية الحديثة .

ومما هو جدير بالذكر ان حركة التعليم في المدارس العاملية ، كانت
مطبوعة بدلائع الدين ، فهي حركة فكرية عقائدية . الدين فيها قطب الرضى ، وينحدر
عنه معارف متعددة ، تتعلق فيه وتدور في فلكه سائر هذه العلوم والآداب .

(١) آل صفاء ص ٢٤٢ ومكي ص ٣٢

(٢) اندلر نفس المصدر ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ومكي ص ٣٥ - ٣٦

أولاً ثم في حل طالعتها ثانياً * (١)

ورغم كل هذا يجب الاعتراف، ان هذه المدارس القديمة، وخاصة الاهلية او السوقية منها، حالت دون الاجتهاد على ما تبقى من اللغة العربية وعلومها في هذه المدارس .

أما اذا قابلنا بين مدارس الحكومة والمدارس الاهلية " المسيحية " .
لوجدنا ان الحكومة ذات تركيز على اللغة التركية اولا مما حجب عن الناشئة معرفة التراث العربي في حين كانت تهتم كثيرا تلك المدارس المسيحية . بشؤون اللغة وآدابها . بيد ان الطريقتين الحكومية او المسيحية تتفقان في امر واحد هو خلق الازدواجية اللغوية ، وهذا ما كان له خطره الكبير على الجيل الذي تحمل مسؤولية النهضة وعبء احياء التراث . في حين بقيت المدارس الاسلامية تلقن العلوم العربية دون غير وهذا يعود لارتباطها بعربية القرآن الكريم .

علينا ان نخلص لغتنا وثقافتنا من اثار الحكم الاجنبي .
فتأثير لغة بني عثمان في اللغة العربية ، ظل محدودا ، على رغم من
استمرار حكمها مدة تقرب من اربعة قرون .

ولا نمالي اذا قلنا ، ان تأثيرها الاساسي لم يتجاوز كثيرا امر تأخير نهضة
الادب من جراء عدم وجود دولة عربية تشجع الادب العربي وتبني له وسائل
التقدم والنمو .

وما ذكرنا عن عهد ابراهيم باشا ، في سوريا ، وما احدث من انقلاب في الوعي ،
خبر دليل على هذا ، رغم قلة عهده .

ولو اراد الباحث معرفة المعالم المساعدة التي بدأت اللغة العربية ،
مركز الفلجية والانتصار لوجد كثيرا من الخصائص المنفردة التي تمتعت بها هذه اللغة
دون غيرها من لغات الارض .

هذه الخصائص تركز جميعا على عامل رئيسي اسمه الدين ، واتصال اللغسة
بالكتاب الكريم .

واللغة التي تتصل بدين من الاديان . . . فتصبح لغة الصلاة بين معتنقي
ذلك الدين ، تكسب بذلك امتيازا على سائر اللغات فتزداد قوة على قوتها
الذاتية . وتحوز مكانة ارفع من مكانتها الاصلية . فنستطيع ان نقول لذلك ان
الاديان والمذاهب تلتزم وتحصي بعض اللغات . وتتدخل بذلك في الصراع الذي
يقوم بين تلك اللغة وسائر اللغات ، فتساهمها على الانهيار والبقاء (١) .

ولعل هذا ما يفسر بقاء السريانية والعربية في صراع خفي لفترة طويلة
من الزمن ، انتهى بانتصار العربية التي تمتعت بمزايا لم تتوفر في السريانية .

(١) ما هي القومية ، ساطع الحصري ص ٢٠٤

من هذه المزايا ارتباط اللغة الدينية والشعائر الاسلامية بالفرد ، لا
بالكاهن من خلال لغة فصحي في القرآن الكريم ، لا ازد واجية اللغة المحكية
والفصحي .

فالديانة الاسلامية الترتت العربية الفصحى كل الالتزام ، ولم تتخلى عنها
للحجة من اللهجات العامية في يوم من الايام وذلك لانهم لم تعهد بمهمة القرآن
الى ائمة المساجد وخطباء الجوامع وحدهم . كما فعلت الديانة المسيحية في
العالم الروماني ، فتفصل القاعدة المتمثلة في الشعب (الرعية) عن القمة
المتمثلة في رجال الكهنوت وبالتالي تكون فرص الازد واجية ، او طفيان لغة
دخيلة على وجدانات الشعب ممكنة فتمتلك المنتهم في التعبير واذ هانهم فسي
التفكير ، حتى اذا ما جاء وا - من ثم - الى تأدية الصلاة ، اخذوا يلهجون
بصعوبة لغة رجال الدين ؟ فالديانة الاسلامية لم تفعل كذلك ، بل فرست
مهمة القرآن هذه على كل مسلم ومسلمة ، فصار لزاما على كل فرد ان يتلو طائفة
من الآيات القرآنية كل يوم خلال الصلوات الخمس حتى خلال الصلوات التسي
تؤدي جماعة يترتب على كل فرد مؤتم باجد المصلين ان يستمع الى ما يتلووه
الامام جهرا من ناحية وان يتلو - بعد ذلك - هو بنفسه سرا آيات اخرى من
ناحية ثانية .

ان هذه الاحكام الدينية استوجبت انشاء مدارس وكتاتيب كثيرة لتعليم
القرآن - قراءة وحفظا - لجميع الاطفال . وهذه المدارس والكتاتيب عمت جميع
انحاء البلاد ، ولم تنقطع عن العمل حتى في اسوأ عصور الانحطاط والطفيان .
كل ذلك ، حال دون انقطاع صلة العرب بالعربية الفصحى ، بل ظل
يذكرهم بها ويوصلهم اليها على الدوام عن طريق السماع المستمر والتلاوة المتتالية .

هذا الانجذاب للغوى الى الدين ، مكن للغة العربية وجودا ثويا

جابهت بمعواصف الزمان العاتية وسياسة التترك الفاشمة .

اغف الى ذلك في هذا الضمار ، ان الكنائس المسيحية في البلاد

العربية هي ايضا انتهت الى التزام العربية الفصحى ، فان الكنائس الشريفة

جعلت العربية لغة الصلوات والمواعظ منذ قرون عديدة .

كما ان البروتستان ، ايضا ، اعتمدوا ترجمة الانجيل الى اللغة العربية .

والكنيسة الارثوذكسية كذلك ، جعلت العربية لغة الباطوس والصلوات والمواعظ

بعد ان تخلصت من رقعة اليونان .

وهذا ما ينفي قول التائلين ، بضعف العربية في تلك الازمنة التي

سبقت عقود القرن التاسع عشر وعلية السريانية عليها .

صحيح ان السريانية كانت تنافس العربية ، لكن هذا مالاخيرة - للاسباب

التي ذكرنا - كانت لغة الشعب والرعية السريانية بالذات . وما يذكر من

طرائف من الكنائس يومها لخير دليل على هذا ، فالواعظ بالسريانية امام

الرعية كان يضطر مرغما الى النطق بالعربية ليتفهم للمصلين فهم ما يقول

ما يستدعي قراءة خط مكتوب بالخط الكرنسوني باللغة العربية ، وهذا ما

يؤدي الى التصحيف احيانا وسوء النطق احيانا ، سيما اذا كان الواعظ

غربيا عن البلاد وغالبا ما يقتصر الخطأ بمرح المصلين او باطلاقة نصحكات

لا يسلم الخورى من منازهاها . ولنستمع الى بعض هذا المثلثة التي ذكرها مارون

عبود في صغر لبنان :

" كان يقرأ احد الشماسة البهايل فصلا من " البركميس " (١) ، قال

الشماس اللبيب ، اني وضعك نورا للشعوب لتكون الحياة الى اقص الارض .
فضحك الخورى وقال : نور و ارض ، هذا كثيرا شماس ، خذ عنه يا متى .

وشرع متى يقرأ ولكن كباحين تلا فصلا من رسائل القديس بولس
فبدلا من ان يقرأ : ان الله يحب غيب النية ، قرأ هكذا : ان الله لا يحسب
كبة النية . فضحك المصلون وقال الخورى : مؤكد يا ابني الله ما هو ممن
ضيعتنا . (٢) .

هذه الامثلة الكثيرة وغيرها ان دللت على شي ، فانما تدل على ان الرعية
كانت تجهل السريانية ، ولا تجيد الا اللغة العربية ، على عكس رجال الكهنوت
الذين يجيدون السريانية اكثر من العربية .

هذه الظاهرة اللغوية تؤكد ما ذهبنا اليه من ان انتصار العربية قد
تحقق عبر الصراع اللغوي التاويل بين اللغة العربية والسريانية من جهة ،
والعربية والتركية من جهة ثانية .

(١) كتاب عند الموازنة يعني اعمال الرسل والكلمة يونانية Πράξεις - Praxis

وهذا ما لآية في الاصحاح الثالث عشر من سفر اعمال الرسل - اية ٤٧

(٢) صفر لبنان ، عبود ، ص ٤٥ - ٤٦

لهذه الاسباب العديدة ظل اتصال اللبنانيين باللغة العربية اتصالا وثيقا .
اقول اللغة بثنائيتها الفصحى والعامية ، دون ان يعني تباعد لغة الكلام عن لغة
الكتابة تباعدا كبيرا . فهذه الفوارق بين لغة الكلام ولغة الكتابة - بين العامية
والفصحى - لم تتمد قط حدود فوارق اللهجات الطفيفة .

وإنما كان الناس في القرن الماضي ، لا يتكلمون بالعربية الفصحى فانهم ما كانوا
ليعجزون عن فهمها ولو كانوا أميين ، علما بان اللغة الفصحى صارت تزداد تأثيرا
وتغلبا على اللهجات العامية شيئا فشيئا ، منذ بداية النصف الثاني من القرن الفائت ،
كنتيجة لانتشار المدارس والطباعة والكتب والصحافة والمجلات سيما في الربع الاخير
من القرن المذكور .

الفصل الثالث

حركة الاستشراق واثرها

في

اللغة

من خلال لقوي القرن

أ - معنى الاستشراق :

«رى الاصطلاح عند المتأخرين من كتاب العرب ان يطلقوا اسم
"المستشرقين" على من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه ، واطلقوا
اسم "الاستشراق" على علمهم هذا .

ولما كان الاستشراق واسع المدى ، متشعب المقاصد ، فمنستالحال
بان يقال لمن يعنون خاصة ، بدراسة مدينة العرب والاسلام "المستعمرون"
تمييزا لهم عن سائر من يعنون بلغات الشرق وعلومه .

وعلى هذا ، فالاستشراق هو النشاط الفكري والادبي والانساني
الذى يقوم به اعاجم في مجال اللغة العربية وعلومها وثقافتها .

ب - تاريخ الاستشراق :

نشأ الاستشراق في الغرب بعامل ديني اولا ، وانقلب فيما بعد الى
عامل مدني .

وكان سبق ان بعض ملوك اوربا وباباواتها اخذوا العربية عن علماء
الاندلس وحقليية وتعلم امراء الصليبيين وبعض قوادهم اللغة العربية في الشام

ايام غزواتهم الطويلة .

ولما نام الباباوات بانشاء الرهبينات لبث الدعوة الدينية في الشرق
بدالجسم ان يعلموا الرعبان لغاته ولا سيما العربية وبعض اللغات السامية
كالعبرية والسريانية . وهذا لتفهم العهد العتيق . " فثنى مجمع فيينا
سنة ١٦١١م برئاسة البابا " اكلمنس الخامس ان تؤسس في باريس واكسفورد .
ومملكة اى في عواصم فرنسا وايطاليا وانكلترا واسبانيا يومئذ دروس عربية
وعبرانية وكلدانية وسريانية " (١) .

وكانت المدرسة الطبية مونبلييه في فرنسا ، سبقت فانشأت سنة ١٢٢٠م
دروسا عربية ليتسنى لها تدريس الطب في كتب العرب ، وفي سنة ١٢٥٤ انشئت
اول مدرسة عربية في اشبيلية من ارض الاندلس .

وعلى هذا ، يمكننا تقسيم عمل المستشرقين ، الى دورين يتبعان تاريخية

الحركة :

الاول : وهو قديم يعود الى بداية القرن العاشر للميلاد ، يقضي بنقل العلوم
والمعارف الطبيعية والرياضية والطبية والفلسفية من العربية الى
اللغة اللاتينية ، وذلك لخدمة الغرب لهذا التراث العربي الذى
بلغ - يوما - عمره الذهبي ، والاستفادة منه في بدء النهضة الاوربية .

(١) م م م ع . المجلد : ٢٣ . الجزء الثالث ص ٣٤٧ وما بعدها سنة ١٩٤٨

الثاني : وهو ما بدأ بداية القرن الثالث عشر الميلادي ، ويقضي باشتغال
الدارسين بدراسة اللغة العربية ومعرفة آدابها ، وذلك لأسباب
تجسدت في ما يسمى " بالتعصب الديني " الذي تجلى بالشكليات
التاليين :

١ - الرد على المسلمين ومجادلتهم ، فالنقد ، من ثم ، وسيلة

لانتقاد ما جاء في الدين والتراث الاسلامي والعربي .

٢ - التبشير بالمسيحية بين المسلمين وغيرهم من ابناء الشرق .

انف الى ذلك ، دافعوا دينيا ، نتج عن حركة مارتن لوتر ، والبروتستانتية
وقضى بقراءة الكتاب المقدس بلغاتنا الاصلية ، وهذا ما زاد من اهمية
دراسة اللغة العربية وآدابها ، كوسيلة يستعينون بها في التفسير والفهم .

وفي الحقيقة ، لم يتطوّر الاستشراق الا بتأثير الاستعمار ، ولاجل
تحقيق اغراضه السياسية والاقصادية ، فقد رأت الدولة الاستعمارية ان
الدراسات الشرقية ، التي كانت قائمة من قبل لاداف دينية ، يمكن الاستفادة
منها في معرفة عقلية الشعوب الشرقية للسيطرة عليها واستثمارها .

وهذا ما يقضي بنا الى القول ان الاستشراق ، كحركة ، ظل ضعيفا الاثر
حتى القرن الثامن عشر . ولم ينمو ، الا بعون ورغد من الاستعمار . وهذا يدخل
الاستشراق في طور العلوم المنظمة ، بحيث تمت بعد الدول الغربية وفي مقدمتها
بريطانيا العظمى على عمالها في بلاد الشرق ان يتعلموا اللغة العربية . كما

كما اهتمت فرنسا بالاداب الشرقية ، فاسست المكتبة الاكاديمية ، في باريس
لجمع الكتب الشرقية . كما انشأت النساء عام ١٧٥٣ مدرسة لتعليم لغات الشرق
يدرس فيها القناصل والتجار ، وحذت حذوها فرنسا في اقامة مدرسة اللغات
الشرقية المحلية لمثل هذا الغرض سنة ١٧٩٥ ، ثم " الجمعية الاسيوية " .
في باريس سنة ١٨٢٢ ، فقلدهم الانجليز بانشاء جمعية ايضا سنة ١٨٢٣ ، ثم
الالمان سنة ١٨٤٤ م .

واخيرا ، بدأت اطلاع الرسائل تتوافد كالسيل على الساحل السوري ،
وبلاد الشام ، سيما لبنان ، وقد كان نصيبه منها اكثر من اي دولة عربية اخرى .
ولا ينبغي ان المشرقيين على هذه الرسائل ، وواضعي منها مسح
التعليم فيها ، كانوا من المستشرقين اما الرهبان واما العثمانيين . (١)

ج - اثر المستشرقين في البرامج التعليمية :

لا يمكننا ان نفصل بين لبنان والعالم العربي ، كمنهج واحد استمد منه
الاستشراق في غايته ، كما لا يسعنا الا ان نؤكد صلة الاستشراق بالتبشير
والمبعوثين الاجانب الذين وفدوا الى البلاد ، ليقوموا بدور اطلقوا عليه " التعليم " .
لذا ، سننسب منهجية التعليم ، ووضع البرامج المدرسية ، وتأليف

(١) سنأتي على تفصيل ذلك في بحث التبشير .

الكتب ، الى نشأة حركة الاستشراق ، في المنطقة عامة ، ولبنان خاصة .

كما ان التركيز على التاريخ القديم ، كحلقة الفينيقيين دون غيرها ،

هدف سياسي لا يمكن نسيان في البرنامج العام للاستشراق السياسي .

وقد بلغ الاهتمام بالتاريخ الفينيقي ، حدا ، باتت معه المراحل

السابقة واللاحقة بالية ميتة . ودون اشارة الى عناصر الحقب الاخرى

الصالحة للحياة والتي كان لها تأثير في تقدم الانسانية ؟ وبشكل

عام ، كانت اجساد المستشرقين من خلال برامج التعلم تنحصر في :

١ - بت الشعور بالسلفية التاريخية ، والتشجيع على الحفريات الاثرية .

٢ - تصوير النواحي باسوء حال ، وتزيين الغرب على انه الفردوس المأمول .

٣ - دراسة اللهجات العامية ومقارنتها بغيرها ، كحركة تركز تكريس

اللهجات وجعلها اساسية في التداول .

٤ - دراسة التاريخ العربي من زوايا الفتنة والاملية والخلافات المذهبية

ومظاهر الانقسام والتفسخ .

٥ - دراسة المذاهب بشكل تفصيلي من خلال ما اسماه حرية البحث

العلمي .

٦ - بت الشعور بالسلفية التاريخية لما قبل الاسلام ، وذلك باعادة

تأليف الحقب التاريخية وفق منهج ثقافي دقيق . باتت معه

الانتصارات العربية والاسلامية - حكايات تروى بشكل مختصر وسطحي . في حين
برؤ ما سمي بتاريخ لبنان في العهد القديم . واذ ما تكلمت هذا المناهج عن
الاسلام ، فانه الا تتعرض الا لفواصل تاريخية ضعيفة او نقاط سوداء جبهت
حياتهم . فهي تحرم في الغالب حول الفتن الاهلية والخلاقات المذهبية
ومظاهر الانقسام والتفجع . وهذا لدراسات قلما تعالج الحياة الاقتصادية
والاجتماعية والحركات الشعبية وتطور الانظمة السياسية معالجة تحليلية
علمية .

كما ان ابحاث هؤلاء تركزت على واقع البلاد المسي . واخذت في
توسيع الحزق على الواقع ، وتشويه معالم الحياة . حتى باتت البلاد ديارا
لا تلاق ، من الظلم الذي لن ينتهي ، والاستبداد الذي سيطر بالامال
قبلا . صحيح اذا لم تكن هناك دولة اوروبية تقف بالمرصاد بنية الحماقة
ونشر الطائف . والذين في البلاد . هذا مع رسمتهنا هجيم التربية كي يدخل
في روع كل مواطن ان لا حياة مسكنة دون الاجنبي الصديق .

كما شجعت ابحاث المستشرقين حركة العاميات المنحكية ، بما نشرت
من دراسات تتناول اهمية هذه اللغات وخصائص العامية في كل قطر . وما لها
من قيم صوتية تتشابه مع غيرها من اللغات . وقد كان اسلوب البحث العلمي ،
كالعادة ، رائدهم في هذا المجال . حتى اخذت اصوات تنادي باستعمال
العامية المنحكية كوسيلة للتفاهم والتعليم في المدارس بدلا من الفصحى ، التي
باتت - حسب رأيهم - هزلة ، ترفل بالتعقيد والتعمية .

ولا يعني هذا ان نقف من المستشرقين - جميعا - موقف العداء او المستنكرين فهناك بعض المستشرقين قد اندفعوا الى دراسة اللغة العربية وآدابها بدافع من اهتمامها الخاص وحبهم للعلم دون غرض من الاغراض فحسب المعرفة والبحث عن الحقيقة والتقيب عن التراث هدفين باحثهم ودراساتهم . بيد ان الجهود العلمية التي يبذلها هؤلاء الافراد لا يمكن ان تبدل الاتجاه العام في حركة الاستشراق . كما حددتها الدول الاستعمارية .

د - لغويو لبنان والاستشراق

لم يكن موقف كتابنا من الاستشراق واحدا ، بل متعدد ، يختلف باختلاف الميول والمصالح الخاصة في كثير من الامور . ويمكن ان نحصرهم في فريقين فريق عمل معظم فترة من الزمن . كناصيف اليازجي ، وطرس البستاني ، ويوسف الاسمر . ولم يقف منهم موقف الصراحة في القول .

وفريق ثان ، عمل البعض منهم ، مع المستشرقين ، ثم انتقدهم ، وتبيين خطأهم وكشف ادعائهم وقصورهم في البحث العلمي والربط اللغوي . ومن هذا الفريق سنختار آراء لاحمد فارس الشدياق الذي بين ما وقع به المستشرقون من نقص واسطراب في التقدير والحكم ، وتشويه في التأليف

يقول الشدياق في هؤلاء المستشرقين ، الذين رأهم غمرا وبلاء لا نفسع منهم ولا دفع ، في رد له على ما كتبه المستشرق الكسندر شذكوف في فاتحة كتاب الفه في نحو اللغة الفارسية سنة ١٨٥٢ : " ان هؤلاء الاساتيد لم يأخذوا العلم عن

شيوخه وانما تطلقوا عليه تطفلا وتوثبوا توثبا ، ومن تخرج فيه بشي ، فانما تخرج على
" النفس حنا والراهب توما والخوري متى " ثم ادخل رأسه في اضفان احلام او ادخل
" اضفان احلام في رأسه وتوهم انه يعرف شيئا وهو يجده .
" وكل منهم اذا درس في احدي لغات الشرق او ترجم شيئا منها تراه يخيط فيها خيط
" عشوا ، فما اشتبه عليه منها رقعته من عنده بما شيا . وما كان بين الشبهة واليقين
" حدس فيه وخمن فرجح منه المرجح وفضل المفضل . وذلك لانه لم يوجد عندهم من
" تعدى لتخطئتهم وتسوئتهم . (١)

وكذا يمتني الشدياق ، كاشفا زيفه و"لا" ، وادعاء بعضهم العلم ، فهم
يدمجون الكلم وفق اهل وائهم ، ويشوهون اكثر ما ينقلون ؛

" من هو"لا" الاساتيد الذين يفسدون عبارة المؤلف ويحملونها مما نسبي بعيدة
" يا باها الطبع والذوق " . (٢)

وينتبه الشدياق ، لقضية خطيرة في عهد هو"لا" ، استهدفت نقل اللغة
العربية والتراث العربي الى الغرب عبر نماذج كتابية مشوهة ، تسمى " لخصائص العربية
شكلا ومضمونا " من ذلك توسلهم ببعض الاقوال الفاسدة ، والنصوص الغامضة فيترجموها
الى لغتهم على انها آداب العربية .

(١) ذيل الساق . . . الشدياق . . . ص ٦٨٧

(٢) ذيل الساق . . . الشدياق . . . ص ٦٨٧

"فناية ما صنعوا انما هو احد ثم ترجم من لغتنا لغة الاطيار والازهار فمخن فيها
"وحدس ما شا" . وآخر ترجم محاورة يهودى سمسار واحمق من التجار .
"وأخر مسح امثال لقمان الحكيم الى الكلام الركيك المتعارف في الجزائر .
"وأخر تعنى لطبع اقوال سخيفة من رعا ع العامة في مصر والشام . وترك
" ما فيها من اللحن والفساد كما هو استراعا بقولة كذا رأيتها في الاصل " (١)
ويتساءل الشدياق عن سبب هذا التماثل على ترجمة مثل هذه الكتب وطبع مثل هذه
الاقوال الى اللغة الفرنسية ، فلا يرى الا " توحم ملفقيها على الانخراط في سلك
المؤلفين " . (٢)

وكان الشدياق ، كسلف جدهم ، فيقف متحديا ايامه في " ترجمة شي " من
الكتب (الفرنسية) الى العربية " ما داموا يدعون معرفة اللغتين . خاصة وان
في اللغة الفرنسية كتباً جليلة القدر في كل فن ، " اذا كانوا منزهين عن الغرض .
ويضي الشدياق في تحديدهم لهم الى ان يقول :
" واعجب من ذلك انهم يحظر بيال احد منهم فط ان يترجم نحو لغتهم الى لغتنا .
ويرى السبب في ذلك فيقول :
" فيل من سبب آخر غير التحذر من ان يعرضوا انفسهم للتحقيق والفتيد والتحسير .

(١) ذيل الساق . . الشدياق . ص ٦٨٨

(٢) الساق الشدياق ، ص ٦٨٩

"فان عبارة النحاة والمعربين لا بد من ان تكون محررة صحيحة ولا عذر لهم معها
ان يقولوا كذا وجدناه في الاصل . (١)

"ويفضح الشدياق ، خطتهم الخبيثة في نشر العامية بين ابناء جلدتهم على انها
العربية الفصحى فيقول منددا بعلمهم هذا ، مستهزئا :
ويا ليت شعري ما الفائدة في كون احد هؤلاء الاساتيد يوءف كلاما مسلطا فاسدا
في لغة اهل حلب ويسميه نحوا . . . وفي كون آخر يكتب بلسان اهل الجزائر كان
في واحد الداريات . . . فما بالكم يا اساتيد لا تؤلفون كتبا بكلامكم الفاسد
الذي تسمونه بنوى .

"وهل تشيرون على عربي اتم بمرسيلية مثلا ان يتعلم كلام اهلها او كلام اهل باريس
ولو كان فعلاكم هذا فعل رشيد لوجب ان تقيد وجميع الاختلافات والفروق الموجودة
عند المتكلمين بالعربية . فان اهل الشام يستعملون الفاظا لا يستعملها اهل مصر .
ومشى على ذلك سائر البلاد الاسلامية . بل ان لاهل صنع واحد اصطلاحات شتى .
فكلام اهل بيروت مثلا مخالف لكلام اهل جبل لبنان . وكلام هؤلاء مخالف لكلام اهل
دمشق ."

وما النتيجة من هذا العمل الدنيء ، برأى الشدياق ، الا المصون لهم وافساد اللغة
لنا ، وتأخذها الغيرة على العربية فيقول :

(١) الساق ، الشدياق ، ص ٦٨٩

••• هذه اللغة الشريفة التي من بعض خصائصها انها بقيت ثابتة القواعد قارة
" الا لليب على انقراض جميع ما عداها من اللغات القديمة • وان المؤلفين فيها
" يومنا هذا لا يقصرون عن اسلافهم الذين انقروا من الف وماتي سنة • فمـ
" حسد تكونوا على ذلك وحاولتم ان تحيلوها وتلحقوها بلذختم التي لا تفهمون مـ
" الف فيها من ثلثماية سنة " (١)

وهكذا ، يراعى الشدياق ، غير اهل للعلم ، وما هم الا ملفقون ، ويتساءل كيف ، رخص
لهم في ان يطبعوا ذلك من دون الوثوق على صحتها ، فان من هؤلاء " الاساتيد من لا
يفهم اذا خوطب فضلا عن جهل التأليف • ولا يفهم اذا قرأ • ولا يقوم الالفاظ فسي
القراءة "

وهزوى الشدياق قصة احد هؤلاء فيقول :

" سمعت مرة بعض التلامذة يقرأ على شيخه في مقامات الحريري ولا يكاد ينطق بحرف
" واحد نطقا بينا من هذا الحروف التي خلت منها لغتهم • وهي التاء والحاء و...
" وشيخة ساكت لما انه يعلم ان تصحيحه له لا يكون الا فاسدا • فكيف يمكن لمن
لم يسمع اللغة من اهلها ان يحسن النطق بها . (٢)

وهو يطعن في كل ما الفوه من نحو ، او ما ترجموه من قواعد عربية وذلك لاختلاف
النطق الاولي للحرف العربي ، وطريقة تركيبه ، وهو يتول في هذا الصدد :

(١) الساق ، الشدياق ص ٦٨٩

(٢) الذيل ص ٦٩٠

• كيف لا وار من الف منهم في نحو لغتنا شيئا فانما بنى نحوه كله على فساد .
• فانهم يترجمون عن الحميم بلساننا بحرفي الدال والجيم بلسانهم . وقد جعلوا انه
• ليس عندنا في العربية حروف مركبة كما في اليونانية . فان الابداء بالساكن مرفوض
• عند العرب ان لم نقل انه ممتنع . (١)
• و . . .

وما على هـ ولا هـ الا ان يكفوا عما ليس باستطاعتهم ، فهم وان عرفوا الكثير فسي
التاريخ ، كما يقول الشدياق ، الا انهم لا يفهمون ما كتبه اعلام هذا التاريخ . ولا
• يدرون جزل الكلام من ركيك وثبته من مصنوعه . ولا المحسنات اللفظية والمعنوية .
• ولا الدقائق اللغوية . ولا النكات الادبية ولا النحوية . (٢)

وغاية ما يقال " انهم نتفوا نتفة من علم الصرف بواسطة كتب الفتب بالفرنساوية .
وينتقد الشدياق ، المستشرق دى ساسي بمد ان يقر علمه وفنعله ، بتوله " على انه
رحم الله لا ينظم في سلك العلماء المحررين فقد فاته اشياء كثيرة في الادب واللغة
والعروض . (٣)

ص ٦٩١ } (١)
 } (٢)
 } (٣)

ويستغرب الشدياق جهل هؤلاء ، وهم الذين سافروا الى بلاد العرب ، واقاموا فيها اكثر من غيرها ، ومع ذلك لم يتعلموا سوى الركاسة والخطل . (١)

الس ان يقول للثاري العربي :

اعلم . . اني لم احد من بين جميع ما طبعوا بلغتنا جديرا بالانتاد سوى مقامات
الحريري . (٢)

(٥) ص ٦٩١

(٦) ص ٦٩٢

الفصل الرابع

التبشير ودور الرسائل في لبنان

أ - معنى التبشير

جاء في الاصحاح الحادي والستين من نبوة اشعيا ذكر عبارة التبشير ، بالمعنى التالي :

" ان روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين وارسلني لأجبر
المنكسرى القلوب وانادي بعثق للمسبيين وتجلية للمأسورين " (١) .

وجاءت العبارة ، ثانية ، بعد سبعة قرون ونصف في الاصحاح الرابع من انجيل لوقا ، بالمعنى التالي :

" ان روح الرب عليّ ولاجل ذلك مسحني وارسلني لأبشر المساكين واشفي منكسرى القلوب (٢) "

وفي كلتا العبارتين ، يتفق مفهوم التبشير بمعنى واحد ، هو النداءة بالانجيل .

وفي عبارة " مسحني لأبشر " بالذات ، دلالة واضحة على القصد ومحاولة متفائلة للقضاء على " الخطيئة " التي تشكل بمضمونها البشري ، درجة من الدرجات الثلاث (٣)

(١) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، المجلد الثاني ، نبوة اشعيا ص ٣٠٠ فقرة (١) .

(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، انجيل لوقا ص ١٠٢ ، فقرة (١٨) .

(٣) الدرجات الثلاث : الخطيئة ، الخلاص ، الخدمة .

المؤلفة الجانب الفردى ووجه القضية التي اختص بها الدين المسيحي ، اعنى بها ، علاقة الفرد البشرى مع ربه ، وفهم مدارها ، والتماس دروب الصلاح ، من ثم .

ومن العبارة بالذات ، تتضح سمات المبشر المسيحي ، فهو تلميذ للمسيح ، يحدو حدوه في ثبيان حدود المسار الاخواني والكوني والالهي .

وبهذا ، يتجدد مفهوم التبشير ، بما يكل بداية الفرد الى درب الايمان ، وابعاده عن العنادة التي تهدم ركنا من اركان الاتفاق الروحي . وما دام الاتفاق حاصل ، والفرد يعيش معاناة الخلاص ، منتصرا على الخطيئة ، فلا واجب ملحا ، متهانت لردعه ، وضبطه في النهج الايماني ، الذي حققه عبر ايمان قد لاتعترف به المسيحية .

أما من وقف من المبشرين مزورا عن هذا ، فلا صفة تبشيرية صادقة له .

ولوبقي هذا المفهوم لمعنى التبشير ، لما انعكس آثار خطيرة على المجتمعات الانسانية ، بيد أن التبشير وقع تحت وطأة المأرب السياسي لدول اوربا وامريكا ، وارتبط الكاهن ، او الثوب الكهنوتي بوزارة الخارجية مباشرة ، او انه انسحب في سلك موظفي المخابرات والادارات الحكومية المختصة ببلاد الشرق عامة ، والوطن العربي خاصة .

هذا ، وقد كان المسيحيون والقاطنون في هذه البلاد ، العربية ، مثلا ، معبرا لتلك الاهداف التي تضمنها مفهوم التبشير فيما بعد . وكان هؤلاء المساكين فرصة ذهبية سنحت لأولئك ، فسمعوا اليهم ، سعي الحبيب الى حبيبه ، والصديق الى صديقه . وما هم بأحبة ولا اصدقاء ، ولكنهم وجدوا في هؤلاء مواطني قدم ، ومراسي صالحة لرحلتهم الطويلة .

ب - الرسائل التبشيرية في لبنان

شهد القرن السابع عشر ، بدايات البعثات التبشيرية التي كانت في معظمها كاثوليكية فرنسية في الغالب ، تنتسب الى جمعيات اليسوعيين او الكبوشيين او الكرمليين .

وكانت جهود هذه البعثات في البداية ، محدودة الاثر ، تقتصر على انشاء عدد قليل من المدارس والمعابد في اماكن متفرقة من بيروت او الجبل ، أو بعض مناطق في سوريا وفلسطين وكثيرا ما كانت تكفي بنشر بعض كتب العبادات ونشرات خاصة بها .

ولم تستطع هذه البعثات الأولى ان تعمل خارج نطاق بيروت مثلا لما كانت تلاقيه من رقابة شديدة من الولاة العثمانيين .

كما انحصرت رعايتها في الطوائف المسيحية الموالية لكنيسة روما ليس غير . لأن محاولات التبشير خارج نطاق طوائفهم كان يهدد ضربا من المخامرة المستحيلة نظرا للتمصب الشديد الذي كان يمسود ذلك العصر .

وقد سبب احكام مراقبة العثمانيين هذه ، رحيل اكثرهم او تجميد نشاطهم على الاقل . ويبدو ان اليسوعيين ، كانوا اكثر المرسلين ، تحملا للادى العثماني واضطهاد حكامه ، ولعل هذا عائد لخبرتهم القديمة التي تعود الى حوالي سنة ١٦٢٥ م . وكما قلنا ، فان مجال نشاطهم ، كان لا يتعدى دائرة التعريف بالطقوس وكيفية القيام باعبائها ، ولو كان غير ذلك ، لما اختلف مصيرهم من غيرهم من المطرودين من البلاد .

وعلى أي حال ، ما ان انصرم عام ١٧٧١ م ، حتى صدر مرسوم " فرمان يقضي
بتعطيل جمعيتهم ، فتفرقوا بددا ، واغلقوا اكثر مؤسساتهم ، تاركين المنشآت
للبعثات اللمازارية لتديرها .

ولم تستأنف هذه الجمعيات عملها الا في سنة ١٨٢١ م . ولعل من الأسباب التي
اوجبت عودتها أن البعثات التبشيرية الأميركية اخذت تعد الى بلاد الشام منذ
عام ١٨٢٠ م ساعية جهدها في تحويل افراد الطوائف الكاثوليكية الى المذهب
البروتستانتي .

الا ان عقبة جديدة ، وقعت في طريق المرسلين الأميركيين ، تضاف الى جميع
العقبات التي اعترضت سبيل الجمعيات الكاثوليكية التي سبقتهم ، هي عدم وجود
طائفة بروتستانتية . وهذا ما جعلهم يعتمدون الى تحويل الافراد المسيحيين من
الطوائف الاخرى ، كوسيلة لجمع الأتباع . وقد ادى نشاطهم هذا الى اثاره روح العداوة
في نفوس رجال الدين من اهل البلاد ، واشتداد التنافس بين الطوائف بشكل حاد
كان لا يخلو في اكثر الاحيان من مناشير تتضمن الوعيد والتهديد والقبح والسب
بين هؤلاء ، وأولئك .

وجاء في قول لمؤلف المقاطعة الكسروانية في اخبار سنة ١٨٢٥ هذا القول :
" اذا كان من برهة قد حضر الى بيروت مرسلون بيليشيون اي انجيليون البروتستانت
قصدا الانذار في لبنان في شيعتهم ومعتقدهم الفاسد ، فتصدى البطريرك يوسف حبيش
لمقاومتهم وبأشد غيرة . وأبرز ضد هم منشورين بهما ينبه ويحرض ويحتم على أبناء طائفته
ليكونوا مسترسين من غشهم وخداعهم .

ففي المنشور الاول يحتم المحتم الجازم بكلمة الرب العزيز سلطانها على الجميع
بأن لا أحد يقتني أو يبيعهما أو يشتريهما أو يهبهما أو يطالع بها أو يقرأ ، ولا بأية
علة وسبب كان . ثم يمنع الاشتراك معهم بالصلاة والتعلم في مدارسهم أو مطالعة
مؤلفاتهم وأن الذي يخالف ذلك جميعه بجساسة او يمنع نفوذ هذا المنشور ،
فان كان اكليريكيا ^{سيدا} فكله ممنوعا بذات الفعل من التصرف بدرجته ، وان كان علمانيا
فليكن ساقطا تحت طائلة " الحسم " المحفوظ حله للسلطان البطريركي (١)

ولم يتعد المنشور الثاني او غيره هذا المضمون من التهديد والتحذير .
ودخل الصراع بين المرسلين البروتستانت والكاثوليك مرحلة الرد المنظم ودحض
الحجج عبر البراهين المتأرجحة بين الانفعال العاطفي للدين حيناً ، والخوف
على المصلحة ونقد النفوذ حيناً آخر .

وهذا ما نراه في قيام المطران بطرس كم " رئيس ساقعة بيروت " يومذاك ، بتأليف
كتاب " فند فيه مزاعم البروتستانت " (٢) كما حمل شاب ، كان كاتباً في ديوان ذلك
المطران ، على النهوض لمجادلته والرد عليه . هذا الشاب من بيت الشدياق
وهو سعد الشدياق اخو احمد فارس الشدياق واحب اخوته اليسرى .

(١) المقاطعة الكسروانية ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ر صقر لبنان ، عمود ١٨٨٩

(٢) صقر لبنان ، عمود ٣٩

لكن امرده هذا، جرّ عليه الويل ورشق بالحجم الكبير، إذ " استدعاه البطريرك الحبيشي الى قنوين وظل هناك حتى قضى " (١)

ربما لاقاه البرتستان من اخصامهم اليسوعيين ، لا يعتدّ به ، اذا ما قارناه بخصومة الموارنة لهم ، ولا عجب في وثقة الموارنة هذه و " التقليد يروى لنا " ان الموارنة لـسـم يناهضوا البروتستان فقط ، بل قابلوا قبلهم الاباء اليسوعيين بمثل هذا الكره والمقاطعة وحالوا دون اقامتهم في بلاد جبيل^(٢) .

ولئن مضت هذه البعثات في تبشيرها ، ساعة ، فانها لم تبلغ الغاية التي استهدفتها من هذا العمل ، لان الطوائف التي اعترضت طريق البعثات الاجنبية قبل الفتح المصري لبلاد الشام ، بلغت مبلغا ، ان لم يعطل جهودها تعطيلًا كاملا ، فقد حصرها في اضية نطاق . وهذا ما يبرر بقاء الامريكان منذ وصولهم ، داخل بيروت آنفئذ مدينة مسورة لا يتجاوز عدد سكانها ٩٠٠٠ شخص (٢)

عام ١٨٣٤ م تحول خطير في تاريخ التبشير

احدثت سياسة ابراهيم باشا ، الذي جاء سوريا ، فاتحا عام ١٨٣١ م ، تغييرات كثيرة في الحكم ، كان منها فتح المجال امام البعثات التبشيرية الاجنبية ، والسماح لها بحرية العمل . فتقاطر المبشرون على بيروت ، ومنها انطلقوا الى سائر انحاء الشام ، حيث عاد اليسوعيون مجددا في بداية العام ، كما وصل مرسلون امريكان لينضموا اليهم سابقين . وياخذ التنافس على النفوذ والغلبة اشده ، بين الكاثوليك والبروتستان ، حتى يبلغ درجة التناحر في بعض الاحايين .

(١) صقر لبنان ، عبود ص ٣٩

(٢) صقر لبنان ، عبود ص ٤٠

وقد تميز هذا العام بثلاث حوادث مهمة ، كانت على التوالي :

— إعادة الآباء اللعازاريين افتتاح كليتهم الخاصة بالذكر في عن

طوره " عيطورة " .

— نقل مطبعة البعثة التبشيرية الامريكية من مالطة الى بيروت .

— قيام ايلي سميث " الامريكي " ، " ١٨٠١ - ١٨٥٧ " وزوجته

بتأسيس مدرسة للاناث في بيروت في بناء خاص بها .

وما انصرم عام ١٨٦٣ حتى كانت الارساليات الامريكية قد اسست لها مراكز

في عيبه وسوق الشرب وصيدا وحاصبيا وطرابلس . وثلاث من هذه المدارس لا تزال

قائمة الى عهدنا هذا .

كما باشر المرسلون الاميركيون ، بعد ذلك ، بوضع نظام تعليمي ، وفق مخطط

محدد ، كان قد أعده الخبراء بالشؤون العربية واللبنانية ، وهم ما اصطلحوا

على تسميتهم بالمستشرقين (١) .

كما وقاموا بطبع كتب مدرسية مختصرة في أول الامر ، ثم طوروا ذلك بعد

حصولهم على مطبعة جديدة سبك حروفها ، المستشرق والمبشر ايلي سميث فسي

ليبرز ، وجعلها على نمط جديد من الحروف ، غير تلك الحروف القديمة انذاك .

(١) راجع الاستشراق ص ٥٦ - ٥٩ - ٦٠ راجع الحروف

ومنذ حينها بدأت المطبعة هذه ، تتحمل أعباء مشروعات واسعة في الإباعة الحربية وخاصة اخراج الترجمة الجديدة للقرآنة .

وبعد أن حل المرسلون الامة ميركيون مشكلة الحرف والكتاب المدرسي ، اعترضتهم مشكلة تخريج المعلمين المؤهلين . فوجدوا لها حلا في تحويل المدرسة العاليسة التي أسسوها في بلدة " عبيه " بجبل لبنان الى كلية لاعداد المعلمين وتدريبهم .

وما ان اشرف عام ١٨٦٠ حتى كانوا قد أسسوا لهم ثلاثا وثلاثين مدرسة تضم نحو من الف تلميذ خمسهم تقريبا من البنات .

وفي مطلع سنة ١٨٦٢ ، اتخذت الارساليات الامة ميركية قرارا بتأسيس كلية للتعليم العاللي عرفت بالكلية السورية الانجيلية ، وكانت تضم ١٦ طالبا فقط عسسام ١٨٦٦ . لكنها ترقت مع مرور الزمن حتى أصبحت في مستوى المرحلة الجامعية ، وباتت تعرف اليوم بـ " جامعة بيروت الامة ميركية " .

ولم تكن البعثات التبشيرية الكاثوليكية ، خلال هذه السنوات بأقل نشاطا من منافستها البعثات البروتستانتية ، ولعل اليسوعيين ، أكثر هذه البعثات الكاثوليكية مضاة وعزيمة ، خاصة في ميدان تعليم الذكور .

وقد سبق القول انهم عادوا الى الشام سنة ١٨٢١ ، وبعد سنتين ١٨٢٣ - ١٨٢٤ عادوا لفتح اثنتين من مؤسساتهم السابقة في جبل لبنان ، ثم التحقت فيما بعد مدرسة بكل واحد منها . وأنشأوا مدارس في بيروت " ١٨٢٩ " و" ١٨٤٣ " و" ١٨٤٤ " .

وأصبحت مدرسة غزير في جبل لبنان ، ذات قيمة تاريخية بعد نقلها الى بيروت سنة ١٨٧٥ وتسميتها بـ " جامعة القديس يوسف " .

وكذلك بدأ اليسوعيين في ميدان الطباعة ، فأسسوا أول مطبعة لهم سنة ١٨٤٧ م . وكانت مطبعة حجرية ، ولذلك كان نتاجها ضئيلا جدا . ولم يبدأوا الطباعة بمطابع ذات حروف منفصلة الا في سنة ١٨٥٢ . وحين نقلوا مركز تعليمهم العام الى بيروت أصبحت لديهم أجهزة طباعة كاملة العدة .

كما نشطت البعثات الكاثوليكية الالمانية الاخرى ، فضلا عن اللعازارين الذين أعادوا افتتاح كليتهم في " عنطورة " . أسست راهبات المحبة ، والمدونات الدينية الاخرى مدارس للبنات والبنين في بيروت وبعليك وفي مناطق متعددة من جبل لبنان .

هذا وقد تعرضت الكثير من المنشآت التبشيرية للهدم أو التدمير أو الخطر اثناء الاضطرابات التي كانت تهز البلاد من حين الى آخر ، وخاصة حوادث ١٨٦٠ الالهلية . مما كان يستدعي اغلاق بعض هذه المنشآت في أغلب الاحيان . غير أن الامر قد انقلب الى صالح هذه الارساليات ، مباشرة عقب فتنة ١٨٦٠ . فباتت جهودهم حثيثا لخطى . جدية المنجزات ، واسعة الوصاية بشكل أخذ يشغل أكثر المناطق في الجبل والساحل وبيروت .

ويحدد ذلك الدكتور البشرى فيقول : " يرجع اقبال الاوربيين على ارسال البعثات وتنشيط رعاياهم للاقامة في الامبراطورية العثمانية الى اطمئنانهم للسكن تركيا منذ أن اصبحت زعامتها بأيديهم بعد ابعادهم اياها من نشاط التوسع العصري على اطماعهم ثم لتنافسهم على استعمارها اقتصاديا ، وتأهب كل منهم للحصول على أكبر حصة من ميراث الرحل المريض . فتغلغلتم بعثات التبشير المختلفة . ولستم يكن اهتمام الغرب بارسال البعثات التبشيرية الى الشرق وغيره الهدف الرئيسي منها بقدر ما كان ذلك وسيلة لتمهيد الطرق امام الاستعمار في صورته الحالية " (١) وهذا ما يؤكد الدكتور عمر فروخ حيث يقول :

" من المعلوم ان فرنسا كانت تطمح منذ مدة طويلة في امتلاك بعض البلاد العربية ، ولا سيما سوريا ولبنان . وكانت تعتمد لتمهيد السبل الى ذلك بوسائل شتى ، وكان أهم هذه الوسائل الاستعانة بالارساليات الدينية والمؤسسات التعليمية لبث الدعاية لها بين أهل البلاد .

" ولهذا السبب بذلت جهودا كبيرة لتكثير عدد هذه الارساليات والمؤسسات ولتوجه أعمالها في الاتجاه الذي يساعد على احتذاب الناس اليها " (٢)

ويمكن لنا تحديد هذه الاهداف بالنقاط الرئيسية التالية :

-
- (١) أثر سياسة القوميات في الحركة العربية ، د. عبد الشفي البشرى ص ١٤٦ .
 - (١٩٦٤ ، ادارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة) .
 - (٢) التبشير والاستعمار ، عمر فروخ ، ص ٢١٠ .

١ - اضعاف الشعور القومي :

كثار من الباحثين العرب واللبنانيين خاصة الذين **يخفرون** القرن التاسع عشر ، حصل الاتجاه القومي ، ايماناً منهم بان الفكر القومي طفق يسعى بين أرجاء الأمم بدءاً هذا القرن الذي استحق لقب " قرن القوميات من جدارة " .

بيد أن الأمر ، يخلو لبعض المؤرخين " اللبنانيين " في ان يجمعوا بواعث الفكر القومي ، واحبائه وليد جهود المبشرين وارسالياتهم التعليمية في لبنان . الا أن الواقع يبديد هذا الزعم ، فتاريخ التعليم التبشيري ، ما حفل يوماً بالدواحي القومية لما فيها من خطر يتنافى ووجود هولاً .

ان حركة البحث القومي التي اشرفت في أواخر القرن التاسع عشر ان هي الا حركة وطنية بحثة قام على احيائها علماء ، مخلصون ، نزرؤا انفسهم لاموطانهم وأمتهم . من هولاً تألفت شمس التجديد الفكري ، أعني بهم ، أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ، واليازجهان ، وبوسف الأسيير ، وسعيد الشرتوني ، وسواهم .

ومن يعد الى المناهج التربوية التي قام المبشرون باعدادها يجد حقيقة ما نذهب اليه من أنه اعداد واستهدف تأمين مصالحه السياسية أولاً ، ثم ، أولى وجهه عن شؤون هذه الأمة ساعياً - بذلك - الى تشتيت الفكر القومي وتسميم العقليسة العربية تحت شعار " التثقيف " و " البحث العلمي " .

ولنسمع الى حديث الامقناني في حاضر اللغة نقلاً عن ساطع الحصري فسي ^{حردلو} جولة الثقافة حيث يقول : " أما المدارس الامجنبية ، فقد كان هدف ارسالياتها استعمارها بحثاً يمهد للدول الامجنبية في ميادين التبشير الذي يجعل من المستجيبين مخلصين لمصالح الدولة الامجنبية التي تدين بذهب ارسالية " .

وأثبت الواقع أيام الامتراك وأيام الانتداب الفرنسي وفي عهد الاستقلال

نجاح هذه المدارس في مهنتها تلك .

والميدان الثاني التسميم الثقافي على الأقل عند من لم يستجيب للمذموم

التبشيري^(١) ويمكننا حصر نطاق عمل هؤلاء المبشرين في جانبين مهمين يشكلان معا

وحدة وجود الأمة قلبا وقالباً . هما اللغة والثقافة .

أ - اللغة والتبشير : لما كانت اللغة ، تشكل بفهومها الاجتماعي اطلر

الثقافة ، وتقرر صفتها ، بات من الضروري أن تكون هدف المبشرين الأول واليها

توجه السهام وتراش النبال .

ورب قائل يقول : " ان تعليم الامم العربية ، واللغة العربية وجد موثلا في

المدارس الأجنبية^(٢) .

أجل هذا ما كان في بداية أمرهم ، لكنهم ، سرعان ما قلبوا لهذه اللغة ، ظهر

المحن ، بعد أعوام ، حين أيقنوا من ثبات منسبتهم وبرامجهم وما لا تقوؤ من اقبال متزايد

بغية العلم الذي غلبه أبناء الشعب عقب حرمان خمسة قرون في النظام العثماني .

وعلى هذا بأخذت اللغة الأجنبية محل اللغة العربية التي انزوت في

مناح ضيقة لا تنم عن أي أمل بالتطور والنماء .

(١) حاضر اللغة في الشام ، الافغاني ص ٢٣ وما بعده .

(٢) ساطع الحصرى ، البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٨٢

وقد يحد البعض تسويها لهذا فنقول : " ولكنها " أرى رسالة الامريكان " اضطرت أخيرا للتخلي عن هذا التقليد " التعليم باللغة العربية " الجميل لاسباب عديدة منها تنوع الجنسيات التي كانت تتمثل على أرض الجامعة ، ومنها صعوبة ايجاد معلمين من ذوي الخبرة الكافية في اللغة العربية ، وصعوبة ايجاد الكتب المدرسية وتختلف العربية ذاتها عن اللغات بركب العلوم والفلسفة (١) .

في حين قد مهد لقوله هذا بالحجارة التالية " يتجلى حرصها في الحفاظ على التراث القومي في جعلها اللغة العربية لغة تدريس " .

وانا لنخلص من هذا التناقض في قول حتي ، الى تأكيد ما ذهبنا من نوايا خبيثة كان يعمد التشهير من أجلها ، ولنسمح الاقناعي وهو يقول في هذا الصدد : " أما في مدارس الرساليات الأجنبية ، فقد جعلت العربية لغة التعليم أولاً ، ثم عدلت عن هذا المنهج ، وكانت قد اجتذبت الطلاب وعواطف الامهات ، جامعة التعليم قسمة بين اللغة العربية ولغة الدولة الأجنبية ، لكن هذا العدول لم تكن فيه جميع المدارس سواء ، كالمدرسة الانجيلية مثلا ، التي ظلت على نهجها التعليمي ...
والامر أن هذا التحول عن التعليم باللغة العربية ، في هذه المدارس الأجنبية يعود الى خشيتها أن تتعرض لغة البلاد فتخلق في النفوس المناعة على أهدافها الحقيقية ، وهي لم تنشأ لهذا .

(١) لبنان في التاريخ ، حتي ، ص ٥٥٢ .

أما است لتفتيت وحدة الأمة وجعل بعضها حربا على بعض ، ولتستعيد عقول الناس لعقلها ولغاتها وثقافتها حتى ينسلخوا من لغتهم وأمتهم الواحدة . وسائر مقوماتهم ، لهذا سرعان أنتكست جميعا بعد فترة قصيرة وصارت تتراجع بعد ان اعترف بها وقويت بالامتيازات الأجنبية وكثرة الأقبال عليها ، فجملت لغة التعليم لغة الدولة الأجنبية التي تنتمي اليها ، وبقيت تدرس العربية لغة ثانوية في بعض الحصص تدرسا مهما يكن ضعيفا لم يدل الى العدم كما في المدارس الحكومية " التركية " (١) .

ولقد ادرك المبشرون ، ومن ورائهم الاستعمار ، ان وراء وحدة هذه الأمة ، لغة ينبض فيها قلب الشعب ، وتختزن ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين . وفيها يتحرك كل روحه .

وان هذه البلاد ، لن تؤول الى ممتلكاتهم السياسية الا عندما تصبح لغتهم هي القومية ، فالعمل الجبار اذن ، الذي يترتب عليهم انمازه هو السعي وراء نشر لغاتهم بين الامم مالى - بالتدرج - الى ان تقوم مقام اللغة العربية .

وهذا ما يفسر تركيزهم في تعليم اللغة العربية . فالمدرسة الانجيلية (الكلية الاميركية) بيروت مثلا ، خرجت عن خالها فجعلت التعليم بالانكليزية . وكانت تدمت على ان يبرى طرفيها خير للشعب ، وهي انما ارسلت لتخرجه من مقوماته وتمسح منه اشباه امريكيين ، شأنها في ذلك شأن بقية الارساليات والمدارس الأجنبية " . (٢)

(١) حاضر اللغة العربية في الشام ، الافغاني ص ٢٢

(٢) حاضر اللغة العربية في الشام بالافغاني ص ١٧

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل تجاوزه الى رمي اللغة بنعمة
الاستزادة بالعامية ، التي شجع عليها غير ما سماه دراسة خصائص اللهجات
تارة و " اللهجات المقارنة " تارة و " دليل البحث العلمي " وغير ذلك
من الامساك بالذمام .

ثم روجوا لبضاعتهم ، بنعمة ثانية ترى اللغة بالقصور العمي عن أن تلحق
بركب الحضارة ، وصحوة ايجاد المصطلحات العلمية والتقنية الجديدة في مفرداتها .
وهذا ما أسماه البعض " تخلف العربية " . عن اللهاق بركب العلوم
والفلسفة . (١)

ان في جعل اللغة الاجنبية ، لغة أولى أو شريكة للعربية ، مؤامرة بحسب
الناشئة . وتفقيها لقدراتها .

ومن ثم ، فهي عملية تشكيل نفسي وذمعي خادع ، ولقد اثبتت جميع
الابحاث النفسية والاجتماعية والتربوية أنه لا يجوز تدريس مطلق علم من العلوم
بغير اللسان القومي . عدا كي لا تضاف عقبة فهم غير القومية على عقبة فهم
المادة الفكرية . " فالانسان عاجز قوميا من ان ينتمي الى اكثر من مجتمع واحد .
كما هو عاجز عن ان ينتمي الى اكثر من أم واحدة . العلم التربوية واللغوية والنفسية
والاجتماعية ، تزيد على ذلك قائمة : ولا على الانتماء الى اكثر من لسان واحد (٢) .

(١) لبنان في التاريخ حتي ص ٥٥٢ .

(٢) في فلسفة اللغة كمال يوسف الحاج ص ١٣٢ .

" والولد الذي يزاول أكثر من لغته القومية وهو دون العاشرة متضعف
طاقته الاستيعابية بين لغتين ، واحدة يتكلمها تلقائية وواحدة ينكلمها
بجهد في اللسان والفكر ، مما يضيغ عليه وقتا كبيرا ويجعله يتذبذب بينهما
بدلا من أن يستقر بصورة نهائية ، وإن نسيها في صحن لغته القومية . وهكذا يتوزع
الولد بين أمتين ، بين تاريخين

ولعل هذا ما يبرر اهتمام الإرساليات في التعليم الاولي ودور الحضارة
اهتماما بلغ حد العناية القصوى . لقد كان جيل الناشئة أمل المبشرين في كل
قرية لبنانية .

ويكفي لنا ^{كلمة} كمال يوسف الحاج ، قصة تعليم هذا الطفل ، فيقول :
" ان كلمات النير تسقط على " اذنه " وترسخ في ذهنه ، بدون أن يعتمد الانتباه
الى استعمال أوجه الألفاظ تتسرب الى فؤاده بلا استئذان تحدث تلقائيا
بطريق المحاكاة . هذا التسرب الى الذهن بصورة عفوية ، لا يحصل تماما لو
انتمى الانسان الى أكثر من مجرى واحد مجتمع واحد لأن الطفل لا يستطيع أن
يجهد فكره ليتعلم اللسان بطريقة واعية على اللغة اذن أن تندس بشكل عفوى
في لسان الرطب و اللسان واحدة " (١) .

ثم يقول :

" قد تتوالى ^{تصويبا} عضويتان على مدى الزمن ، الواحدة تلوا الأخرى . أما سكنهما
تحت سقف واحد ، في زمن واحد ، فهذا اشد من رابع المستحيلات .
" قد يستبدل ^{عضوية} عضوية بعفوية . اذ ذاك يستبدل مجتمعا بمجتمع . . (٢) .

(١) في فلسفة اللغة ، كمال الحاج ، ص ١٢٨ .

(٢) في فلسفة اللغة ، كمال الحاج ، ص ١٢٨ .

كل هذا السعي بخية تكريس ازدواجية جديدة تفصم فكر الامة ، وتفصم

تأثيرها • وتجعل من المواطن فكرا موزعا بين تاريخين ، وثقافتين ، لــــن

يكون متجا بأحدهما ، كما لو كان في ثقافته التومية •

ب - الثقافة :

ان عمر الثقافة ، منوط ، بعمر اللغة • وانذار لغة من اللغات ، أو " تاجنبا "

يعني أن ثقافة أصحابها ليست مما تقدر له الحياة •

وهناك ، صفة واحدة يصح اعطاءها للثقافة ، وهي الصفة التومية • وهذه

تحدد لها لغة التوم أو الامة ، لانها أداة التعبير الاساسية ، ومستودع الافكار والاعاسير

والاخيلة ، التي كانت تجيش في نفوس الاجداد وعقولهم •

وعلى هذا فاللغة والثقافة بحكم ارتباطهما الوثيق يمثلان جانبا واحدا من حياة

شعب أو أمة • من هذا المنطلق ، حدد المرسلون اتعاهم الثقافي • فشكّلوا ثقافة تخدم

مصالحهم غير ترك البرامج التعليمية ، التي صممت ببراعة ودكاء من قبل المستشرقين

والخبراء التربويين •

وقد قسمت هذه الاتجاهات ، حسب مواد التسليم • فأبحاث التاريخ تقوم على

مسح مسطح للتراث السياسي والاجتماعي والثقافي ، مرتكز على فواصل زمنية وأهمية

كحروب الردة مثلا ، وثقفة عثمان ، وصراع معاوية مع الامام علي " رضي الله عنه "

والحزبيات في العصر الاموي ، والانشاقات المذهبية ، وغير ذلك من جروح أصابت

الامة الاسلامية والعربية ، منكبين على تفاسلها وأسبابها ^{ونشأتها} / مخرجين عن مناهي الانتصارات

العدايمة في الفتوحات التي وان ذكرها فلا تزيد عن غزوات استهدفت المال والنساء ،

في حين تقوم أبحاث التاريخ الاموي على رسم الجوانب الايجابية التي تخلق للجويل

المتعلم عالما جميلا في الماضي والحاضر • لتزيد في ضمير البؤس عند المواطنين
من مقابلة الصورة التي يعيشها في وطنه والتي يعيشها المواطن في ارضه •

هذا بعدا عن اهتمامهم بالتاريخ الاعلى القديم ، وينشر خرافة الحضرات
الارلى كالفيديقية في الشام والاشورية في العراق والفرعونية في مصر وهكذا • اما في
الادب العربي ، فتذوب معايير الجمال امام نتاج الشعراء والادباء والكتاب مواطنين
من هذا التراث مجموعة وثقات ظلمية ، او انذابا ماحبا خلبها الى الخمرة والمرأة • او
غولها جنسيا شاذا للخلطان • او وصفها ماديا نظما للطبيعة / لا يعدوا الاهتمام الحسي
في حين تنجلي المعايير الجمالية في ابي حنبلها امام نتاج الادب الاوروبي شعرا
ونثرا •

ان تثقف الناشئة في هذه المدارس الاجنبية لمن ينتج عنه الا الانزواء المعنوي •
والا الاتكالية النفسية والميل الفكري الى المجتمع الآخر •

واخيرا لا بد من توضيح مسألة في غاية الخطورة وهي مسألة ربط الابعاسات
القومي يوما رافق ذلك من احياء للتراث بالجهود التبشيرية في لبنان وسورية • ذلك
الربط الذي يحلوا لبعض المؤرخين اللبنانيين ، فيرجحون في كل حديث لهم الى ان نشر
الثقافة وبث الوعي القومي بين افراد الامة ما كان ليحدث لولا جهود المبشرين •

ان هذا الادعاء مبالغ فيه الى درجة الدس والنشويه التاريخي • • وخير دليل
على دحض ما يذهبون اليه حوادث لبنان عام ١٨٦٠ ، تلك الفتنة التي غذانا مولانا ،
مستفيدين من جهل بعض الفئات وتعصبها ، لذر قرن الخلاف بونزيق شمل الامة ،
ثم " ما اقبل ذلك من نتيجة سيئة في محاولة شد لبنان والاتجاه به خارج الحلهمرة
العربية " (١) .

(١) بنة لقا الحرب ، جورج انطون نيوس مرزا ١٢٦ وما بعدها •

ومما لا ريب فيه ، أن هذه الرسائل ، قد ساعدت على انشاء الكثير من المدارس وتطوير أنظمة التعليم ، ونشر الكتاب كما أدت بطريق غير مباشر إلى نشر حيز من الثقافة بين أفراد الأمة ، وتكوين جيل طليعي مثقف فكر في البعث القومي بعقلية مستنيرة طرأنا نرى أن هذه البعثات التبشيرية لم تقصد بعث الروح القومية ، بل اتر ذلك بشكل غير مباشر عن طريق الاسهام في تجديد المجتمع وإشاعة الحلم بين فئات اللبنانيين " المسيحيين خاصة " .

الباب الثالث

الفصل الاول

اتجاهات البحث اللغوي في لبنان في القرن التاسع عشر

اتسم الدرس اللغوي ، في القرن الماضي ، عند اللبنانيين ، بسمّة الجمع والربط والتنسيق والابتداع والاتباع لطرائق البحث وعرض المسائل في حدود التفكير اللغوي العام . فقد نظر هؤلاء ، في جوانب متعددة ، في اللغة ، جديدة بالدرس والنظر ، وبالرغم من تشعب هذه الجوانب وتنوعها ، فانه يمكن تصنيفها الى طائفتين رئيسيتين :

- طائفة تتصل بجوهر اللغة وحقيقتها ، وما يتمثل فيها من جوانب ترتبط بعناصرها الاساسية المكوّنة لها من دراسة للصوتيات والصيغ والتراكيب والمفردات ومدلولها وغير ذلك .
- وطائفة تتمثل في مجموعة القضايا والمسائل التي تتصل باللغة من قريب او بعيد ، كسألة وظيفتها في المجتمع واللهجة واسباب تنوع اللهجات في اللغة ، والمستويات اللغوية (الفصحى والعامية) والصواب والخطأ في اللغة وغير ذلك .

اولا : الطائفة الاولى :

قلنا ان الطائفة الاولى تنطوي على تلك الجوانب الرئيسية التي تتصل بجوهر اللغة وحقيقتها ، والتي ترتبط بعناصرها الاولى المكوّنة لها . وهذه هي عبارة عن اصواتها وصيغها وتراكيبها ، ثم مفرداتها . ومعاني هذه المفردات . وكل ما يتعلق بها من قضايا .

والجدير بالذكر ان لغوي لبنان في القرن التاسع عشر ، لم يخصصوا لكل جانب من هذه الجوانب فرعا من فروع علم اللغة ، او مستوى معيناً من البحث ، يفرسون جهودهم لخدمة هذا الجانب او لدراسة مشكلاته ومناقشة حقائقه ، بل كانت هذه الجوانب تدرج - معا - في مقدمة كتاب مثلا ، او بتطبيق عطي من خلال قاموس كما فعل الشدياق في كتابيه : الجانوس على القاموس وسر الليالي في القلب والابدال . او انها تشكل مادة كتاب معينة ، كما نعمل

جرجي زيدان في " فلسفة اللفظة " . او انها ترد بشكل مقالات متفرقة لا رابط بينها ، كما هو الحال عند ابراهيم اليازجي ، في مجلة الجنان والطيب . او بشكل تنبيهات كما هو الشأن في تلك الردود اللغوية عند الاسير والشرتوني والبستاني وغيرهم .

وسنتناول من هذه المباحث الفكرة الصوتية ، والفكرة الصرفية ، وعلم النحو بحدوده الضيقة اي في نطاق مداره التقليدي من بحث في الاعراب ومشكلاته ، ومحاولات في ايجاز اللفية والمتون والشروح المختلفة او التعليق عليها .

- اما الفكرة الصوتية فنعني بها هنا ، الجانب الثاني من دراسة الاصوات ، اي جانب علم وظائف الاصوات اللغوية " الفونولوجي " حيث قامت دراسة الشدياق ، ومن بعده زيدان ، فنظر الى هذه الاصوات نفسها ، من زاوية وظائفها اللغوية في الكلام ، كعناصر مميزة له . وهذا ما كان اساس نظرية الجذر " الثاني " عند الشدياق ، وزيدان ، وما قام عليه مضمون معجم " سر الليال " عند الشدياق .

اما الفكرة الصوفية فنعني بها الفكرة المعجمية التي تراوحت بين النظرية والتطبيق والوضع والنقد عند الشدياق والبستاني والشرتوني . وما كان من مجال البحث في المفردات او الثروة اللفظية لمادة المعاجم القديمة . والتصرف بها من خلال التعديل والاضافة والحذف والتصحيح . ثم ما كان من محاولة وضع هذه المادة وضعا جديدا يتلاءم ومتطلبات العصر في تناول المادة . وهذا ما تمثل في تنبيهات وانتقادات الشدياق في " الجاسوس " على نقده للفيروزا بادى ، ووضعه لنظرية المضاعف الثنائي . وتنبيهات الشرتوني في " ذيل " " افسر بيا الموارد " او تنظيمات البستاني في تنسيق المادة ومترعاتها .

ثم مارافق دعوة الشدياق واليازجي والبستاني والشرتوني الى وضع اللفظ ، والمصطلحات العلمية والفنية التي استلزمها الحياة الجديدة . داعين من خلال ذلك الى الاشتقاق والنحت في يتم جمع هذه الثروة اللفظية التي تنقصنا .

- الفكرة الصوتية -

مهدت الفكرة الصوتية - عند بعض لغويي القرن الماضي - طريق البحث العام ، في اكثر شؤون اللغة . فقد كان لهذه الفكرة الاثر الواضح في عظمهم الذي تجسد في معجمات وكتسب لغوية ومقالات .

واولى هذه الافكار الصوتية :

أ - محاكاة اصوات الطبيعة :

كان لفكرة محاكاة اصوات الطبيعة ، او الاصوات المسحوفة والعمل على تقليدها ، اكبر الاثر في تفكير واعتقاد ابرز هؤلاء العلماء ، كالشدياق وجرجي زيدان ، وابراهيم اليازجي . وكانت مدار ابحاث كثيرة عندهم ارتبطت باساس نشأة معظم الكلمات في العربية ومختلف اللغات الاخرى . ذاعبين في هذا مذهبا قديما طرقه ابن جني في الخصائص وابن سينا في اسباب حدوث الحروف ، تلك النظرية التي تذهب الى ان الانسان بدأ بمحاكاة الاصوات ، وقصد من هذه المحاكاة التعبير عن الشيء الذي يصدر عنه الصوت المحاكى او عما يلازمه او يصاحبه من حالات وشؤون . مستخدما في هذه المحاكاة قدرته على لفظ اصوات مركبة ذات مقاطع . مما جعل لفته في مبدأ امرها محدودة الالفاظ ، قليلة التنوع قريبة الشبه بالاصوات الطبيعية التي اخذت عنها ، قاصرة عن الدلالة على المقصود ، ولذلك كان لا بد لها من مساعد يمين على ادراك ماتريي اليه . وقد وجد الانسان خير مساعد لها في الاشارات اليدوية والحركات الجسمية التي سدت فراغا في اللغة الصوتية . واتسع نطاق اللغة من ثم ، تبعا لارتقاء التفكير ومظاهر الحضارة واخذ الانسان يستغني شيئا فشيئا عن مساعدة الاشارات . وتبعد اللغة عن اصولها الاولى تحت تأثير عوامل كثيرة مثل التطورات الطبيعية التي تعتور الصوت واهضا ، النطق الانساني ، والعلاقات المجاورة والشابهة التي تعتور الدلالات وما الى ذلك * (١) .

(١) الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان ، من حاشية الكتاب للدكتور مراد كامل ص ٥٨ .

وقد كان لهذه النظرية الصوتية اهتمام من ثلاثة لغويين سنتناول رأى كل واحد منهم على حدة ، لفروقات في التفاصيل رغم وحدة المبدأ . وهم احمد فارس الشدياق فسي كتابيه : " الجاسوس على القاموس وسر الليال في القلب والابدال " . وجرجي زيدان في كتابه " الفلسفة اللغوية " . وابراهيم اليازجي في مقالات متفرقة في مجلة " الجنان والطيب " .

١ - احمد فارس الشدياق :

مضى الشدياق ، ايماناً منه بهذه الفكرة الصوتية ، في عمل معجم اسماء " سر الليال في القلب والابدال " وقد قام هذا المعجم على نظرية الجذر (المضاعف الثنائي) كأساس عمل لغوي عام .

ويجب ان نربط ، هنا ، بين اعتقاده في المحاكاة ونظرية المضاعف الثنائي هذه ، كأساس في نشأة الكلم . وهو ما ارتضاه لنفسه من ترتيب المواد في المعجم الذي اراد .

ويقول الشدياق في مقدمة معجمه ، سر الليال ، مبيناً ذلك : " اني رأيت ان معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت او حكاية صفة ، وان حكاية الصوت انما تأتي من المضاعف انحدوباً ودف ودفق " . . . (١) .

والشدياق ، حين يشرح معاني الالفاظ يحاول ان يرد لها ، او يرد المعاني التي تدور حولها المشتقات الى هذا الصوت او ذاك .

ففي حديثه عن مادة " هب " يقول : " الهب شرب الماء او الجرع او تتابعه ، والكرع ، وهو حكاية صوت . . والمَّبب ، المياه المتدفقة والعباب بالضم معظم السيل وارتفاعه وكثرته او موجه . وجاء من بعب . البعب : الصب في كثرة وسعة ، والبماع ثقل السحاب من المطر والحوو الاباب والحباب . وكل ذلك يؤيد ماقلته من انه حكاية صوت " (٢) .

(١) سر الليال ، الشدياق ، ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) سر الليال ، الشدياق ص ٥٧ .

وكذلك يفعل في كثير من المواد . من مثل : طب وتعدب وهب . . . مبينا انها مأخوذة من حكاية الصوت او حكاية صفة .

ويقول الكاتب في موضع اخر من الكتاب ذاته * على اني اقول وبالله استعين في تحقيق المقول : ان اللفظة في الاصل كالاسم في كونه يوقف عليه بالسكون قبل اتصاله بفاعله . فاذا اتصل بفاعله فتح . وتقرير ذلك ان الواضح لما وضع قد ودق ودق لم يقصد بها في اول الامر ان تكون فعلا ولا اسما ، بل مجرد حكاية لصوت توهمه بقطع النظر عن شي * اخر . فلما وصل دق بفاعله قال * دق الرجل ولما اراد تخصيصه بان يكون اسما قال دق الرجل . ولهذا كثيرا ما ترى صيغة الاسم والفعل في هذا الباب واحدة .

ويتابع الشدياق قوله : * ولا يكاد يأتي ثلاثي حكاية صوت الا وكان مقلوبه وما يجانسه كذلك . * وذلك نحو دق وقد وقص وقص وقط .

* وربما جاءت مواد متعددة مبدوءة بحرف واحد حكاية اصوات . وذلك نحو الصي * والاصاة والصب والصقب والصت اى الصر . . . وغير ذلك مما يطول تعداده ويميل مراده * (١) .

٢- جرجي زيدان :

ويذهب زيدان نفس المذهب الذي سلكه الشدياق . فيرى ان نشوء اللغة وارتقاها - راجع الى موهبة جعلها الخالق في الانسان ، وهي موهبة التقليد * (٢) فالتقليد - عنده - اساس اللغة ، واصل نشأتها ، ومدار ارتقاها . * لان التفاهم سوا * كان بالاشارات او بالاصوات فهو راجع الى التقليد * .

(١) سر الليال - الشدياق ص ٢٢ - ٢٤ .

(٢) الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان ، ص ١٣٣ .

ويتابع زيد ان حديثه فيربط بين حكاية الصوت ونظرية الجذور اللغوية فيقول :
" اننا نستدل من انكان تجريد قسم عظيم من الاصول الثلاثة الى اصول ثنائية تحاكي اصواتا
طبيعية ، ومن كون الفاظ اللغة من شأنها التغير والتنوع لفظا ومعنى ، على ان الفاظ
المانعة الدالسة على معنى في نفسها يرد معظمها الى اصول ثنائية احادية المقطع تحاكي
اصواتا طبيعية " . (١)

ويعضني في تبيان ذلك في كتابه فيقول في موضع آخر منه : " ان الاصوات الطبيعية
على اختلاف مصادرها ليست من المقاطع الواضحة في شي ، ولكنها تؤثر في اذهاننا تأثيرا اذا
اردنا التعبير عنه نطقنا بمقطع او لفظ يشبهه ، وهذا ما نريد به حكاية الصوت " (٢) .

الى ان يقول :

" فمن حكاية الاصوات الطبيعية الحية وغير الحية على اختلاف مصادرها ومظاهرها
اقتبس الانسان لغته ، فاتخذها اولا بالتقليد للتعبير عما يعدهنها او ما يتعلق به ، وهذا ما
يسميه باللغة الطبيعية ، ثم تنوعت وتفرغت بالنحت والابدال والقلب تبعاً لاحتياجات الانسان
حتى صارت الى ما هي عليه بتوالي الاجيال " . (٣) .

ويشرح زيد ان طريقة المحاكاة هذه غيرى انها تهدأ في " ان يقلد الانسان تلسك
الاصوات او ما يحاكيها للدلالة على الاشياء التي تحدثها كما لو اراد الدلالة على الكلب
بتقليد صوت عوائه ، او الاشارة الى الريح بتقليد صوت هبوبها ، او اراد قولنا (قطع)
تقلد صوت القطع ، وهو " قط " او ماشاكلة ذلك (٤) .

وكان زيدان ، يدرك صعوبة قياس هذا على كل مفردات اللغة ، فيتوسل طريق
المجادلة معتمدا على مرحلية التطور التي فرعت ونوعت مداني الكلم جريا على ناموس الارتقاء
المقام .

(١) الفلسفة اللغوية ، زيدان ص ١١٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٤٠ .

(٣) = = ص ١٤٠ .

(٤) = = ص ١٤٠ وما بعدها .

ولنتركه في سبيله يدافع قائلا ، " وقد يعثر التسليم بنشوء اللغة عن الاصوات الطبيعية وحدها لانها لا تكاد تذكر بالنسبة الى الفاظ اللغة واشتقاقاتها وانواع تعبيرها مما يعد بمثابة الالف ، على حين ان الاصوات الطبيعية لا تكاد تزيد على المئة ، والجواب ان ذلك طبيعي جار في الطبيعة يتناول سائر الاجسام الحية وما يتعلق بها ، فكلها تنمو وترتقي وتتفرع وتتكاثر جريا على ناموس الارتقا^١ العام . فقد رأيت فيما تقدم من تاريخ الانسان انه تدرج الى سائر حاجيات ، فارتقى من ابسط الالهوات الى ما يتكرب منها حتى صارت تعدد بالمئات ، فكانت القطعة من الجلد مثلا تقوم عنده مقام كثير من الثياب والاثاث ، فكان يتزويها نهارا ويتحلفها ليلا . . .

وقد يستعين بها على اعمال اخرى كثيرة لاتحصى ، فهي تقوم عنده مقام اللباس والفراش . . . غير ذلك . وهكذا يقال في الفاظ اللغة ، فقد كانت اللفظة الواحدة ، او المقطع الواحد يقوم مقام مئات من الالفاظ ، من امثلة ذلك ان الانسان رأى الماعز مثلا وسمع صوته ، فدل عليه بحكاية صوته ، وهي " مع " وهكذا يفعل الاطفال اليوم ، فانهم يدلون على الماعز بقولهم " مع " ولكنهم يدلون بها ايضا على لحمه وعلى ^{سنته} وعلية وعلى اشياء اخرى يختلف تعيينها باختلاف الاحوال والانسان في اول فطرته سمع صوت القطع مثلا ^{تفعلوه} بقطع " قط " وجعل يدل به عما هو في لغتنا قطع او كسر ، ولكنه كان يدل به ايضا على كل ما يتعلق بالقطع ، مثل فعل القطع ، والمادة المقطوعة واليد التي قطعت والاحوال التي قطعت فيها وما شاكل ذلك .

ثم ان كل مقطع من المقاطع الطبيعية يتحول بالتحول والنحت والابدال والقلب ، وبالنمو ، والتفرع والتشعب الى الفاظ كثيرة مشتركة في المعنى الاصلي ، فيخصص الانسان كل تفرع لفظي بتفرع معنوي على اساليب وطرق لاضابط لها " (١) .

ويمعن زيدان في التدليل على مذهبه ، بعودة تاريخية للالفاظ ودراسة احوال اللغات على اختلاف درجاتها منتهاها الى ان لا فراسة في مذهب اليه .

ويورد امثلة تقريبية نوجز منها هذا المثال : " لفظوى ، وهي لفظ ينطق بهسسا

(١) الفلسفة اللغوية ، زيدان ص ١٤٠ - ١٤١ .

الانسان للتأوه من فطرته ، وقد تركب منها ومن لام الجر لفظ ، ويل ، يدلون بها على التفجيع او حلول الشر ، وقد حرقوها وزادوا فيها ، فقالوا ويل وتويل وتوايل واتم مطوها اسما لواد في جهنم السح . . .

"وقد شق الانسان من حكاية صوت التوجع "آه" فعلا فقال : (آه يأوه أوها) اي شكنا وتوجع وهكذا (تأوه تأوها) . وقد دعوا داء الحصبة (آهة) والجدري (مأهة) وكل ذلك لتناسب في المعنى واللفظ ، وهذه التسمية تذكرنا بلغة الاشارات حيث يعبرون عن المعنى بتقليد صفة من صفاته ، او تشخيص حادثة ملازمة له ، فانهم بتسميتهم الحصبة (آهة) كأنهم يشخصون ما يرافق ذلك الداء من تأوه المريض . . (١)

٣- ابراهيم اليازجي :

ويتابع ذلك ابراهيم اليازجي في احدى مقالاته ، ولكن بحذر وتحفظ شديد ، رغم اعتقاده بأصالة الفكرة . فيران الجدير هنا في البحث ان اليازجي لا يذهب مذهب تعميم الشدياق او مغالبة زيدان . بل يكفي بعرض الفكرة عرضا يفهم منه انه ناقل ، وراصد للفكرة ليس الا .

فهو يقول : " ثم انا اذا تفقدنا الالسنه القديمه وجدنا كثيرا منها منقولا عن الاصوات الطبيعيه ، تحداها الانسان بمطلقه ، وحكى بها الصوت المسموع ، فاهتدى السامع السسى مراده بمعرفة ذلك الصوت في عهده . . "

ويتتبع خطى الشدياق ، ناقلنا نفس الالفاظ فيقول : " وذلك ان لفظ دق مثلا ، اذا اعتبر فيه جانب الحكاية ، ولا شك انها كانت معتبرة زمان الوضع ، كان حقيقيا ان يدل بنفسه على المعنى المقصود منه ، لانه حكاية الصوت الطبيعي الناشئ من صك جسم جامد بمثله . وقس عليه كثيرا من امثاله ، وان تفاوت امرها في الوضع والخفاه " (٢)

(١) الفلسفة اللغوية ، زيدان ص ١٤٧ .

(٢) عن الروائع ، جزء ٤١ ، فؤاد افرام البستاني ، ص ٢١ .

وهكذا يرجع اليازجي " اصل المواد في اقدم اللغات الى ذينك الحرفين ، المشكلين صوتا بسيطا (١) نتج عن الاصوات الطبيعية . و " آثار هذا في لغتنا اكثر من ان تحصي ، وذلك كقولهم : خسر العا ، ونشت القدر ، وطن الذباب ، وهلم جرا ، (٢) مما لاشك في كونه مأخوذا عن الاصوات الطبيعية لظهور حدايتها فيه .

لكن ابراهيم اليازجي ، سرعان ما ينسب هذا القول الى غيره فيقول : " وهذا هو القول الشائع عند جمهور علماء الالسنه ، واليه مال ابن جنبي وغيره من المحققين (٣) .

ب - الاصوات التي تدخل في تركيب الكلمات :

تابع اللغويون في القرن الماضي ما بدأ به ائمة اللغة قديما من درس لمسألة الاصوات التي تدخل في بنينة تركيب كل لغة ، هذه الاصوات التي يرمز لها بالحروف .

وقد بحث الشدياق في هذا ، موضحا معنى اختلاف عدد الاصوات في كل لغة عنه في الاخرى ، واختلاف دوران الصوت الواحد في اللغة الواحدة واختلف الاصوات او عدم اختلفها في اللغة الواحدة . وتعرض لهذه المسائل جميعا مبديا موافقته احيانا لما ذهب اليه اللغويون الاولون ، او معلننا مخالفته لهم احيانا في اكثر من موقف .

وهو يذكر لنا ان اللغويين يختلفون في عدد حروف الهجاء ، وفي ترتيبها ، فعند بعضهم ومن جعلتهم الخليل بن احمد والمفارية انها تسعة وعشرون حرفا ، وعند بعضهم ثمانية وعشرون . وكان حجة من بعدها تسعة وعشرون ان الالف احدى حروف العلة فهي اذا حرف ٠٠٠ (٤) . وحجة من بعدها ثمانية وعشرين انها اي (الالف) لا يفرد لها باب في اللغة ، لانها لا تكون الا زائدة او مقلوبة فلا تفر عليها افعال كسائر الحروف .

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٢ (بتصرف)

(٢) = = = ص ٢٢ (بتصرف)

(٣) = = = ص ٢٢ (بتصرف)

(٤) الجاسوس - الشدياق . ص ٤٠ .

"وقبي علينا ان نعلم . . . وان نعلم ايضا من رتب الحروف هكذا . ولاى سبب فصل بين المتجانس منها مثل التاء والذال والطاء والهمزة والعين . والثاء والذال والظاء - والحاء والهاء ، فانا نرى بعضها ينقلب عن بعض في الفاظ كثيرة لاتعد ولا تحصى "

وفي الصحاح والقاموس والعياب واساس البلاغة والنهاية والعليات رتب الراء قبل الهاء وفي المصباح ولسان العرب وشفا الغليل رتب الهاء قبل الواو (١) .

ويتابع ذلك فيقول ايضا : " واقرب من ذلك مخالفة المغاربة لنا في ترتيب حروف الهجاء جملة فانها عندهم هكذا (٢) " اما ترتيب الحروف على ابيجد فالظاهر انه جرى على ترتيب اللغة السريانية الى حرف التاء وهي فيها تاو . ثم زادوا عليها تخذ ضظح . . . (٣) .

كما عرض الشدياق لاختلاف آخر يتعلق باختلاف عدد الاصوات في كل لغة عنها في الاخرى . والاصوات التي تتألف منها الكلمات في العربية ، غير تلك التي تتركب منها فسي السريانية ، غير تلك التي تتركب منها في الانكليزية . . . وهكذا .

ويرى الشدياق ان اللغويين العرب قد وقعوا في بعض الاخطاء عند محاولتهم حصر هذه الاصوات وبيان ما يوجد منها في لغة العرب ولا يوجد في غيرها من اللغات . وانهم قد جازفوا حين قالوا ما قلوا . ولنسمه في حديثه : " وانما نقل الشارح عن المحشي ان الشيخ ابا حيان رحمه الله قال : ان العرب انفردت بكثرة استعمال الضاد وهي قليلة في لغة بعض العجم ومفقودة في لغة الكثير منهم وذلك مثل العين المهملة . وذكر ان الحاء المهملة لاتوجد في غير كلام العرب (٤) . ونقل ما نقله في الضاد عن شيخه ابن ابي الاحوص . ثم قال : والظاء يعني المشالة مما انفردت به العرب دون العجم . والذال المعجمة ليست في اللغة الفارسية . والثاء المثلثة ليست في الرومية ولا الفارسية قاله ابن قريظ . والضاد ليست في لسان الترك . قال : فهذه فوائد يحتاج اليها وقد اوردها بالمناسبة لخلو كثير من المصنفات منها مع انه ربما يتوقف عليها كثير من الاحكام اللسانية . اهـ .

(١) الجاسوس ص ٤٠ .

(٢) الجاسوس على القاموس ، الشدياق ، ص ٤٠ - ٤٢ .

(٣) ا ب ت ث ج ح د ذ ر و ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لاى .

(٤) انظر جمهرة ابن دريد ص ٤ .

قلت هذا الذي ذكره لا يحتاج اليه اصلا لانه غير صحيح . فان الحاء توجد في
السريانية والعبرانية وغيرهما . ووجود الثاء في اللغة الرومية اكثر منه في اللغة العربية .
والفاء توجد في اللغة التركية فما معنى هذه المجازفة " (١) .

ومسألة الاختلاف في عدد الاصوات في اللغات المختلفة انما تظهر آثارها في ترتيب
المصطلحات واسماء الاعلام ، اذ في مثل هذه الحالة يحتاج المترجم الى ادخال صوت جديد
في اللغة والى التعبير عنه برمز جديد .

كما عرض الشدياق لمسألة الاصوات التي تأتلف والتي لا تأتلف ، ثم الاصوات المؤتلفة
حين يكون ائتلافها منتجا او عقيبا . وهي مسألة عرض لها الاقدمون ايضا في الكثير من الكتب .
وبخاصة تلك التي كتبت في العهد الاول من عهود اللغة كالعين للخليل وجمهرة ابن دريد .
وكل كتاب لغوي جمع وحرص فيه صاحبه على بيان الكلمات المستعملة والكلمات المهملة . وهذا
هو قول ابن دريد في الجمهرة : " (فأول) ما يحتاج اليه الناظر في هذا الكتاب ليحيط علمه
بمبلغ عدد ابنتهم المستعملة والمهملة ان يعرف الحروف المعجمة التي هي قطب الكلام .
ومترجمها : بخارجها ومدارجها وتباعدها وتقاربها وما يأتلف منها وما لا يأتلف وعلّة امتناع ما امتنع
من الائتلاف وامكان ما امكن . وانا مفسر لك ان شاء الله تعالى الفاظ الحروف المعجمة بخارجها
ومدارجها وتقاربها وتباعدها وما يأتلف وما لا يأتلف بعلمها (٢) "

والشدياق حين يدلنا على الصيغ المهملة لا يذكر لنا الاسباب الدائمة الى هذا
الاهمال في وضوح وبيان . كما كان الاقدمون من اللغويين يفعلون . وانما كان يكتفي بان يقول
لنا ان العرب لاتجمع بين عذا الصوت وذاك او هذا الحرف وذاك في كلمة واحدة . . .

(١) الجاسوس على القاموس ، الشدياق ص ٢٨٩ .

(٢) جمهرة اللغة ابن دريد ، ج ١ ص ٤ . (طبعة بالافست) دارصادر . بيروت

وهذه بعض الامثلة التي اورد الكثير منها في كتابه "سر اللبالي" لم يأت في التركيب قلب ولا مقلوب له " (١) " لم يجي تركيب ذت ولا شي " بعده (٢) " " واعلم انه لم يجي " في تركيب الكلام تص (٣) " " لم يأت في الكلام ذت ولا شي " متفرع عليه ولا مقلوبه (٤) " " ثم الاجاص بالكسر مشددة ثم ام دخيل لان الجيم والصاء لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب (٥) " " واعلم انه لم يجي " عجب لمكان العيم والقاف (٦) " " واعلم انه لم يجي " في الكلام فجر " (٧) "

وهكذا يفصل حين يتحدث عن الصيغ العقيمة " يقول : "فته في الماء فطه ومثله غسه وفتته وبالامر كده ولا يخفى مجانسة الغين للكاف والتاء للدال " وهو من الانفعال العقيمة (٨) " ثم ولي رت زت وهذا التركيب عقيم (٩) "

اما الاقدمون فقد حاولوا تحليل هذه الظواهر " وهم في تحليلاتهم لها يحاولون ارجاع السبب الى عمل الارادة الصوتية الى عمل الحنجرة "

- اما اليازجي ، فيتناول موضوعا دقيقا يشرح فيه معنى الصوت والاشارة ، واقتديت به الصوت الذي يمثل آلة التفاهم والبيان ، لانه يتناول بالاذن " فيصلح لفهام المقبل والمعرض وسائر الدوالي من الاشارة ونحوها ، وان قامت بيمض هذا البيان ، لا تتناول الا بالنظر " و " " " تأدية المعاني بالصوت ، امر طبيعي مخلوق في الانسان " " " "

الى ان يقول " " لما كانت جوارح الصوت في الانسان اطوع لتكييف وتحقيق مقاطعه

(١)	سر اللبالي ، الشدياق ، ص ٢٠٩	(٧)	سر اللبالي ، الشدياق ، ص ٤٥١
(٢)	= = = ص ٢٩٣	(٨)	= = = ص ٢٨٨
(٣)	= = = ص ٣١٥	(٩)	= = = ص ٣٠٢
(٤)	= = = ص ٣٧٧		
(٥)	= = = ص ٤١٨		
(٦)	= = = ص ٤٤١		

كان الانسان ناطقا بالطبع ، ويدل على كل معنى بلفظ موضوع له ، وسائر الحيوان لا يخرج عن مثل ما ذكر من الاصوات الطبيعية يدل على انفعاله بطبقة الصوت ، وهيئة اطلاقه ، وبين ان يكون ليئا ، او خشنا ، او عاليا ، او سافلا ، الى ماشاكل ، ذلك فهو بالصوت الموسيقي اشبه منه بالصوت المنطقي . ولذلك كان اكثر حاله الدلالة على المعاني الوجدانية من نحو الحزن والالم
وقلما يدل على معنى خطاي ، كدعا الوالدة من الطير فراخها للزق . . . الى غير ذلك مما يقع به التفاهم ، وما اتفق عليه علماء الطبائع بتكرار المشاهدات ، وان لم يتبينوا كيفيته ، الا انسه على الجملة محصور في حدود لا يتعداها ، ترجع الى صيانة الحياة وبقا النوع (١) .

ويضي اليازجي في تبيان اولية هذه الالفاظ الدالة على الوجدان ، في الوضع ، لكون معانيها اقدم في الطبع ، فيقول : " ولذلك كثر فيها الصوت الهامى الذى هو ابسط الاصوات ونعني به حرف اللين على اطلاقه . " وقلما دخل في تركيبها غير احرف الحلقى لقرب مخرجها من الحنجرة التي هي موضع تمثل الصوت ، وذلك من نحو : آه ، وآخ ، ووى واشباهها مما نعبر عنه باسماء الاصوات ، وهي من اللفظ المشترك في اكثر اللغات على صور متقاربة " (٢)

ج - العلاقة بين الصوت والمعنى :

من كل ما تقدم من درس للصوتيات ، يتبين لنا ان علماء القرن الماضي ، في لبنان ، قد اولوا هذه الوجهة عنايتهم حتى اتملت صورة الفكرة الصوتية بمبحث العلاقة التي اعتقدوا بوجودها بين الصوت والمعنى ، او بين الحرف الذى يرمز الى الصوت والمعنى . فقد رأوا كما رأى القدماء من اللغويين العرب ، قبلهم ، ان بعض الحروف تدل على الصلابة والقوة ، وبعضها يدل على اللين والرخاوة وهكذا

ويعرض الشدياق لهذه المسألة على نظام دقيق فهو يتناول الحروف حرفا حرفا ، ويحاول ان ينبه على المعاني التي يوحي بها ، او يدل عليها الحرف . وهذا ما فعله في كتابيه " منتهى العجب في خصائص لغة العرب " الذى لم يطبع ، وما زال مخطوطة مفقودة .

(١) عن الروائع ، فؤاد افرام البستاني ص ٢٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٢١ .

وبعض سوانح وردت في " الساق على الساق " .

ولصمعه في مقدمة " الفاريان " (١) هذا يقول : " فمن خصائص حرف
الحاء السمة والانبساط نحو الابتحاح والبراح والابطح والابلنداح . .

" ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والفضاضة نحو البراخدة والتيد
والتأء والشهد . . والشهد و . . الخود . . . وربما عادلوا في بعض الحروف . اي
راعوا فيها الاكثار من النقيض فان حرف الدال يشتمل ايضا على الفاظ كثيرة تدل على
الصلابة والقوة والشدة . وذلك نحو التأدى والتأكيد والتأييد والجلمد والحديد
والتشدد . . . الخ

" ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو أرم وأزم وترم وجزم
وجرم وجزم . . ويلحق به من الامور المعنوية حم الامر اي قضي وحرم وحم وجزم فان
معنى القطع ملحوظ فيها . ويكثر في هذا الحرف ايضا معنى الظلام والسواد .

" ومن خصائص حرف الهاء الحلق والغفلة والرتث . اي قلة الفطنة نحو
اله وأمه وبلسه و . . وقس على ذلك سائر الحروف (٢) .

وما يذكره الشدياق ايضا في هذه المقدمة ، انه قد درس في كتابه " منتهى
المعجب . . . " اشياء اخرى تدخل في خصائص هذه الحروف وعجيب صفتها وغريب
امرها . وما يدخل في بحث كون بعض الصيغ يختص بمعنى من المعاني نحو اجرهد
واسمهر (٣) .

هذا ويشرح لنا الشدياق ، تلك الصلة الكامنة بين الاصوات والمعانسي
حين يتحدث عن حكاية الصفة وكونها عاملا من عوامل نشأة اللغة ، فيقول :

" اما حكاية الصفة فهي نظم حروف يتوهم الناظم منها انها تدل على صفة
شي . باعتبار ما في تلك الحروف من اللين والترخيم والشدة والتفخيم كقولهم مثلا شي .

(١) كلمة منحوتة من (الساق على الساق فيما هو " فارس الشدياق ") تدل

على اسم الكاتب .

(٢) من مقدمة الساق على الساق ، احمد فارس الشدياق ص ٦٥ - ٦٦

(٣) = = = = = ص ٦٦ .

منظم اى مزخرف . . . وشي " ملطس او مدور مضموم مجتمع . . . وقولهم امرأة
رجراجة اى يتخرج عليها لحمها (وربما التبتت عنا حكاية الصفة بحكاية
الصوت) وقول العامة مررب للصين المكتنز " (١)

" وهلى هذا الاساس السابق اساس الصلة بين الحرف والمعنى كان
الاقدمون يقولون بان الكلمات التي تكون فؤؤها وهينها من اصوات واحدة تكون
معانيها متشابهة او متقاربة .

ويقول الشدياق " ان الزمخشري قد ذكر هذا عند تفسيره لقوله تعالى
واولئك هم المفلحون . من كتاب الكشاف .

" وهذا ما ذكره الزمخشري على الصورة التي اورد به الشدياق (المفلح)
الفائز بالهزيمة كانه الذى " انفتحت له وجوه الظفر ولم تستفلق عليه . (والمفلح)
بالجيم مثله . ومنه قولهم للمطلقة استفلقى بامرک بالحاء والجيم . والتركيب دال
على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى " (٢) .

وللشدياق ايضا بعض الاراء التي استخلصها من مطالعته في التنبؤ
اللغوية ، وقد سجلها في " سر الليال " من هذه الاراء ما ينطوى على فهم دقيق
للسوتية . وقد جاء في الصفحة الثامنة من مقدمة الكتاب المذكور ما قوله : " كثيرا
ما ترى معنى القطع يجمع معنى الجمع فان من اراد مثلا ان يضح ابريقا ونحوه فانه
يجمعه اولا . . . فهذا الجمع لا يخلو من القطع ومن ثم جاءت الفاظ كثيرة بمعنى
القطع والجمع فمن باب الباء وحده جاء قطب اى قطع وجمع وشعيب اى جمع وفرق وصرب
قطع وصرب اجتمع واكثر الافعال المقدرية تأتي مفتوحة العين في هذا الاسلوب
واللازمة مكسورة .

" وكثيرا ما تجد المضاف به لى قطع ومعتل اللام بمعنى جمع نحو جب وجبى
وقب وقببا .

(١) سر الليال ، الشدياق ، ص ٣١ .

(٢) الجاسوس على القاموس ، الشدياق ، ص ٢٧ .

" واجدر بالمعتل ان يسمي صدى المضاعف فانه اهدا يحكيه وهذا كثير

ايضا ما تجد الفعل مهدو^١ بالكسر مثلا ثم يشتق منه الفاظ للقطع نحو هس
كسر والهسها من القصاب او يبتدي^٢ بالطعن ثم ينتهي بالقلع كما في نشص او
بالقطع ثم يشتق منه لفظ للتبديد او للانساد لما تقدم من ان هذه المعاني
اخوات^(٣) وكتهسرا^(٤) ما تجد فعلا واحدا متضمنا لمعنى القطع والكسر كما في
اجترع او يكون جامعا لجميع هذه المعاني كما في عبط فانه بمعنى ذبح
وقسر وجفروشق واثار واقترى واجرى .

" وربما ذكرت مثلا من حكاية صوت او كان حاصله الشق او القطع او
اسما من حكاية صفة من دون تنبيه على ذلك . . . وقلما رأيت مادة خالية
من فعل يدل على القطع الا ووجدت فيه لفظة ترادفها قطعة او فرقة وهذا
النوع لم احرص على تتبعه كما حرصت على تتبع الافعال وانما جمعت منه ملعن^(١) .

ولا يخفى ما للدراسات القديمة من اثر في دل ما ذهب اليه الشدياق
وفيره من الملما^١ المحدثين في ربط الحرف بالمعنى وعلائق الجذر بالاشتقاق
وعلائق المقطع بمدلوله وفير ذلك من المباحث الصوتية التي ذهب اليها الثعالبي
في " نقه اللغة " واهن جنى في " الخصائص " وسواهم .

ويتابع زيد ان ما ذهب اليه الشدياق ، فيرد الالفاظ كلها الى اصل هذه
العلاقة بين حروفها والمعنى . مبينا ان الالفاظ ذات المعنى الواحد -
حسب رأيه - ترتد الى اصول ثنائية (احادية المقطع) ثم يقيم الصلة بين
هذه كأصول والمعنى الطبيعي . . . و " قط " وقطب وقطف . . . جميعها تتضمن
معنى القطع . . . والاصل المشترك فيها قط ، و " هو بنفسه حكاية صوت القطع
كما لا يخفى (٣) " . . . و " منها جتد وجذب " يقال جذب الريق اذا انقطع . . .
وجذر وجذف وجذم وكلها بمعنى قطع ، ويجانس جتد جز وهذه حكاية صوت المقص ،
اذا جرت شعرا او صوفا . . . و " تنوهات هذا المعنى تفوق المثات عددا ، وقد

(١) سر اللبيال ، الشدياق ص ٨ و ٩

(٢) سر اللبيال ، الشدياق ص ٨ من المقدمة .

(٣) الفلسفة اللغوية ، زيدان ، ص ١٠٠ (بتصرف) .

تصرفوا في استعمالها على طرق مختلفة حقيقة ومجازا ، وكلها ترد بالاستقراء
الى اصل واحد ، وهو حكاية صوت كما رأيت (١) .

ويتابع قوله ، فيرى انه " من ضروب الفتح (لنا) فق ونقاً وفقح . . . والعامه
تقول فقح وجميعها ترد الى فق وهذه حكاية صوت القرية اذا شقت وهي ملائمة
او ما شاكل (٢) .

وستتناول قضية المضاعف الثنائي ، ونظرية تشكيل الجذر عند هؤلاء اللغويين
في الفصل التالي من البحث .

الفكرة الصرفية والروابط الوضعية :

قلنا ان اللغويين اللبنانيين في القرن الماضي نظروا في الفكرة الصوتية
من زاوية وظائفها اللغوية في الكلام كعناصر مميزة له . وقد ارتبطت هذه الابحاث
(المورفولوجية) الى حد كبير بقضايا العلاقات الوصفية التي في اصل الجذر ،
ومراحل تطوره ، وما لحق ذلك من مسائل في الاشتقاق والقلب والابدال .

وما هو جدير بالذكر ان كثيرا من هذا الاعتقاد او التطبيق الذي قام به
بعضهم كالشدياق ، او ما استدلوا به من برهان ، يرتبط بالدرس اللغوي القديم ،
وقليلا ما يخلو من التقليد والاتباع ، كما لا ينجو - احيانا كثيرة - من الخطأ والزلل .
وان كان المنطلق الاساسي بيدوسليما في البداية .

فكرة الجذور - " النظرية الثنائية " :

كان من نتائج الدرس اللغوي في الصوتيات ، وعلاقتها الطبيعية ان
اعتمد لغويو القرن الماضي ، تقرير نظرية واحدة في الجذور اللغوية ، آمنوا بها ،
ودافعوا عن اصلتها وصوابها .

(١) الفلسفة اللغوية ، زيدان ، ص ١٠٠

(٢) الفلسفة اللغوية ، زيدان ص ١٠١ .

ويمكن ان نعتبر " نظرية الثنائية " فكرة عامة ، عند هؤلاء ، اقتنعوا بصوابها ، وما يتفرع عنها من قضايا . هذا الاعتقاد بـ " الثنائية " تمثل في ناهيتها ، النظرية والتطبيق . وغالبا ما كانت الناهيتان تتمازجان في كتاب واحد مثلا كما هو الحال عند جرجي زيدان في " الفلسفة اللغوية " . او تنفصل النظرية عن التطبيق فيكون لكل منهما كتاب بعينه ، كما حاول الشدياق في " الجاسوس على القاموس " و " سر الليال في القلب والابدال " . اما ماعد اعمدا من اللغويين ، فقد كانوا عالة عليهما ، حتى ، يمكننا ان نقرر بان الشدياق هو الوحيد قد تفرد بالعمل الكبير ، ولحقه زيدان ، فيما بعد ، في اكثر آرائه .

لذا ، سنتناول كلا من نظرية الشدياق وزيدان على حدة ، دون ان نوحده بينهما في كل متجه ، لانه على الرغم من اتفاقهما على المبادئ فانهما يختلفان في التفاصيل .

— احمد فارس الشدياق ونظرية " المضاعف الثنائي " —

يمكن اعتبار ان الشدياق اول من بحث في الجذر اللغوي في راصوله ، في القرن الماضي . حيث استقى من درسه اللغوي نواة نظرية آمن بها ، ما لبثت ان تبلورت في عمل معجمي كبير . اعتمدها في اساس ترتيبه وتنظيم موادها . وهذه النظرية تعتبر ان الثنائي اصلا في المادة المعجمية .

فير ان مصطلح " الثنائية " تسمية ، هكذا ، لم يرد بصراحة عند الشدياق بل وردت التسمية التي ارتضاها لعمله المعجمي في كتاب " سر المال في القلب والابدال " بـ " المضاعف الثنائي " .

ورغم اختلاف التسمية تبقى النظرية الثنائية هي ذات المضمون ، والنهج اللذين اتضحا من خلال معالجة الشدياق للفعل ومقلوبه . " فمقلوب حث ، مثلا ،

في معجمه ثج (١) ، ومقلوب عث ثج (٢) ، ووجت ثج (٣) وجبأ ثج (٤) وهكذا . . .

ومعلوم ان طريقة القلب هذه ، عند الشدياق واعتماده المضاعف اصلا ، تعود الى دعوة الخليل ابن احمد ، في القرن الثاني الهجري ، في معجمه " العين " الذي صدره بمقدمة دعا فيها ماندعوه اليوم بالفعل الثلاثي المضاعف ثنائيا مضاعفا ، وخصه بفصل خاص صدر به الباب الذي يفترض ان ينتظمه . وكذلك فعل ابن دريد في الجمهرة ، وابن فارس في المقاييس ، وابن القوطية وابن القطاع في كتاب الافعال (٥) .

* وحين وضع الراقب الاصفهاني (٩ - ٥٠٢ هـ) معجمه (المفردات في غريب القرآن) وضع هذا الفعل موضع الثنائي فلعتبر مادة مد (م د) ، لا (م د د) . وعلى ذلك قدمها على مدح وبابها (٦) .

لكن هؤلاء اللغويين ، ماسعوا في عطلم هذا بغية الكشف عن نظرية تقوم على ثنائية اصل هذا الفعل ، وجل ما ارادوه ، او كانت الغاية منه - في الغالب - حصر الالفاظ وتصنيفها ليس اكثر . . .

غير ان لغويي القرن الماضي ، في لبنان ، كثيرا ما استهوتهم فكرة ثنائية الاصول * فاتخذوا منها اساسا لنظرية شاملة تنتظم معظم الالفاظ العربية (٧)

-
- (١) سر الليال ، الشدياق ، ص ٢٦١
 - (٢) = = = ص ٢٦٥
 - (٣) = = = ص ٢٧٤
 - (٤) = = = ص ١٠٢
 - (٥) = = = ص ٨٩
 - (٦) = = = ص ٨٩
 - (٧) = = = ص ٩٠

وهذا ما حدا بالشدياق الى تأليف معجمه المذكور .
وهكذا يحتذى الشدياق في تقاليبه للفعل المضاعف حذو الخليل الذي
يقول ، " اعلم ان الكلمة الثنائية المضاعفة تتصرف على وجهين نحو قد دق وشد
دش " (١) .

اما الدوافع التي حدث بالشدياق الى اخذ " المضاعف الثنائي " اصلا
فيمكننا حصرها من مجموعة تصريحات له وردت في مقدمة " سر الليال " نستخلص
منها مايلي :

- ١- كون " معظم اللفظة مأخوذ من حكاية صوت او حكاية صفة " (٢) .
و " ان حكاية الصوت انما تأتي من المضاعف نحو دب ودف ودق وهز
وصف وقر . فاذا ارادوا الزيادة في المعنى ضاعفوا الحروف فقالوا
دهدب ودفدف ودق دق . الخ
فقولهم مثلا : هزهز وحتحت ان هو في الحقيقة الا هزهز وحت
حت . فلما بنوه هكذا احتاجوا الى التسكين (٣) .
 - وقوله في موضع آخر " لعمري ان من لم يكن يدري شيئا من لفة العرب
فاذا سمع مثلا لفظة طنطن وندن وجلجل ، وكان ذا ذوق سليم
فلا بد وان يتوهم انها حكاية اصوات (٤) .
 - ٢- تأكيد على ان اللغة ليست نظاما مستقرا بقدر ماهي تغير لغوي
" ان اللغة كثيرها من الضائع والموضوعات البشرية لا يحدث
شي " منها تماما كاملا من اول وهلة ولكن على التدرج " (٥) .
- وهذا ما جعله يبدأ بالمضاعف أولاً ، كرم ، اث ، وحك ، وخت وعت وفت . . .
ثم بالاجوف الواوي فالياي ، ثم بالمهموز ، فاذا لم يكن الاجوف فانه
يذكر المهموز (٦) ، وينتهي بالفعل السالم ، لمجيئه - حسب رأيه -
آخر الافعال .

(١) مانشر من كتاب العين ص ٩ (انظر ترزي ص ٩١) .

(٢) سر الليال ، الشدياق ص ٢٢

(٣) = = = ص ٢٢

(٤) = = = ص ٢٥

(٥) = = = ص ٢٥

٣- انه رأى " حكم ترتب المزيد على المضاعف لا يكاد يتخلف (١) فقلما يرى المرء في المضاعف معنى الا ويرى في مزيدء مثله او ما يقاربه (٢) . ومن الامثلة التي اوردتها على ذلك مايلي : سلّ وسلب . لبّ ولبت . زم وزج (ملا) ، كذ وكذح . . . الح .

٤- ان زيادة حرف على المضاعف اليق بحكمة المواضع في التفنن من نقصه ، ان لو جعلت السالم اصلا لزم عنه المدول من الكمال الى النقصان (٣) .

٥- انا نجد انفعالا مجهولة الاصل واصليها من المضاعف معلوم ، وذلك نحو امتخر العظم اى استخرج مخه فهو ولا بد ان يكون من امتخ اذا لم يجي " المخر بمعنى المخ (٤) .

هذه هي الثنائية او " المضاعف الثنائي " كما فهمها الشدياق ، وكما ارتضاها اساسا لمعجمه ، " سر الليال في القلب والابدال " ، اعتقادا منه ان هذا المنحى يكتل للالفاظ معانيها جميعا ، بعدما تفرقت في معاجم لم تلتزم ترتيبا جديرا بالتناول كما هو مؤمن .

وخير دليل على نظريته هذه ، ما جاء مثلا في كتابه المذكور . فالقرن بين نظائر فلّ وفلج وفلح وقلذ وقلع وقلق وقلّ مثلا ، هو الوسيلة المثلى لمثل هذا الجمع (٥) .

وعلى هذا الترتيب للعادة والاعتقاد بالمضاعف الثنائي اصلا للجذور ، يكون الشدياق قد جعل الكلمات المشتركة في حرفين اصليين تحما . قدما مشتركا مسن المعنى . وان هذا القدر المشترك يتوجه توجهها خاصا بالنسبة لما يضاف اليه هذين الحرفين من حروف اخرى . فقم وغمد وغمر وغمس وغمض وغمط كلها تدل على المتر والتغطية ، ولكن الحرف الاخير في كل منها يحوّر هذه الدلالة العامسة تحويرا خاصا فيكسب الكلمة التي يعقبها معناها الحقيقي .

(١) سر الليال ، الشدياق ، صفحة ٢٥

(٢) = = = صفحة ٢٥

(٣) سر الليال ، الشدياق ص ٢٦

(٤) = = = ص ٢٦

(٥) = = = ص ٢٧

وهذا ما يعطل طريقة القلب والابدال عند الشدياق التي ارادها هدف ترتيب مظاهر
المضاعف الثنائي حيث يأخذ في تقلب الاعمال ، نظرية القلب المطلق ، والاتباع
على الاطلاق كوسيلتين استفاد منهما في التدليل على ما ذهب اليه اولا ، وهلس
مصرفة سر الوضع والتكثير اللغوي .

كما ان نهج القلب والاتباع - عنده - ادى الى دورانه حول اصول ثابتة
بعيدة عن العفو والارتجال . غير ان الاتباع ما كان على نسق واحد ، فتارة يلحق
اتباع العجاسة ، وتارة يتسع حتى يضم حروفا لا تتناسب قيمها الصوتية او انه يجمعها
جمعا شاذا .

ويبني الشدياق اسباب نشوء القلب والابدال في اللغة ، فيرى ان الالة
الصوتية او آلة ارسال الكلام وهي الحنجرة تؤدي الى عمليات لغوية هي القلب
والابدال . فالقلب يجي* من عدم اهتمام السامع بما ينطق ووجهه لما يقول . فينطق
الزبرج الزبرجد* ص ١٨٢ وتصيح هذه لفظة (١) . وينص الشدياق على هذه
المسألة فيقول : " لان منشأ القلب لغة المبالاة " (٢) .

ويرى ان الابدال يجي* من الاختلاف في نطق الصوت ومن عدم قدرة
الحنجرة على ان تؤديه على الصفة المطلوبة . جا* في الجاسوس مايلي : " وقال
ابن دريد فاما بنو تميم فانهم يلحقون القاف باللهاء فتخلط جدا فيقولون الكوم فتكون
القاف بين الكاف والقاف . وقال الازهرى . قال المفضل من العرب من يبدل الظا*
ضادا فيقول قد اشتكى ظهري بمعنى ظهري . ومنهم من يبدل الضاه ظا* فيقول
قد عظت الحرب (٣) فعيوب النطق ، وخلل الحنجرة - كما صرح الشدياق -
يؤدي الى القلب والابدال .

وعلى هذا الاساس نستطيع ان نفهم من اين نشأت هذه اللغات التي يتفرد
بها بعض القبائل العربية والتي صورها الشدياق في كتابه الجاسوس على القاموس ،
والتي نذكر منها مايلي : " ومن ذلك المعننة وهي في كثير من العرب في لغة قيس
وتميم يجعلون الهزمة السبدو* بها عينا فيقولون في انك عنك . والفخفة في لغة
هذيل يجعلون الحاء* عينا والوكم في لغة ربيعة وهم قوم من كلبا يقولون عليكم وبكم
حيث كان قبل الكاف ياء او كسرة . والمجمجة في لغة قضاة يجعلون الياء* الشددة

(١) و (٢) الجاسوس ، الشدياق ص ١٨٢

(٣) الجاسوس ، الشدياق ص ١٨٤

بجسراً . . . ومن ذلك الاستنطاق في لغة سعد بن بكر والازد وهذيل والانصار .
يجعلون العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء كائطي في اعطي . . . والشنشة
في لغة اليمن تجعل الكاف شيئا مطلقا كليس في لبيك والديشر في الديك (١) .

وهكذا لا يمكن فهم نشأة تشابه اللغات - حسب رأى المؤلف - او
اختلاف اللهجات او ما كان في اللغة من ترادف وقلب وابدال الا على هذا الاساس
لان ذلك مرده - عند الكاتب - الى قدرة الانسان على التقليد لما يسمع
والمحاكاة له او عدم قدرته على ذلك . وهو ما يؤدي الى مسائل كثيرة في اللغة ،
كالذي ذكرنا .

كما ينسب في مكان آخر ، الى اختلاف ائمة اللغة ، مسؤولية وجود القلب
والابدال هذه . فهو يقول في مقدمة الجاسوس ، " ومن الخلاف الذي وقع ايضا
بين ائمة اللغة ، وهو ما يتفرع عنه مسائل مهمة ومشاكل جمة خلاف القلب نحو
ربض ، ورضب وانضب القوس وانبضها (٢) .

ويعلل اسباب الخلاف هذا فيرى انه " انما يجي " من ان بعضهم يرى ان
احدى الكلمتين لغة في الاخرى وبعضهم يرى انها مقلوبة عنها ويترتب على ذلك
ان ما كان مقلوبا لا يكون له مصدر وانما يستعمل مصدر الكلمة المقلوب عنها ليكون
شاهدا على اصلتها كما في المحكم واللسان (٣) .

ويلخص الشدياق هذه المسألة بقوله :

" يقول الجوهري في جبد جذبت الشي . مثل جذبته مقلوب منه فانكر عليه

المنصف ذلك بقوله : " الجبد والجذب ، وليس مقلوبه بل لغة صحيحة . "

وهو الجوهري وغيره كالاجتبان . وعبارة الصفاني في العباب : جذبت

الشي " مثل جذبته مقلوب منه . وهي لغة عشيمية . واجتذبت الشي " مثل اجتذبت

والانجبان مثل الانجذاب .

" وقال صاحب اللسان ، جبد جيذا لغة في جذب . وفي الحديث جبدني

رجل من خلفي ، وظنه ابو عبيد مقلوبا منه . قال ابن سيده وليس ذلك بشي . . "

(١) الجاسوس ، الشدياق ص ١٨٣ .

(٢) و (٣) الجاسوس ، الشدياق ص ٤٣ .

ويتابع الشدياق فيقول :

"وقال ابن جنى : ليس احد عما مقلوبا عن الاخر . جذب وجبذ ، وذلك انهما يتصرفان جميعا تصرفا واحدا . تقول جذب بجذب جذبا فهو جاذب . وجبذ يجبذ جبذا فهو جابض . فان جعلت مع هذا احد عما اصلا لصاحبه مكد ذلك لانك لو فعلته لم يكن احدهما اسما بهذه الحال من الاخر . فاذا وقفت الحال بهما ولم تؤثر بالمزية احدهما وجب ان يتوازيا فيتساويا . . . فان قصر احدهما عن تصرف صاحبه فلم يسلموه فيه كان اوسعهما تصرفا اصلا لصاحبه . . . وذلك نحو قولهم انى الشئ يانى وان يئين . فان مقلوب من انى والدليل على ذلك وجودك مصدر انى يانى ايناه ، ولا نجد لان مصدرا (١) . . ."

ويضيف الشدياق :

"وهنا ملاحظة من عدة اوجه :

- ان اهل المغرب مقتضرون على استعمال جبذ دون جذب .
- ان كلا منهما يرجع الى اصل يدل على القطع ، اعني جذ وجبذ ، فان حقيقة معنى الجذب والجبذ تحويل الشئ عن موضعه جراً ، وفي الجر ايضا معنى القطع ، فهو دليل على اصاله كلا الفعلين (٢) . . .
- ان قول ابن جنى كان اوسعهما تصرفا اصلا لصاحبه يستلزم معرفة الاوسع تصرفا . لان اهل اللغة لا يصرحون بذلك ، فانهم يقولون مثلا : انضب القوس وانبضها :
- ان صاحب المصباح حكى في مادة " اين ان يئين ايناه مثل حان يحيين حيناه وزنا ومعنى فهو اين . وقد يستعمل على القلب ، فيقال انى يانى مثل سرى يسرى ، الى ان قال وان يئين ايناه تصب ، فهو اين على فاعل فجعل ان اصلا لانى . وهو عكس ما ذهب اليه صاحب اللسان .

(١) الجاسوس ، ص ٤٤

(٢) نفس الصفحة .

• اللغة

- ان الامام السيوطي دعا في المزهرة عن ابن دريد في الجمهرة ما نصه
باب الحروف التي قلبت وزعم قوم من النحويين انها لغات وهذا القول خلاف على
اهل اللغة ثم ذكر جيد وجذب وما اطيبه وما ايظبه الخ مع ان الخلاف واقع بين
اهل اللغة انفسهم •

ان قولهم المقلوب ليس له مصدر ، وانما يرجع فيه الى مصدر الاصل المقلوب عنه غير
متفق عليه • فقد حكى الصغاني في ^{المشبه} الباب الفاشح والقاريش على القلب وله نظائر (١) ص ٤٥ •

اذن ، مشكلة القلب ، فيما يرى الشدياق ، وفيها هو الواضح من تعليقه
على قول ابن جني لاتحل بمساطة • وانما تحتاج الى استقراء وتتبع لهذه الالفاظ
في الاقاليم المختلفة ، وهل تشمل في كل اقليم او ان المشتمل منها لفظ واحد ؟
وهل بعضها اوسع تصرفا من الاخر او هما سوا ؟ وماذا يكون العمل لو ثبت ان
كل واحد من اللفظين يرجع الى ما يرجع اليه صاحبه (جيد وجذب) الى القطع •

جرجي زيدان ، والثنائية في الجذور :

يرى جرجي زيدان في " الفلسفة اللغوية " ماراه من قبله الشدياق في ان
الاصول اللغوية تعود الى الاصل الثنائي غالبا •

لكنه لا يتفق معه في تصميم الاحكام ، كما كان محدد ا بوضوح لتسمية
" الثنائية " ومعناها اللغوية عنده •

ويمهد زيدان ، في ذكر رأى اللغويين الذين " يردون كلا من الاسم والفعل
الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية ، ولا يرون هذه الاصول قابلة للرد الى
اقل من ذلك (٢) •

(١) الجاسوس على القاموس ، الشدياق ص ٤٤ - ٤٥ •

(٢) الفلسفة اللغوية ، زيدان ، ص ٦٨ •

ثم يعقب على ذلك بقوله: "وعندي أنها غلبت" (١) لكنه يستدرك بقوله:
"ولو بعد عنا" (٢) .

وتبعاً لذلك، فإنّ الأصول الرباعية (التي) اجتمعت مؤخراً على القول أنها
ثلاثية مزيد فيها " تبقى مزيدة في الثلاثي أيضاً، و" الأصل فيها ثنائي غالباً (٣)
و" ان اللفاظ المأخوذة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها الى اصول ثنائية
احادية المقطع، تحالفي اصواتاً طبيعية (٤) .

ويتناول، ويدان، الأصول الثلاثة، لأنها " الاكثر في اللغة، فلذا كان
للبحث فيها أهمية كبرى (٥) مركزاً اهتمامه عليها، في يحاول اثبات ما اراده من
ثنائيتها .

وقد بحث في بحثه هذا مسلكين :

١ الاول: " استقرا" الفاظ اللغة العربية ومقابلتها (ويفيد غالباً في الاصول
العملية (٦) والثاني: " استقرا" بعض احوال اللغات الاجنبية وحملها بقياس التمثيل
على لغتنا (٧) .

ويبين رأيه في المسلك الاول، فيقول ان: " الباحث في دلالة الفاظ العربية
المدعوة مجردة (يرى) ان للمعنى الواحد الفاظاً عديدة تتقارب لفظاً، ويمكن
تقسيم الفاظ المعنى الواحد الى مجموعات، تشترك الفاظ كل مجموع منها بحرفين
هما الاصل المتضمن المعنى الاصيل . والزيادة ربما نوعته تنويماً طفيفاً (٨) .

(١) نفس المصدر السابق، ص ٩٨ .

(٢) = = = ص ٩٨

(٣) = = = ص ٩٩

(٤) = = = ص ١١٣

(٥) = = = ص ٩٩

(٦) = = = ص ٩٩

(٧) = = = ص ١٠٨

(٨) = = = ص ١٠٠

ويذكر الكاتب امثله ، منها : "قط وقطب وقطف وقطع وقطم وقطل جميعها تتضمن معنى القطع . الا ان كل واحدة منها استعملت لتنوع من تنوعاته ، فالثاني والثالث مشتملان مع القطع معنى الجمع ، والخامس العض والسادس الشدة والاصل المشترك بينها قط ، وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لا يخفى . ويجانس قط قص ومنها قصم وقصل وقصب وقصر وقصف جميعها تفيد القطع!

ويجانس قص قض ومنها قض وقاض وقض وقضب وقضج ويجانس كس وكسها كس وكسر وكسع وكسم ، والاولى والاخيرة من هذه السلسلة تتضمن معنى الدق والفت ويجانس قص ، ايضاً جذ ومنها جذ وجذب (١) .

وجذر وجذف وجذم وكلها بمعنى قطع . ويجانس جذ جز وهذه حكاية صوت المقص اذا جز شعرا اوصوا ومنها جز وجزاً وجزر وجزع وجزن وجزل وجزم وجميعها من باب القطع . وتنوعات هذا المعنى (كما يعتقد زيدان) تفوق المئات عدداً . وقد تصرفوا في استعمالها على طرق مختلفة حقيقة ومجازاً . وكلها ترد بالاستقراء (حسب رأيه) الى اصل واحد . وهو حكاية صوت . . . وهكذا الحال في القسم الاعظم من كلمات اللفظة . (٢)

وينتقل الكاتب بعد ان اورد شواهد مناسبة الى الحديث عن الحروف المزبودة فيذكر "ان الحرف المزيد قد يكون في اخر الكلمة" وهذا هو الاغلب . وذلك كما في الشواهد السابقة ، وقد "يكون في الوسط بل بين الحرفين الاصليين كشلق من شق ، وفرق من فق ، وقرط من قط ، وقرص من قص ، وقرض من قض . . . وقد يكون في اول الكلمة نحو رفت من فت ولهب من دب ، ورفض من فض ، ولمس من مس ، ونطخ ويطخ من طخ و . . . قس عليها (٣)

وما يلاحظ في هذه الامثلة التي ذكرها زيدان انها x جميعا x من الأفعال فقط ، باستثناء مثال واحد (٤) (وهو التفت والتفت ، حيث يجمع بين الاسم والفعل) وان جل هذه الافعال افعال بدائية تتصل باصوات طبيعية وتؤدي معاني فطرية كالقطع للقصر والقصر والعض والعض .

(١) الفلسفة اللغوية ، زيدان ص ١٠٠

(٢) - - - - - ١٠٠

(٣) - - - - - ١٠٠

(٤) وهو قوله التفت والتفت ، وسج الاظافر ويقاربه تضي وتغل ويصق وجميعها اشتراك

بمقطع "تف" وهو من الاصوات التي ينطق بها الانسان غريزيا عند القرف . ومنها

ايضا التفن اي الوسج ، وتفه قلبه وخس زيدان ص ١٠١ " وهو يجمع في هذا

المثال ، كما يلاحظ بين الاسم والفعل .

ويرى زيدان ان كلا " من هذه التنوعات اما ان يكون حاصلها في تركيب
اصلين لكل منهما معنى في نفسه ، او لا (١) . فاذا كان الاول كان حصوله على
طرق . منها النحت اى ادغام كلمتين فاكثر الى كلمة واحدة نحو " قطف " والاصل
فيه - كما يعتقد - " قطف " والاولى قطع والثانية جمع (٢) .

وهكذا في " همج " حيث يردها الى " بيعج " او يتم " بواسطة الترقيم
(اى اعمال القسم الاخير من القلمة تفننا في اللفظ كقولهم " يا ابا الحكا " في
" يا ابا الحكم " واحتسب في احتسب وتجس في تجمع . الخ . . . (٣)

وهنا يقول " فهل يبعد تركيب اصلين شائتين وتحولهما معا الى اصل واحد
ثلاثي على طريق الترقيم ^(٤) غير انه لا يذكر مثلا على ذلك .

ثم يتابع فيقول : " واذا لم يكن لكل من اللفظين معنى في نفسه فلا يخلو
ان يكون لاحدهما او لا ، فان كان الاول كان احد اللفظين فعلا ، والاخر حرفا زيد
اعتباطا ، وهو في الغالب احد هذه (الاحرف) : ل . م . ن . ر ، نحو فاض ورفض ، وهب
ولهب . وشق وشلق ، وكن وسكن (٥) . " واذا لم يكن لاحدهما معنى في نفسه
اى ان لا يكون اسما ولا فعلا فلا يخلو ان يكون حرفا ، وربما كان اسما او فعلا نسي
الاصل ، ولم يعد مميذا الان (٦) " نحو لفظة " مال " مركبة " ما " الموصولة ولام
الاضافة التي تعني " الذى لك " وكذلك " ويل " فانها مؤلفة من " وى " ولام
و " لام الاضافة " التي اصلها ويلي " وكلمة ليس . فانها مركبة من " لا " و " ايس " .

(١) الفلسفة اللغوية ، زيدان ، ص ١٠٢

(٢) = = = ص ١٠٢ - ١٠٣

(٣) = = = ص ١٠٥

(٤) = = = ص ١٠٥

(٥) = = = ص ١٠٥

(٦) = = = ص ١٠٦

اما المصلك الثاني الذي اراده ، زيدان ، بغية تدعيم نظريته الثنائية هذه فهو كثرة استخدام اصحاب اللغات الاخرى - ولا سيما الآرية منها - للنحت في تكوين الكلم ، مما حمله على الاعتقاد بان لا يستبعد ان يكون العرب - كغيرهم - قد لجأوا اليه ايضا في القديم لصوغ كلمات من العسير علينا ان نعرف اليوم الاصول التي اخذت منها .

ومن الواضح ان هذا الدليل لا يمكن الاخذ به من الناحية العلمية ، ان لكل لغة ، او مجموعة من اللغات ، نظامها الخاص ، وطرقها الخاصة في صياغة الكلام وبناء الالفاظ .

القلب والابدال عند زيدان :

يتابع زيدان ما ذهب اليه ، الشدياق من قبله ، من ان القلب ، ناشئ " في الغالب (عن) الميل لتخفيف اللفظ او للتفنن فيه ، و (انه) يحدث في الغالب اعتبارا (١) .

ويورد امثلة على ذلك من الكلمات العامية اللبنانية فيقول :

" ومثل ذلك كثير الحدوث بين عامتنا فان معظمهم يقولون " رعبون " في " عربون " و " اجر " في " رجل " والسوريون ولا سيما البيروتيون يقولون " اجا " في " جا " . (٢)

اما الابدال ، فيعطي زيدان اهمية كبرى ، كسبب في التكثر اللغوي ، ويستدل على قابلية الحروف للابدال ، بما طرأ على اللغات السامية بعد تفرقها لانه " من المقرر - حسب رأيه - انها - اي العربية والعبرانية والسريانية - كانت لغة واحدة تتكلم بها امة واحدة . وانها بعد ان قدر للناطقين بها بالفراق اخذت تتنوع تبعاً لمقتضيات احوال كل فريق منهم ، فوصلت اليها ما شاهدنا (٣) .

(١) الفلسفة اللغوية ، زيدان ص ٦٠

(٢) نفس المصدر ص ٦٠

(٣) نفس المصدر ص ٦١ .

ويرد هذا الاختلاف كله "لناموس الابدال" ويرى زيدان ان هذا الناموس ينسحب على الاحرف بشكل قياسي ، وذلك "بدليل ثبوت النسبة بين الاحرف المتبادلة (٢) " .

ويذكر امثلة مقارنة بين العربية والعبرانية والسريانية هك احدها ،

" اذا كان احد المقاطع اللفظة العربية " تا " مثلا يكون في مكانها في العبرانية " شتن " وبالسريانية " تا " نحو " شب " العربية فانها في العبرانية (يشب " وفي السريانية " يتب " و " ندى " في العربية فانها " ندا " في العبرانية و " تدا " في السريانية " (٣) .

وبعد ان يورد امثلة كثيرة تؤكد ما ذهب اليه ، يفغتم حديثه بمثل ما انتهى اليه الشدياق ، فيرى ان الابدال واقع في الالفاظ المتقاربة لفظا ومعنى وهي كثيرة ، مجددا لاعتبار السبب الاساسي الذي هو " في الغالب نتيجة علة طبيعية في اعضا النطق في اول الامر ، ثم بالاستعمال تحفظ التنوعات وربما خصصوا كل تنوع لفظي بتنوع من المعنى الاصلي (٤) .

هذا عن نظرية الجذور والاصول الثنائية ، التي تمثلت في نظرية عند لغويي القرن الماضي ، وسنتناول في الفصل التالي ، الفكرة المعجمية ، طريقة الوضع التي آمن بها لغويونا ، وكيفية ترتيبهم للمواد في عمليين كبيرين قام بهما البستاني والشرتوني .

(١) نفس المصدر السابق ص ٦١

(٢) = = = ص ٦١

(٣) = = = ص ٦١

(٤) الفلسفة اللغوية ، زيدان ، ص ٦٥ .

الفصل الثاني

الفكرة المعجمية عند لغوي القرن

التاسع عشر

في لبنان

لم تنفصل الدراسات المعجمية ، في القرن الماضي عن اسباب للتدريس اللغوي العام ، بل كانت مسألة يعرضون لها ، وينظرون في ضاحي تطورها — التاريخي ، واصحاب قصورها من ثم ، محددين رأيهم في ذلك كله من خلال اتصال عملت في معاجم اتسمت بطوايح الجديدة في البحث ، والابتكار في التنظيم والتجريب والمنهجية الواعية ، النازعة الى ربط المادة باصولها وفروعها ، دونما اضطراب وفوضى ، كهلك التي شهدتها المعجم العربي في تاريخه .

والجدير بالذكر ، ان الثقافة الغربية ، وطريقة المعجم الاجنبي كانتا ذات اثر جلي في هذه الاعمال ، ولا سيما شكل المعجم ، وهيكلته العامة . ولا يخفى ما لاثر شخصية هولاء القوية ، التي تجلت في ترتيب المادة وتقسيم مشتقاتها ، ومحاولة ضبط بنية الكلمة وفق نظام مطرد ، وغير ذلك مما يدخل في حيز الشكل والمضمون .

وحيث نتكلم عن العمل المعجمي ، في القرن الماضي ، فاننا نملي بذلك ثلاثة لسويين لبنانيين في ثلاثة اعمال قاموسية لهم ، هم على التوالي :

بطرس البستاني في معجم " محيط المحيط " ومختصره " قطر المحيط " .
وسعيد الشرتوني في معجم " اقرب الموارد الى فصيح العربية والشوارد " .
واحمد فارس الشدياق في معجم (لم يكتمل) " سر اللبيان في القلب والابدال " .

وقد حدد هولاء ، منفردين في العمل ، ضاحي القصور في المعجم القديم منتبهين الى حصر اسباب مشاكل المعجم العربي في اربع قضايا هي :

- اولاً - ^{المعجم} البرهان: الذي ساد المعاجم القديمة
- ثانياً - سوء ترتيبها
- ثالثاً - التقصير في شرح موادها
- رابعاً - الغموض في التمرين

وستتناول كل قضية ، منفصلة عن اختها ، وليتسنى لنا دراستها في معاجم هؤلاء ، وتلمس الهدى عندهم ، نظرية أو تطبيقاً .

اولاً - جمود المعجم القديم .

انتقد ، هؤلاء ، قصور معاجمنا القديمة عن الاحاطة بما ندد عن تطور في الفكر الانساني الحديث ، وما نتج عنه من تفتح حضارى ، تتوق الى مزيد من المعلوم المستحدثة ، والرفعة في ايجاد مستلزمات لها من تقنية وتعبيرية وهو ما ينطوى تحت مبحث " المصطلحات " .

هذا القصور عن اللحق بركب العلوم ، ومد لولاتها ، حدث بالبستاني الى تأليف معجم يضم عدداً كبيراً من هذه المصطلحات العلمية والفنية والتقنية ، كما يتسنى للطالب ، او القارىء العربي ، معرفتها في كتاب معجمي عربي ، دون ان يبذل المشقة في تلمسها في معاجم اجنبية .

وهكذا فعل من بعده الشرتوني ، الذي احتذى حذو سلفه في كثير من ايراد هذه النماذج الجديدة في اللفظ .

وما هو جدير بالانتباه ، ان البستاني والشرتوني لم ينتقدا جمود المعجم بشكل نظرية او كتب لغوية ، بل اقتصرا على تلافي العيب من خلال عملهما فحسب .

اما الشدياق ، فقد انتقد هذا القصور بشكل مباشر ، وذلك في مجموعة الاراء التي اندرجت بشكل منظم في عمله الكبير " الجاسوس على القاموس " حيث حدد في نقده لمعجم الفيروز يادى ، مشاكل المعجم عامة ، ومنها جموده هذا .

كما اعقب ذلك ، بعد حين ، بمحاولة جريئة لم يقم بها احد من لغويي القرن الماضي ، لعني بها محاولة استحداث الفاظ عبر الاشتقاق والنحت . ومنها الى الثروة اللفظية في المعجم العربي (١) .

رأى الشدياق ، في كتاب " الجاسوس " ان الاقدمين قد الفوا لعصورهم ، وجرروا في كتب اللغة على ماكانت تقضي به اصولهم اللغوية في ذلك الحين ، وانه لا عيب عليهم في ذلك (٢) .

ويبقى هذا الاحساس رائد العمل في كل فصول " الجاسوس " حيث ينتقد الشدياق بقا المنهج على ماكان عليه في النسق الاول ، داعيا الى التأليف المستحدث ، الذي يهتم بالاصول اللغوية التي فرضتها الحياة ، وما اعقب ذلك من تجديد وتطور ، لا امل في ايجادهما ، او ايجاد دلالاتهما في الحياة اللغوية القديمة . " وانما العيب ان نقف نحن حيث وقفوا . وان لانصدر نحن في عمل المعاجم عن فكرة جديدة تتفق وما في الحياة اللغوية من حركة ومن نمو وتجديد (٣)

ويتابع نقده فيقول :

" ان المؤلفين الاولين رحمهم الله الفوا وبرعوا واجادوا ، وصنفوا ، ونقحوا ، وانادوا ، وغير انهم الفوا كتبهم على حسب انهامهم وان هانهم وافهام اهل زمانهم ، فاخترصوا واوجزوا و اشاروا ورمزوا (٤) " .

فهي دعوة جريئة الى وضع منهج جديد للعمل المعجمي ، ايماننا بانفتاح اللغة على غيرها من اللغات ، وتقرير حقها في الاجتهاد . سره المتكلمين بها ، حيث لا يمكن للغة من اللغات ان تعيش وحدها - كالأمة - من غير ان تختلط بامة اخرى ، وانه من هنا تدخل الفاظ امة في الفاظ امة ثانية . مما يفهم منه ، ان الشدياق يقرر حق المحدثين في الوضع ، شرط ان يراعى فيه اللزوم والضرورة وتهذيب اللغة .

(١) انظر فصل " الالفاظ المستحدثة " ص

(٢) = الجاسوس على القاموس ، الشدياق ، ص ٣ وما بعدها .

(٣) = = = = =

(٤) = = = = =

ويدافع الشدياق ، في مقال له في الجوائب ، عن احقية هذا الاتجاه والتحرر اللغوي ، وايجاد الالفاظ الجديدة ، التي استلزمها الحياة الجديدة فيقول :

" ولو ان الصرب الاولين شاهدوا البواخر وسلك الحديد او اسلاك التلغراف والغاز . . ونحو ذلك مما اخترعه الافرنج لوضعوا له اسما خاصة (١) " .

وهنا يختلف الشدياق ، مع من جاء بعده من اللغويين اللبنانيين ، في معنى الجديد ، وكيفية رند المعجم لتخليصه من جموده ، فالشدياق ، لا يكتفي باضافة هكذا الفاظ فقط ، كما فعل البستاني والشرتوني ، بل يرى ان فك المعجم من هقال قصوره يكون في تحريره من الخلل الذي اصابه ، فالجمود كامن فيما اصاب القاموس من اضطراب اللغويين في تحديد الهدف ، وعدم تعرفهم على المقاصد التي من اجلها الفوا كتبهم .

وهكذا ، يتجلى الفرق بين مفهوم الجمود كعمل يخص المضمون عند الشدياق ، وعمل يخص الشكل واطافة او الصاق مواد عند البستاني وغيره ، فالشرتوني مثلا ، ذهب الى وضع مفردات كثيرة ، ليست من معجمات اللغة . اخذها من مفردات ابن البيطار ، والمعقد الفريد ، والالفاظ الكتابية وسواها . . مقلدا سلفه البستاني ، الذي كان قد ادج اصطلاحات في العلوم والفنون وكثيرا من كلام المولديسين واللغة الدارجة . وغير ذلك مما لا يتعلق بمتن اللغة ، وذلك ليكون المعجم حسب رايه - " شاملا يجد فيه كل طالب مطلوبه " (٢) .

واننا لنخلص الى تأكيد نتيجة هي ان الشدياق ابرز هؤلاء ، وانضجهم فكرا في المباحث المعجمية فقد سار وفق مسار لغوي دقيق ، وذلك بابقائه مفهوم المعجم ضمن تناول المادة اللغوية ، على نسق القدامى ، وعني بالتركيز على اصلاح منهجية هذا التناول ، دون ان يدخل في المعجم مصطلحات تقنية او اسما مخترعات ، او مفردات الطب والزراعة والصنائع . . كما فعل البستاني والشرتوني حيث كان يرى ان لكل من هذه المواد معجمه الخاص .

(١) منتخبات الجوائب ، مجموعة مقالات للشدياق ، ج ١ ص ٢٠٥

(٢) من محيط المحيط ، للبستاني ، خاتمة حرف الرا ، ص ٨٤٧ .

ثانيا - سو الترتيب - ب :

اولى علماؤنا ، في القرن الماضي ، ثلاثهم ، جانب الترتيب اهتمامهم الكبير ، لما فيه من تحقيق غرضين هامين : اولهما : سرعة الوصول الى الوقوف على المعنى المراد .

وثانيهما : بيان خصائص العربية ، والوقوف على سرها من خلال الوضع .

ويتفق العلماء الثلاثة في الغرض الاول . وهذا ما تمثل فعلا في معاجمهم بشكل تطبيقي ، وخاصة في " محيط المحيط " للبستاني ، و " اقرب الموارد " للشتروني ، الكفاة بالتطبيق ، دون درس لغوي للنظرية تاركين التخصص بالقضايا القديمة والوقوف على دقائقها للشدياق ، الذي جز الجميع عمقا ووعيا . ونحن ، واجدون فعلا ان الغرض الثاني ، وهو بيان خصائص العربية والوقوف على سر الوضع لم يتجمل بصورة علمية الا في ابحاث الشدياق .

ولعل الشدياق ، في هذا ، يعتبر اول من انتقد طريقة الترتيب المتبعة في المعاجم القديمة وذلك بكتابه الكبير " الجاسوس على القاموس " فقد حلل سبيل العمل القاموسي ، وانتهى الى وضع ترتيب متكامل لجانب المعجم ، جانب المواد ، وجانب المشتقات او الصيغ في المادة الواحدة .

ولمزيد من التفصيل ، سندرس طريقة الشدياق في ترتيب المعجم ، على حدة ، ثم نأتي على ذكر طريقة البستاني والشتروني من بعده .

- الشدياق وترتيب المعاجم :

بين الشدياق ، ما انطوت عليه المعاجم القديمة ، من اضطراب في وضع المادة وسوء ترتيب لها ، موليا هذه القضية اهتماما كبيرا جاعلا النظر في جانبين :

اولهما : ترتيب المواد في المعجم

ثانيهما : ترتيب المشتقات او الصيغ في المادة الواحدة .

هذه النظرية الثنائية الجامعة لطرفي المشكلة ونتاجت عن قراءة كتب اللغة جميعها على اساس تاريخي ، مما يسر للشدياق من ثم ، طريقة العمل ، ولكنه من تفسير الكثير من الظواهر اللغوية والاجتماعية الخاصة بمسائل الترتيب هذه .

وكثيرا ما كان يقف في بعض الاحيان ، ليصحح من مسائل هذا التاريخ مدليا بآراء مهمة ، ان دلت على شي ، فانما تدل على طول باع ونفاذ بصيرة وعمق ادراك لما هو بصدده .

ولنسمعه يقول في هذا :

" ثم ان اول من الف في اللغة الخليل بن احمد ، كما ان اول من الف في النحو خريجه سيويده رحمهما الله " (١) .

هذا وقد وقف في بحثه للترتيب على رصد الطرق المتداولة في المعاجم القديمة أولا ، ليتسنى له نقد عيوب كل منها على حدة ، مبينا من ثم ، ان ترتيب المواد في الكتب هذه يجي " مثلثا على الحروف ، واذا كان اللغويون يختلفون فيما بينهم في عدد الحروف ، وفي ترتيبها ، فقد اختلفت المواد في ترتيبها بالنسبة الى الكتب المختلفة .

كما اختلف هذا الترتيب لسبب آخر هو ان من اللغويين من يكتفي بجمع المواد التي على حرف واحد ، في موطن واحد ، ومنهم ينظر الى اوائل المواد واواخرها ، ومنهم من كان يكتفي بالاوائل من المواد (٢) .

هذه الطرائق الثلاث في الترتيب ، فسرها الشدياق على ضوء نظريته محددة لمن بها ، منتقدا في سبيلها طرق القدامى في الترتيب . هذه الطريقة التي ارتضاها لعمله تتمثل في نظرية " المضاعف الثنائي " الذي سبق الكلام عنها . وسنورد طريقة ترتيبها بعد تحديد موقف الشدياق من تلك الطرق الثلاث التي سار عليها العمل المعجمي القديم .

(١) الجاسوس ، الشدياق ص ٢٢ .

(٢) = = ع ٢٠ وما بعدها .

١- جمع المواد على حرف واحد .

رفض الشدياق طريقة جمع المواد على حرف واحد ، تلتزم الترتيب الحلقى ، وهي طريقة الخليل بن احمد في " العين " والازهرى في " التهذيب " وابن سيده في " المحكم " التي تقوم على جمع المواد حسب مخرج الحروف وقلب الالفاظ ، فقد رأى الشدياق ان الفائدة المعجمية غير محققة في هذا الترتيب . كما وليست مجدية في الوصول الى المعاني في سهولة ويسر .

و " بالجملة فالبحث عن الالفاظ في عذين الكتابين " التهذيب " للازهرى و " المحكم " لابن سيده ، اصعب جدا ، لانك اذا اردت ان تبحث مثلا عن لفظه (رقب) لم تدر هل هي في الاصل ، فتبحث عنها في الراء ، او مقلوبة عن (قرب) فتبحث عنها في القاف . او عن " برق " وما بين هذه الحروف مسافة بعيدة (١) .

ويبين الشدياق السبب الذي حدا بالخليل ومن تلاه - حسب رايه - الى اخذه المبدأ الحلقى والبداية بالهمزة دون غير فيقول نقلا عن المسيوطي في " الزهر " قال سمعت من يذكر عن الخليل انه قال : لم ابدأ بالهمزة لانه يلحقها النقص والتغيير والحذف . ولا بالالف لانها تكون في ابتداء كلمة ، ولا في اسم ولا فصل الا زائدة ، او مبدلة . ولا بالهاء لانها مهموسة خفيفة لاصوت لها . فنزلت الى الحيز الثاني ونبه العين والحاء فوجدت العين انصع الحرفين ، فابتدأت به ليكون احسن في التأليف .

" وليس العلم بتقديم شي * على شي * لانه كله مما يحتاج الى معرفته ، فبأى بدأت كان حسنا واولاها بالتقديم اكثر تصرفا (٢) .

ويعمل الشدياق طريقة العمل هذه ، باهتمام الائمة الاولين في جمع اللغة وصورها من التبسود والضياح فقط .

(١) الجاسوس ، الشدياق ، ص ٢٣

(٢) = = ص ٢٢ .

اما ان يكون الترتيب هذا خطوة تيسيرية للمعجم فهذا ما يرفضه
اعتقادا منه بان فكرة الجمع هذه ما استوجبت من ترتيب ، لم تخدم الا بيان
الصيغ المهمة والانفعال العقيمة او الميتة .

٢- طريقة اوائل الكلم واواخرها

يرى الشدياق ان طريقة اوائل الكلم وأواخرها ، كالطريقة التي جرى
عليها الجوهري في ترتيبه " الصحاح " واهن منظور في " اللسان " و الفيروزابادي
في " القاموس المحيط " فهي - لاريب - مسهلة للمطلوب وخصوصا جمع القواني .
غير انه - حسب رأيه - فاصل لتناسق معانيها (اي القواني) ،
ومسوار لاسرار وضمها ومعانيها ، وفيه اجحاف باحرف الكلمة .

كما ، ويبين الشدياق ، بانتقاده هذا الطريقة الوضع التي اهتدى
اليها صاحب الصحاح واللسان والقاموس ، خطأها من خلال الاستعمال ،
الكفي للفظ الواحد . فقد ترد الفاظ كثيرة في المعتل . كانت قد وردت
في المهموز " نرى كثيرا من الالفاظ التي وردت في المهموز تعاد ايضا في
المعتل نحو : برأ الله الخلق وبراهم ، وبارأ امرأته وباراها "

وان الالفاظ التي تأتي من الثنائي المضاعف تعاد غالبا في غيره .

٣- طريقة اوائل الكلم دون اواخرها

يرى الشدياق ، في مراعاة طريقة اوائل الكلم دون اواخرها ، صنيع
الزمخشري في " الاساس " والفيومي في (المصباح) صلاحية الترتيب ، وحسن
المعمل ، وحكمة لحظها امام العربية الزمخشري .

والذي جعل الشدياق يميل الى تفضيل هذا الترتيب ، اخذ
بنظرية ثنائية الجذور وقيام فكرته اللغوية على حكاية الصوت المتأنية من المضاعف
وهذا ما يبين اصراره على رفض طريقة اواخر الكلم لما فيها - حسب رأيه - من

تفريق لمعاني الالفاظ وتشثيت لمبانيها .

لكن الشدياق يزيد على طريقة اوائل الكلم ، نظريته او طريقته في ذكر المادة ومقلوبها . وذلك لاعتقاده بدلالة الاصوات على المعنى او فحواه . وان ترتيب الاصوات على تقديم وتأخير في الكلمة الواحدة ذال على اصلتها في اللغة ، ودال على اصالة هذا المعنى ودورانه في هذه الاحرف او هذه الاصوات .

هذا مارآه الشدياق في سوء الترتيب لمواد المعجم القديم ، وما اعتقده من خطرات تكفل اصلاح سوء الترتيب هذا .

- اما الجانب الثاني : ترتيب المشتقات او الصيغ في المادة الواحدة فيعتقد الشدياق ان ما اصاب اللغة من اضطراب ، ناتج عن عدم التزام اللغويين نظاما معيناً في هذا الشأن وعن قصورهم في تحديد الهدف .

ويرى ان ما اصاب الافعال والمشتقات من خلط ، خير دليل على هذا الاضطراب . فهو يقول :

" ان من اعظم الخلل واشهر الزلل في كتب اللغة جميعاً ، قديمها وحديثها ، ومطولها ومختصرها ، ومتونها وشروحها ، وتعليقاتها وحواشيها ، خلط الافعال الثلاثية بالافعال الرباعية والخماسية والسداسية ، وخلط مشتقاتها . فربما رأيت فيها الفعل الخماسي والسداسي قبل الثلاثي والرباعي . او رأيت احدهما في الفعل في اول المادة وياقي معانيه في آخرها .

ويمجب الشدياق - اشد المجب - من ان احداً من المصنفين وكتاب الشروح والحواشي لم يتنبه لهذا الخلل اللغوي الناتج عن خلط الافعال ومشتقاتها .

ويرد الشدياق ، هذا القصور الى البلادة والفتور العلمي حيث يمسى ايثار التقليد على الاجتهاد سنة البحث والتأليف .

وبزید فی تبيين هذا الاضطراب ، فيرى انه عائد الى انحصار اللفويين
القداسي في جمع الالفاظ فقط ، دون ان يراعوا مستلزمات الجمع من * الترتيب
والانتظام ووضع كل شي * في محله * (١) .

طريقة الشدياق في ترتيب المعجم :

يطرح الشدياق ، بعد هذه المقدمة من الانتقادات فكرة الترتيب
المعجمي عنده ، غير انه ينبه قبل طرح الفكرة الجديدة ، الى وجوب الاخذ
بما جاء في كتب اللغة ، وذلك لتحقيق غايتين ،
- الانتفاع من القراءة في هذه الكتب .
- للانتفاع في التأليف للمستقبل .

وهو ما قلنا عنه في بداية البحث ، ان طريقة علمائنا في القرن الماضي
كانت تسمى الى تحرير اللغة من روابطها القاسية ، وتجديد دمعها ، وذلك
عبر شمار : * اولى خطى التجديد قتل القديم بحثا * .

ولنستمع الى الشدياق في رأى له حول كيفية النظر في مواد المعجم
القديم :

* ولهذا انصح مطالعي كتب اللغة ان لا يقتصروا على فهم اللفظ في
موضع واحد . بل لابد لهم ان يطالعوا المادة من اولها الى اخرها . لاجرم
ان هذا التخليط والتشويش في ذكر الالفاظ ليذهب بصبر المطالع ، ويحرمه
من الفوز بالمطلوب فيعود حائرا باثرا . فاذا رأى المطالع ان المادة تملأ
صفحتين او ثلاثا عاد نشاطه ملالا ، وجدده كلالا ، فربما تصفح المادة كلها
او اخطأه الغرض . بخلاف ما اذا كانت الافعال مرتبة على ترتيب الصرفيين ،
فانه ينظر اولا الى الفعل الثلاثي ومشتقاته في اول المادة ، والى الخماسي
والسداسي ومشتقاتهما في آخرها ، والى الرباعي ومشتقاته في وسطها . فلا
يضيع له بذلك وقت .

ثم يقول :

(١) الجاسوس ، الشدياق ص ١٠ و ١١

(٢) = = ص ١١ و ١٢ .

* ولا بأس أيضا بان توضع جهال المواد الغزيرة رقم بالهندي على

الحاشية فيوضع رقم (٣) مثلا قبالة الفعل الثلاثي ، (٤)

قبالة الفعل الرباعي وهكذا * . .

وانسجاما مع رغبته في الوصول الى نسق افضل ، يعمدنا من الاضطراب والتكرار في ذكر المادة ومشتقاتها ، ويقل حرص المؤلف والقارى في الوصول الى كل معاني الالفاظ والاطلاع على اصل وضعها وحكمة مبناها ، يجرى الشدياق في كتابه " سر الليال في القلب والابدال ، على هدى منهج ليس فيه من نسق القدامى شي * . رغم انه يرى في مخالفة ما اجمع عليه بدعة .

هذا النسق الذي ارتضاه لنفسه ، والذي يقوم على نظرية " المضاعف الثنائي " ، يهدأ بالمضاعف ثم الاجوف الواوي والبياتي ، ثم بالمهموز . فاذا لم يكن الاجوف فانه يذكر المهموز (١) .

ولا يخفى ، مالحذاية الصوت من اثر في تقرير المنهج عند الشدياق ، واخذه من ثم ، للمضاعف كقاعدة متأتية عن ذلك .

* فاقول ان من شاء ان يطلع على سر وضع الافعال وتناسب بعضها ببعض واصل مبانيها وكنه معانيها فلا يرى محيصا عن الاقرار بان الابتداء بالثنائي المضاعف على نسق كتابي سر الليال في القلب والابدال بقطع النظر عن قلب الافعال هو المتكفل بجميع هذا وحسبك شاهدا على ذلك هذا المثال . وهو ان تبتدى * مثلا بفعل فتت وهو حكاية صوت فيظهر لك منه معنيان وهم - الانكسار والانفتاح والاول مستلزم للثاني بالضرورة فان كل ما انكسر انفتح ثم تأخذ بعده فتا كمنع ومعناه كسر واطفا وفتى * عنه كسمع نسيه فكأنك قلت انكسر عنه ومنه قولهم مافتى * زيد يفعل فان فعل المكسور العين كثيرا ما ياتي مطاوعا لفتوحها ولا سيما فيما كان متضمنا معنى الكسر والقطع فانهما متلازمان (٢)

وهو يقول في هذا الصدد : " لعمرى ان من لم يكن يدري شيئا من لغة العرب فاذا سمع مثلا لفظة طنطن ودندن وجلجل ورنم وكان ذا ذوق سليم فلا بد وان يتوهم انها حكاية اصوات (٣) .

(١) الجاسوس ، الشدياق ، ص ٦٠٧

(٢) سر الليال ، الشدياق ، ص ٢٥ وما بعدها .

وعلى هذا الاساس الصوتي ، يكون الترتيب هادفا للدلالة على المعنى الاصيل - حسب رأيه - بغية تبين اسرار الوضع " والكشف عن خصائص اللغة " . ان من شأنه ان يطلع على سر وضع الافعال وتناسب بعضها ببعض . واصل مبادئها ولكنه معانيها فلا يرى محبسا من الاقرار بان الابتداء " بالثنائي المضاعف على نسق كتابي سر الليال في القلب والابدال ، بقطع النظر عن قلب الافعال هو المتقل بجمع هذا " . (١) .

كما يقول في موضع آخر من الكتاب : " . . . فهذا النسق هو الذي يكشف عن سر وضع الالفاظ ونسبة بعضها الى بعض . وهو الذي اختاره الزمخشري وبنى عليه الاساس . واقتدى به صاحب المصباح . والسابق الى ذلك ابن فارس فسي الجميل رضي الله عنهم اجمعين " (٢) .

ومما لا ريب فيه ، ان هذا الترتيب ييسر لنا الوصول الى المعنى ، ولا يدفمنا بالتالي الى البحث عن اصل المادة في المزيد وفي المعرب او الاعجمي . الامر الذي اتعب اللغويين الذين اعتمدهوا في الترتيب اوائل المواد واواخرها . فقد كانوا يختلفون في تحديد الاصل . ومن هنا كانوا يوردون اللفظة الواحدة في موطنين باعتبار انها قد ترد الى اصلين لغويين متساويين في الدلالة . او لم يستطع اللغوي ان يقرر اي هذين هو الاصل .

يقول الشدياق :

" ونظير هذا الخلل في ترتيب الالفاظ ايراد الجوهرى (ترجم) ، و (الترجمان) في " رجم " وحقه ان يذكر في مادة على حدتها . لانك اذا جعلت التاء مزيدة كان الترجمان ، على وزن تفعلان (وترجم) على تفعمل . وكلاهما مفقود .

" ثم ان اعتبار هذه الزيادات لغوي الامام " ابن سيده " والامام النواوى " باشتقاق (الاندلس) من مادة (الدلس) وهو الظلام .

ويضيف فيقول :

(١) الجاسوس ، الشدياق ص ٨٦

(٢) = = ص ٩٠ .

"واقرب من كل غريب لاعتبار المصنف والصفاني الههزة في (ابجد)
زائدة ولذا ذكرها في (بجد) فكيف تكون زائدة وهي اولى الحروف (١) .
اما البستاني فقد اقتصر عمله على المعجم ، ملتزما بطريقة وضع المادة ،
من الفعل الثلاثي المجرد ، ثم حسب الحرف الاصلي الاول ، ثم تأتي باقي
المشتقات . وسأتي على ذكر هذه الطريقة في فصل خاص حين نتكلم عن
معجمه محيط المحيط .

وهكذا الشرتوني ، الذي اتبع طريقة سلفه . او ما صرح به هو في
مقدمة معجمه "اقرب الموارد" انه اتبع طريقة المجل وما شاكله من حيث
ايراد اللفاظ باعتبار اصولها " وهو ما سنأتي على ذكره بفصل خاص .

ثالثا - التقصير في شرح المواد :

حاول البستاني ان يني شروح اللفاظ ، بما اضافته من معانسي
جديدة استعدها من مطالعته الغزيرة لكثير من المعاجم الأوروبية ، او
المعاجم المقارنة بين العربية واللاتينية لفولبيوس وفريثغ مثلا ، او بما قام به
من مقابلات ومعارضات بين المعاجم العربية القديمة وكتب اللغة .
ورغم ذلك كله ، بقي " محيط المحيط " دون بلوغ الغاية المرجوة
منه . ولعل الشرتوني في " اقرب الموارد " كان اكثر منه عوا في تطوير الشرح
وتوسيع معانيه ، رغم بقاءه في حيز التقليد اجمالا .

وما اورده الشدياق عن القصور قوله :

" ومن هذا القصور تعريفهم لفظة بلفظة اخرى من دون ذكر
" الفرق بينهما بالنظر الى تعديتهما بحرف الجر . كقول
" الجوهرى مثلا : الوجع الخوف ، ومثلها عبارة القاموس والمصباح
" مع ان وجع يتعدى بمن وخاف يتعدى بنفسه .

• وقوله ايضا الجنف الميل ، وقد جنف بالكسر يجنف جنفا • ومنه
• قوله تعالى : فمن خاف من موص جنفا • وهو يوهم انه يقال :
• جنف عنه وعليه واليه ، كما يقال مال عنه وعليه واليه • وعبارة
• المصباح جنف جنفا من باب تعب وظلم ، وهو يوهم انه يقال :
• جنفه • كما يقال : ظلمه • وعبارة العباب : الجنف الميسل
• والجور والمدول • " ١ " •

رابعا - الغموض في التعريف :

استمرعى غموض عبساسة المعجم القديم ، انتباه الشدياق ، فطالب
بوضوح التعاريف ، وانتقد ماجا فيها من ليس وتعمية ، وقد ارجع اسباب ذلك
الى الجهل او الغفلة او الاعمال •

ويلوم الشدياق المعجميين القدامى الذين لم يتحاشوا قضية مثل
هذه بشي • من الفطنة والذكا • او من الجدة والمثابرة •

ويورد في سبيل ذلك ، بعض نقود ، تتم عن عمق لغوى ، ونفاذ بصيرة
في شؤون المعجم • فقد رأى ان اعتماد المؤلف القديم على معرفة الناس
للتعريفات ، او نقله من غيره دونما تحقق ، او الكفائه بنقل الالفاظ من الكتب التي
نقل عنها ، دون تفسير للمادة ، ظنا منه ان ايرادها دون تفسير يقلل له
الايجاز ، وان العطالع لها لا بد وقد اطلع عليها في غير كتابه •

• نشأ هذا الخلل في القاموس ان مصنفه كان يرى هذه الالفاظ مفسرة
في الكتب التي نقل منها فاوردها من دون تفسير اما لتوهمه ان المطالع قد
اطلع عليها قبل مراجعة كتابه او انه يعرفها من سياق عبارته • (٢) •

(١) الجاسوس ص ١٢

(٢) الجاسوس ، ص ٣٤٩ وما بعد ها •

هذا ، وقد اضاف الشدياق نقداً جديداً على النقود السابقة ،
مستهدفاً به قاموس الفيروز آبادي بما اسماء الشمول للالفاظ التي استعملها
الادباء والكتاب ، وكل من اشتهر بالتأليف ، وهو مطلب يقوم اولاً وقبل كل
شيء على الاحصاء الدقيق .

وكل ما يطلبه الشدياق من المؤلف هو الا يخلط بين مسائل اللغة
ومسائل "دوائر المعارف" او الكتب العلمية ، فيضيع في القواميس ما حقه
ان يكون في غيرها .

ولعل هذا للنقد موجه الى المستلني ، الذي اضاف الى المعجم
القديم كثيراً من المصطلحات العلمية والتقنية واسماء المدن والاعلام وغير
ذلك .

هذا ، وقد ذكر لنا الشدياق مسائل كثيرة لا يكون محلها كتب
اللغة ، جاءت في بعض هذه الكتب القديمة .

"ومن دأب العصف - سامحه الله - التهاقت على الالفاظ التي
اختلف فيها المفسرون ، وجعلها من كلام العرب كقوله في جزءاً وجعلوا له
من عباده جزءاً الى انكنا" .

ويتابع فيقول "ونظائر هذا كثيرة ، التصدى لها في كتب اللغسة
فضول كما قال المحشي" (١) .

• اما المعاجم ، ففي الفصل التالي .

(١) الجاسوس ، ص ٥٠ = ٥٢ .

الفصل الثالث

معاجم القرن التاسع عشر
في لبنان

١- معجم "محيط المحيط" ومختصره "قطر المحيط" للمؤلف: بطرس البستاني (١)

(١) - بطرس البستاني : ١٨١٩ - ١٨٨٣ م .

ولد بطرس^{بولس} البستاني عام الف وثمان مئة وتسعة عشر في قرية "الديبه" تعلم في صغره ، على طريقة رجال العصر الماضي ، في مدارس السنديانة ، على يد الخوري مخائيل البستاني ، كاهن القرية ومعلم اولادها . ثم ارسله المطران عبد الله البستاني ، راهب ابرشية صور وصيدا ، الى مدرسة عين ورقة بكسروان ، حيث تلقى فيها فنون الادب في لغة العرب ، من صرف ونحو وبيان وعروض ومنطق ، واخذ بقسط وانمو من علم الفلسفة واللاهوت الادبي والنظري ، ومبادئ الحق القانوني . كما تمكن من اللغة السريانية ، وعرف اللاتينية والاطالقية . تعرف عام ١٨٤٢ على بعض المرسلين الاميركان ، من دعاة المذهب الانجيلي فواتهم على العمل . يعلمهم العربية ، ويترجم لهم الكتب بها ، ومن الذين تعرف عليهم من هؤلاء الدكتور كرنيلوس فاندريك ، وصار البستاني انجليا ، فكان من مؤسسي الطائفة الانجيلية في بيروت . اعان فاندريك المذكور على انشاء مدرسة في عبيه ، ثم عمل مترجما في قنصلية اميركا ، ثم انصرف بعدها الى التأليف والترجمة ، عمل مع الدكتور عالي الميث في ترجمة جمل اسفار التوراة . وقد درس من اجل ذلك ، العبرانية واليونانية والارامية . ثم اشترك مع ليف من اخوانه ، كفاصيف اليازجي ويوسف الاستر ، في مساعدة فاندريك على ترجمة البقية من اسفار الكتاب المقدس . ثم اخذ ~~باعتباره~~ مادة قاموسه من محيط المحيط ومختصره ، فبدأ يعد ، ثم اخذ يعد النفس الى انشاء دائرة المعارف . طبع اول نشرة عمومية ظهرت في سوريا في سنة ١٨٦٠ ، سماها "نفيير سوريا" وفي عام ١٨٦٣ انشأ في بيروت مدرسة عالية سماها "المدرسة الوثنية" وفي عام ١٨٧٠ انشأ مجلة علمية ادبية سميها "الجنان" .

اصدر بطرس البستاني ، هذا القاموس في جزئين ، فرع من الجزء الاول (١)
في ٢١ تموز ١٨٦٦ / ١٢٨٣ هـ . ومن الجزء الثاني (٢) في ١٢ تموز ١٨٦٩ /
١٢٨٦ هـ .

ولم يبين الدافع المباشر ، الذي حدا به الى تأليف هذا المعجم الكبير ، كما
لم يمهّد لهذا العمل بدراسة نظرية ، كما فعل الشدياق في " الجاسوس على
القاموس " مثلاً . وانما اكتفى بمقدمة وجيزة ذكر فيها مصادر دراسته التي قامت على
ماني محيط الفيروز ابادى ، بشكل رئيسي ، ثم ما ند له من زيلوات كثيرة وجدها في
كتب السلف والمعاصرين ، وما يحتاج اليه القارى . - في عصره - من اصطلاحات
العلوم والفنون .

يقول المؤلف في مقدمة الجزء الاول من المعجم :

" ولما كان هذا المؤلف يحتوى على ماني محيط الفيروز ابادى الذى هو اشهر
قاموس للعربية من مفردات اللفظة وعلى زيادات كثيرة عثرنا عليها في كتب العلوم
القدم ، وعلى ما لا بد منه لكل مطالع من اصطلاحات العلوم والفنون سميناه بمحيط
المحيط " . (٣)

..... - انظر بطرس البستاني :

- ١- تراجم مشاهير الشرق ، جرجي زيدان ، ص ٢٩ .
- ٢- مصادر الدراسة الادبية ، يوسف دلفر .
- ٣- المسلم بطرس البستاني ، ميخائيل صوايا ، ص ١٨ وما بعدها .

(١) يبدأ بباب الهمة ، ص ٣ ، وينتهي بحرف الشين ، مستغرقاً ١١٥١ صفحة
قطع كبير .

(٢) يبدأ بباب الصاد ، ص ١١٥٢ ، وينتهي بحرف اليا ، متتملاً ب ٢٣٠٧ صفحة
قطع كبير .

(٣) من مقدمة الجزء الاول ص ٢ .

فيران البستاني ما لبث ان ذكر الدافع ، الى عمله هذا في معجمه الثاني (المختصر) " قطر المحيط " حيث قال : " فلما كان احيا اللغة العربية التي هشمتمها ايدى الزمان ، وحالت دون نور حياها الساطع ودون اهلها براقع الهجر والجهل والنسيان ، فرضا على كل من نطق بالضاد ، وكان امر تحصيلها وتسهيل اسبابه من مرفويات من اتصف بالحماسة الوطنية والحمية العربية ، رأينا ان نضع فيها هذا المؤلف على وجه هين المراس ، سهل المآخذ ، ليكون للطلبة مصباحا يكشف لهم عما اشكل عليهم من مفردات اللغة التي معرفتها عند المحققين هي نصف العلم لان افادة العلم واستفادته تتوقفان عليها (١) .

ويبدو من النص ان بعث العربية ، واحيا تراثها ، هدف البستاني اولا وأخرا ، ورغبة منه في تيسير المادة اللغوية لابناء العربية ، والطلاب خاصة . ولعل رغبته الاخيرة في تسهيل الامر على الطلبة ، هي التي دفعته من بعد ، لعمل مختصر سماه " قطر المحيط " كي يمكنهم من تناول المادة المطلوبة باقرب سبيل ، ويحقق بالتالي طلبتهم في البحث العلمي .

وقد اهدى معجمه " محيط المحيط " للحضرة الشاهانية . . . السلطان عبد العزيز خان " (٢) .

- مصادر معجم البستاني :

ذكر المؤلف في مقدمة الجزء الاول ، ما انطوى عليه المعجم من مادة استقاها بشكل رئيسي ، من " محيط الفيروز ابادى " مضافا اليها ، ماجد على المجتمع من علوم ومخترعات ، استلزمها الحياة الجديدة ، مما يحتاج اليه القارى في القرن التاسع عشر وعصر النهضة .

(١) من مقدمة قطر المحيط .

(٢) من مقدمة الجزء الاول (محيط المحيط) .

مادة معجم البستاني ،

يبين البستاني مادة كتابه على أنها تحتوي على ماني محيط الفيروزآبادي .
من مفردات اللغة ، وعلى زيادات كثيرة عثرنا عليها في كتب العلوم وعلى ما لا بد منه
لكل مطالع من اصطلاحات العلوم والفنون .

ويتابع في تبين ذلك في خاتمة باب الرأ من الكتاب فيقول :
" وقد اضفت الى اصول الاركان فروعاً كثيرة ، وتفصيل شتى ، والحقت بذلك
اصطلاحات العلوم والفنون ، وكثيراً من المسائل والفوائد والقواعد والشوارد وغير ذلك
مما لا يتعلق بمتن اللغة " .

ويكمل هذا القول في خاتمة " قطر المحيط " متحدثاً عن المحيط :
" وقد أدرجنا فيه كل ما قدرنا ان نقف عليه من مفردات اللغة واصولها
وفروعها واصطلاحات . . . وكثيراً من كلام المولدين ، واللغة الدارجة ، ورصعناه
بالشواهد من القرآن (الكريم) والحديث (الشريف) والشعر واضأى المرب الى
غير ذلك من الفوائد والنوادر والشوارد ما لاغنى عنه للمطالع " (١) .

من كل ما تقدم ذكره ، يتبين ان هذا المؤلف ، قد احتوى على الكثير من المواد
والفوائد مما جعله يقول عنه " محيط المحيط " .

— نسق المادة في " محيط المحيط " —

التم البستاني في وضع المواد طريقة اعتبار الحرف الاول — وحده — من
المادة الاصلية للثلاثي المجرد ، ثم قسم الباب الى فصول ، سالكا مسلك الزمخشري
في " اساس البلاغة " ، في تنظيم مواد المعجم حسب الحرف الاول والثاني والثالث
فالرابع من حروف المادة الاصلية .

(١) من خاتمة " قطر المحيط " .

ف " اذا شئت كشفت لفظة ، فاذا كانت مجردة فاطلبها في باب اول حرف منها ، واذا كانت مزيدة فجردها اولا من الزوائد ، ثم اطلبها في باب اول حرف منها ، واذا كان في الكلمة حرف مقلوب عن آخر فاطلب تلك الكلمة في مكان الحرف الاصيل المقلوب عنه (١) . "

هذا ، وقد استهل كل باب بتمريف عام للحرف الذي هو بصدده ، حدد فيه موقع الحرف من الالفيا ، واسمه في العبرية والسريانية ، واحوال نطقه عند العامة ، وقدره في حساب الجمل فالحرف " الحاء " مثلا . . . (الحاء) وتقصر الحرف السادس من الحروف الهجائية ، وهو في العبرانية والسريانية جث ومعناه حائط لان صورة سماء بالفينيقية تشبه الحائط والحاء في حساب الجمل عبارة عن ثمانية من العدد " (٢) . "

الصرف في معجم " محيط المحيط " :

بدأ البستاني محاولة منهجية ، في التزام طريقة الترتيب ، لكنه لم يكملها ، فقد حاول مراعاة تسلسل انتقال المادة من الفعل الى المصدر الى الوصف دون ان يأخذ وجهة محددة ، فكثيرا ما كان يقدم ويؤخر بدون ضابط ، متصرفا فسي ترتيب الالفاظ في داخل المادة ، كما يشاء . غير انه راعى طريقة ضبط بنية الكلمة ، واحوال تغيرها من مفرد الى ثنية فجمع . كما ظل وفيما بوضع الفعل الثلاثي المجرد فالمزيد . . . وهكذا . . .

٢ - ضبط بنية الكلمة :

لم يفكر البستاني علامة او رمزا لاهواب الاوزان الستة ، مما جعله يذكر الماضي مع رسم الشكل احيانا ، ضمنا للالتباس ، وايراد المضارع بعده ، موسوم العين واللام بالحركة المناسبة ، مصرحا بالحركات على طريقة الفيروز ابادي مع اهمال طريقة التمثيل ، لقوله في مادة " دش " :

(١) من المقدمة ، تحت عنوان ، فائدة .

(٢) انظر باب (الحاء) .

دش فلان يدش دشا . . دون ان يذكر رمزا يشير الى ان الفعل من باب نصر ، فمعني نفسه من ذكر مضارعه .

وانذا سمع للفعل الثلاثي وزنان ، فانه يذكرهما مع ذكر مضارعهما . كقوله في مادة : "رغد" . رغد عيشه يرغد رغدا
ورغد يرغد رفادة طاب واتسع .

ب - الصيغ

يقول البستاني في خاتمة حرف الراء :

"ولاجل التسهيل على الطالب ميزت بين الافعال والاسماء وبين المجرد والمزيد من الفريقين" كل نوع على حدته مندرجا مع نظيره من الابنية " (١) .

لكن البستاني لم يحقق ما ذهب اليه من وعد ، بل كثيرا ما ينقل المادة ، مرتبا الفاظها حسب ما يتهيأ له من ترتيب ينطبق مع منهجه مرة ، ومع محيط الفيروز ابادى مرة ثانية ، وهكذا حيث يقدم ويؤخر بدون اي ضابط .

اما الجمع فقد قلد فيه رمز صاحب القاموس . فللجمع (ج) وللجمع الجمع (جج) .

اما المتنى فلا يذكر الا ان يكون للثنتين في الاستعمال شأن خاص . وهذا شأن المعاجم القديمة .

مصطلحات الشكل عند البستاني

اتبع البستاني في رسم هيكلية الصفحة شكل جدولين ، يقسمانها الى يمين الصفحة ويسلوها كلمة عن يمينها ايضا تشير الى الكلمة الاخيرة في جدولها ، ويسار الصفحة ويعلوها كلمة عن يسارها ايضا ، تشير الى الكلمة الاخيرة في جدولها .

(عمود عن حرف الالف)

(١) من خاتمة حرف الراء ص ٨٤٧ .

تعرض معجم " محيط المحيط " للبستاني ، لموجات نقدية عارمة ، وكان اغتفابها حملة احمد فارس الشدياق على الكتاب ، والجدير بالذكر ان الشدياق لم يصرح بهذا النقد بشكل مباشر ، وليس هذا عن خوف من البستاني ، وانما عن ترفع وزهو . فقد عمد الشدياق الى انتقاد كتاب " القاموس المحيط " للفيروز ابادى وهو الكتاب الام السذى استقى منه البستاني كل مادته تقريبا ، وقد تمثل هذا الانتقاد في عمل معجمي كبير سماه " الجاسوس على القاموس " .

وقد وصف هذا العمل غير المباشر ، مارون عبود بقوله :

" ولا اتمك عنا ان الشدياق انتقد قاموس الفيروز ابادى ليهدم محيط المحيط الذى انتقد فيه البستاني على القاموس . فاصاب عصفورين بحجر واحد " (١) .

كما عمد الاب استاس الكرملى الى نسخة من الكتاب " تقع في خمسة مجلدات و اضاف الى كل جزء قوائم بيضا " بعدد قوائم الاصل ثم حشاها بزياداته ومستدركاته مما فات البستاني " (٢) .

" ونبه ايضا على ماني الكتاب من اوهام واغلاط ، وهي على مايقول كثيرة جدا ، واول فلت وقع فيه البستاني ، حسب رأى الكرملى - تسمية كتابه . فمن رأى الكرملى ان يقال " المحيط بالمحيط " لان الصحيح احاط بالشيء لا احاط الشيء " (٣) .

هذا ، وقد نبه ابراهيم اليازجى على عنات فغل عنها البستاني ايضا ، في الكتاب ذكرها بشكل تعليقات على حواشي ، الكتاب بالقلم دون ان يطبمها . وقد جمعها المؤلفان سليم شمعون وجبران النحاس في كتاب لم يصدر من اجزائه الا باب الهزمة فقط ، في مائة صفحة قطع كبير .

وسنأتي على ذلك بذكر النقد المعجمي ، بالتفصيل ، لكننا نورد ، هنا مثالين من امثلة نقد اليازجى هذه :

(١) صقر لبنان ، مارون عبود ، ص ١٤٢ .

(٢) انظر ، مقالة لمحمد رضا الشبيبي ، مجلة المجمع (القاهرة) ١٩٥٧ / ٩٢ ، صفحة ٤٢ .

(٣) نفس المصدر .

صفحة	جدول	سطر
٢٣	١	٢ - (البلية) في المتن ، (والالية البلية)
		اه . وانما الألب لغة في اليلب وهي
		الترسة والدروع الخ . . واحدها الالبة
		ولا معنى لليلية هنا .
٤	١	٢٤ - مأبر : في متن المحيط ، والمثبر والمثبار بيت
		"لابرة ، والتميمة وانساد ذات البين وما يلقح
		به النخل وما رق من الرمل ج مأبر ، اه .
		" كتب الشيخ ابراهيم على الهامش : " ومأبر
		وثير من هذه المادة لم يذكر في القاموس
		ولا الصحاح . . اه .
		" التنبيه على مأبر لانها جمع المثبر فقط واما
		المثبار فالقياس ان تجمع على مأبر .

- لاريب ، ان مؤلف محيط المحيط للبستاني ، كان نواة معجم عصرى جديد ،
فيه الكثير من مآمن العثار . وتلافي كثير من عيوب المعاجم القديمة ، مما لا يجوز نكرانه
باى حال من الاحوال .

ويمكننا ايجاز حسنات هذا المعجم الكبير بالنقاط التالية :

١- سهولة التعبير في الاسلوب ، ووضوح الدلالة في تركيب العبارة ،
حيث اعتمد البستاني لغة استجمع فيها شتات اللغة واستدنى اليه
شواذها على اسلوب لين وماخذ سهل . بما سوى بين المعالم والجاهل ،
والمتبهي والمبتدى في التناول منه .

٢- اسقاطه للمهمل من الاستعمال ، ومالم يتداوله الناطقون بالضاد .
ايماناً منه ان تلك الثروة الواسعة مما خلفه العرب ، والذي بات في حكم
المهمل ، يجب ان يصير الى مخزونات أمات المعاجم الكبرى : فلكل عصر
لغة ، ولكل زمان بيانه وذوقه .

٣- تركه لكثير من المترادف ، مما نتج او ينتج عن تضارب اراء العلماء فيه ، فكل مترادف غريب ، كاسم مهجور او لفظ ثقيل على اللسان ، لم يجد أية فائدة من الاحتفاظ به ، كان يسقطه .

٤- قلما اهتم للاضداد ، كانه رأى فيها مضيعة للوقت ، والاهتمام بها ضرب من الثعنت وارهاق الذهن فيما لا جدوى من ورائه .

٥- قلّة اكتراثه للفروقات اللغوية ، فهي - برأيه - وان دلت على دقة تصور البدوى ، وفسحة خاطره ، فانها تحمل رواد هذه اللغة على ان ينقلبوا عن موردها ثافرين ، ولا سيما في هذا العصر ، الذى ازدحمت فيه الحاجات وضائق وجوه الارتزاق واصبح الناس اميل الى تعلم احسن اللغات الحية في اسرع ما يمكن الوقت .

٦- كما اوضح اصل كلمات عديدة زهل اللغويون عنها ، او جهلوا اصلها ، وانشأوا ايضا ، الى اصل كثير من الكلام المعاصى فائدة للاعاجم الذين يقبلون على درس اللغة العربية .

لذا ذكره مثلا لـ "الخرجة" (قطعة من البناء حولت الى الخارج) .

• "الديباجة" (موضع الديباجة) .

• "المرجوحة" (مهد يعلق لينام فيه الطفل) .

• "السارقة" (منشار صغير له نصاب كالسكين) .

• "الشقفة" (القطعة من كل شي " و "صفن" (بهت

كالمفكر في امر) . وغير ذلك . . .

٧- وشرح اصول بعض الالفاظ الاعجمية ، وجمع شيئا كثيرا من اصطلاحات

الملوم والفنون المختلفة الداخلة في اللغة مع المعربات .

٢- معجم " اقرب العواد في فصيح العربية والشوارد " للمؤلف : سعيد الشرتوني (١) .

انتوى سعيد الشرتوني اصدار معجم في قسمين كبيرين :

(١) سعيد الشرتوني ، ١٨٤٩ - ١٩١٢ م .

١٢٦٥ - ١٣٣٠ هـ .

ولد سعيد عبدالله الشرتوني عام الف وثمان مئة وتسعة واربعين في قرية " شرتون " تعلم متأخرا في سنة ، عند المرسلين الاميركان في " عبيه " عام ١٨٦٢ وبعد عامين انتقل الى مدرسة " سوق الغرب " فاتم دروسه فيها ، كان للحظ الحمة الكبر الاثر في حياته ، فهي المدرسة الاولى التي تخرج منها الكاتب . امتحن في التعليم في مدارس الالبا " اليسوعيين " فميلة ١٥ عاما ، وكان قد تولى تصحيح مطبوعات اليسوعيين نحو ٢٢ سنة . لم يكن يفتر فيها بحكم الضرورة وعامل الرغبة من مواصلة البحث والتنقيب في اسفار اللغة العربية .

صرف بقية عمره ، باحثا منقبا ، لفائدة ابنا " العربية ، واحيا " ما طوي من مسالم اللغة ، وظل يولف وينشر المقالات في الجرائد والمجلات حتى وفاته في عام

١٩١٢ م .

- انظر سعيد الشرتوني :

١- الاعلام للزركلي طبعة ثانية ، ج ٣ ص ١٥١ .

٢- المقتطف / ٤١ / ص ٢٢٥

٣- الأثار / ١٠٥ /

٤- المشرق / ٢٢ / ص ٢٤٢ .

الاول : في مفردات اللغة الصرفة .

الثاني : في المصطلحات العلمية والكلم المولد والاعلام .

غير ان المؤلف لم يصدر الا القسم الاول مستدركا اياه بـ " ذيل " .

اما القسم الثاني فلم يعده ولا تدرى السبب في ذلك .

وقد استغرق القسم الاول مع الذيل ، اثنين وخمسين والفى صفحة من القطع

الكبير ، توزعت على ثلاثة مجلدات ، جمع المجلد الاول والثاني تحت عنوان " معجم

اقرب الموارد الى فصح العربية والشوارد " وجعل المجلد الثالث تحت عنوان " الذيل

كملحق للمعجم .

أ - مجلد القسم الاول :

صدر المجلد الاول منهما بمقدمة " وسبعة مقاصد " تحدث فيها عن منهج

الكتاب وما ارتضاه لنفسه من تنظيم . رجا منه فائدة الدارس مع تبيان الدافع الذي حدا

به الى القيام بتأليف الكتاب .

وقد تضمن القسم الاول هذا ، بمجلديه ، على " مفردات اللغة الصرفة ، مع

ذكر شي " من مصطلح المروض ونزرا لا يحفل به من الالفاظ المولدة والاعلام ذهابا مع

عادة السلف من مؤلفي اللغة رحمهم الله " (١) .

ب - الذيل :

صدر المؤلف هذا الملحق ، الذي استدرك به القسم الاول من المعجم ، بثلاثة

مقاصد موسما بها دائرة العمل الذي بدأه . فجعلها كما قال في مقدمة كتابه (٢) :

- الاول : ماكنت قد اعطته وذهلته من الكلم الوارد في كتب اهل اللسان .

- والثاني : كل ماند عن التدوين مما افلته اقلام العلماء من اصحاب الشأن ،

وهو الضوال التي من الله علي بها باستدراكها على المتقدمين

في العلم والزمان " (٣) . وقد استخرجها المؤلف من تصانيف

البلغا " ودواوين الشعراء " ومن كتب اللغة التي عنيت في مثال

هذه البحوث (٣) .

(١) من مقدمة الجزء الاول " اقرب الموارد " ص ٦ .

(٢) من مقدمة الذيل ص ٤ .

(٣) المعاجم العربية ، عبد السميج احمد ص ١٦٩ .

وانظرا المعجم العربي الكتاب القيم . للمؤلف الدكتور حسين نصار . /

- والثالث : اصلاح ما آدب اليه الاطمئنان الى القاموس وغيره من الالفاظ

• اللغوية

هذا ، وقد ختم " الذيل " بجدول مطول يقع في اربع وتسعين صفحة كبيرة
ضمنها بحثا يتناول على بيان الاغلاط التي وقعت في معجمات المتقدمين مع اصلاحها ،
كذلك الاغلاط الواردة في معجم الاساس والتاج والقاموس المحيط • معتمدا في تصحيحها
على ما نقله من كتب ائمة اللغة والبيان •

ثم يقترح " تذييل كل كتاب من كتب اللغة بذييل يتضمن اصلاحا تاما ••
لما وقع فيه من لغلاط التأليف والطبع وفاقا بحق هذه اللغة الشريفة وتعميما للفضل " (١)

اما الدافع على تأليف هذا المعجم الكبير ، فهو كما يقول صاحبه : " نقصان
مكتبتنا العربية لمعجم يضم فرائد هذه اللغة " (٢) •

ويستعرض المؤلف محاولات العرب الاولين في هذا المضمار ، فيرى انهم
قصروا وعقدوا مما جهم • " ففق جاءوا بمعاني الكلمة الواحدة شتات شتات • كأنها
ازماع بنات • فأم الله ليوشكن جلد الناخذ ان يتفر قبل الظفر بضالته • ووقست
الطالب ان يتجرم دون امساك نادته • وهم فوق ذلك لم يكتبوا النظر فروع المواد ،
بل اثوابها كالمتواري في خمر الواد " (٣) •

فما يؤخذ من عبارته ، انه كان يهدف التيسير وتوفير الوقت على الباحثين
وتدقيق النظر في المواد • " وكان اليسير غرضا هاما لدى المؤلف ، فاقام عنوان المعجم
عليه ، ولأول مرة نرى صاحب معجم يشعر بقيمة الوقت ويريد ان يوفره للباحثين " (٤) •

(١) من مقدمة " الذيل " ص ٥

(٢) من مقدمة الجزء الاول ص ٦

(٣) من مقدمة الجزء الاول ص ٦

(٤) المعجم العربي ، حسين نصار ، ص ٧١٧ •

الا ان الشرطوني ، صرح في موضع آخر من المقدمة ، بسبب الدافع على عمله هذا ، الذي كان استجابة لرغبة المرسلين اليسوعيين في لبنان " الذين سألوهم المرة بعد المرة وضع معجم يطلّ بالطالب على طلبته ويواجه المبتغي ببغيته ، حرصا على الزمان ان يذهب كلنا " (١) .

هؤلاء اليسوعيون " الذين جذبهم حب هذه اللغة الشريفة وعرفان مرتبتها ^{المستقلة} الكريمة ، مع اجنبيتهم عنها ، الى ان يفرضوا تعليمها في مدارسهم ، وذلك ليأتي الطالب على اللغة ، ولو مرة في مدة الطلب ، فتتعرف المعاني في ذهنه الى ما يليق بها من الالفاظ ويتعرس باساليب اللغويين ، وتترامى له بلاغة كلامهم " (٢) .

هذا ولم يجد الاباء اليسوعيون في كتب اللغويين السابقة ما يحقق اغراضهم التربوية وما " يواجه مقصودهم ، ويشايخ مرادهم ، وذلك لالتزام المؤلفين ذكر الفاظ السوات وما يتعلق بها " (٣) .

وبهذا ، يكون الشرطوني ، قد استهدف في معجمه " اقرب الموارد " فرضا تربويا بجانب اغراضه اللغوية والعلمية ، حيث تحذف الفاظ السوات " وما يضاف اليها من الالفاظ المبذورة رعاية لحرمة الادب (٤) ، غير اننا لانجد هذا التحرج من الفاظ السوات في " ذيل المعجم " وكان الشرطوني اراده للمتخصصين ، وليس للطلبة ، وهذا ماجمله يأتي على ذكر المادة دون نقصان .

- مصادر معجم الشرطوني ، ومادته :

اعتمد الشرطوني في استقائه مادته ، على مصادر لغوية كثيرة ، وعلى الاخص القاموس المحيط . حيث اجرى عليه بعض التغييرات ، وقد تصرف فيما نقل بالحذف لاسماء البقاع والاهلام والادوية ، وما كان يدخل من توهيمات اخذها صاحب القاموس عن الجوهرى ، كما تصرف في معظم المبارات التي كان الفيروزابادي يضبط بهها الالفاظ ، والمشتقات القياسية ، وبعض المواد والصيغ والمعاني والصفات والمصطلحات وتعليق الاسماء والتنبية على اللحن ، وبعض التفسيرات . مقتصرا على تفسير واحد

(١) من مقدمة الجزء الاول ص ٦

(٢) من مقدمة الجزء الاول ص ٨ .

(٣) من مقدمة الجزء الاول ص ٨ .

(٤) = = = = =

او اثنين من التفسيرات الكثيرة المتقاربة ذات الدلالة الواحدة للفظ الواحد ،
مضيفا بعض الصيغ والمعاني والشواهد النثرية والشعرية والاسجاع من اساس البلاغة ،
والاقوال وبعض المرادفات وبعض الكلمات في التفسير لتوضيحه ، آخذ اكثر هذه الزيادات
من تلج المروس ، او اللسان ، او الصحاح .

كما رجع الى " مصباح " الفيومي ، والرافق الاصفهاني ، والمطرزي " ابن فارس
في المجمل " مع اخذ زيادات من معجمي جوليوس وفريتاغ ومحيط المحيط وقطر المحيط
للبيستاني .

- نسق المادة في " اقرب الموارد "

التزم الشرتوني طريقة البيستاني في اعتبار الحرف الاول - وحده - من
المادة الاصلية للثلاثي المجرد ، مقسما معجمه الى ثمانية وعشرين بابا ، لكل حرف
من الحروف باب ، وهكذا فعل في " الذيل " ايضا . فباب الهمزة للسلكات المبدوءة
بهمزة اصلية ، وباب الباء للمواد المبدوءة بالباء اصلا وهكذا ثم قسم الباب الى
فصول ، حسب الحرف الثاني من حروف المادة الاصلية ، ورتب المواد في كل فصل حسب
الحرف الثالث ، فالرابع ، فالخامس ان كانت المادة ثلاثية ، او رابعة او خماسية
على التوالي .

" ومع اتصال الشرتوني بالمعاجم الأوروبية ، كمعجم جوليوس وفريتاغ ، واختيار
هذه ترتيب كلماتها ترتيبا يخضع لهجائها ، فان الشرتوني ، عاد باختياره للكلمات
الى اصول موادها ، اقتناما لما فطن اليه اللغويون العرب من الصلة القوية بين اصل
المادة ومشتقاتها ومآثر صورها من جهة ، وللرابطة التي تربط اصل المادة بسائر
فروعها وصورها المنبثقة منها بطرق التنمية اللغوية المعروفة ، في العربية :
الاشتقاق وفهمه من جهة اخرى ، ولان اختيار نهج اللغويين العرب يعين في الحفاظ
على حجم الكتاب المعجمي وصورته ، ان يحول دون اضطرار الكاتب الى تكرار الحديث
عن المعنى الواحد في اكثر من موضع تبعا لكثرة المشتقات المنبثقة من اصل واحد ،
وتعدد دلالتها على ظلال او صور لمعنى واحد " (١) .

(١) المعاجم العربية ، عبد السميع احمد ص ١٧٠ - ١٧١ .

هذا ، وقد احتذى الشرتوني ، حذو سلفه البستاني ، في طريقة التقديم لكل باب بكلمة عن الحرف المقود له الباب ، ذكر فيها اقسامه لينة او مهموزة ، وموقعه من الحروف الهجائية ، واستعمالاته ومعانيه ، وقيمه في حساب الجمل . . . غير انه قفل عن ذكر اسم الحرف في اللغات السامية الاخرى .

الصرف في معجم " اقرب الموارد " :

التم الشرتوني ، التزاما صارما ، بترتيب المادة ومراعاة تسلسلها من المادة الاصلية في الفعل الثلاثي المجرد الى المصدر الى الوصف . . . الا ان بعض المواد جاءت دون تحقيق لهذا ، رغم انه بذل جهده في سبيل جعل الكتاب في نسق واحد .

امسا :

أ - ضبط بنية الكلمة :

فقد عنى الشرتوني بضبط المادة ، عناية لاتخلو من جهد ، وخاصة الفعل الثلاثي منها . وقد استخدم لذلك رموزا تشير الى باب كل فعل يذكره ، ليبين تصرف ماضيه ومضارعه .

وهذا هو جدول برموز الابواب او الاوزان الستة في معجمه :

- الباب الاول : باب نصر ينصر

يفتح عين الفعل في الماضي وضمها في المضارع ، وعلامته (ن)
- مثال دش فلان (ن) دشا ؛ بمعنى انه (دش يدش) يفتح عين الفعل في الماضي ، وضمها في المضارع .

و- جـ الشيء* (ن) رجا ، فهو (جـ يجـ) وهكذا . . .

الباب الثاني : باب ضرب يضرب

يفتح عين الفعل في الماضي وكسرها في المضارع وعلامته (ض)
مثال خبز الخبز (ض) خبزا ؛ عمله بمعنى انه (خبز يخبز يفتح عين الفعل في الماضي وكسرها في المضارع .

...

- الباب الثالث : باب قطع يقطع

- بفتح عين الفعل في الماضي والمضارع معا ، علامته (ع)
- مثال ربيع الرجل ع ربيعا ، وقف وانتظر ، بمعنى انه (ربيع يربح) بفتح العين في الماضي والمضارع معا .

- الباب الرابع : باب علم يعلم

- بكسر عين الفعل في الماضي وفتحها في المضارع ، وعلامته (ل)
- مثال برش ل برشا بالتحريك . بمعنى انه (برش يبرش) بكسر عين الفعل في الماضي وفتحها في المضارع .

- الباب الخامس : باب كرم يكرم

- بضم عين الفعل في الماضي والمضارع معا ، وعلامته (ر)
- مثال حلم حلما (ر) بمعنى انه (حلم يحلم) بضم عين الفعل في الماضي والمضارع معا .

- الباب السادس : باب حبيب يحبيب

- بكسر عين الفعل في الماضي والمضارع معا ، وعلامته (س) وهو قليل
- مثال ورث (س) بمعنى انه (ورث يرث) بكسر عين الفعل في الماضي والمضارع معا .

اما اذا ذكر لمعين الفعل وزنان ، فانه يورد علامتي الوزنين المسموعين لقوله :
■ خَرَطَ الورق ن ض خَرَطَا : قشره عن الشجرة اجتذابا بئفه . بمعنى انه
(خَرَطَ يخْرِطُ وخرَطَ يخسرط)

• بفتح العين في الماضي وضمها وكسرها في المضارع

كما قد يورد الفعل مسموعا بتثنية عينه ، فيورد العلامات الثلاث : لقوله :

■ سَنَع ن ع رسنوعا وسناعة ، بمعنى انه على اوزان ثلاثة هي :

سَنَع يسنع

وسنَع يسنّع

وسنّع يسنّّع

هذا الضابط لبنية الفعل ، والكلمة ، جملة الكاتب أساس البدء في تناول المادة ، والتزمه التزاما صارما ، وبشذو ترتيبي للوزن . ولعل هذا ما جمعه - احيانا - يقدم الفعل المتعدي على اللازم اذا ورد على وزن عُصْر او ضَرْب ، ثم يتلوه باللازم ، لانه يرد من باب علم .

واذا ذكر اسما وعقبه بقوله : " بالضم " نحو (الذرعة) بالضم ، فالضبط لاول الاسم ، واذا عقبه بقوله : " بالتسكين " كان الضبط للحرف الثاني ، لان العربية لا تبدأ بمسكن ، واذا عقبه بقوله : " بالتثنية " او بقوله : " مثلثه " فذلك اشارة الى ان في اول هذا الاسم ثلاث لغات مثل : الطحمة (مثلثة ، من الوادي والسيلى ، دفعته ومعظمه . فحرف الطا من هذه الكلمة فيها لغات الضم والفتح والكسر .

وان ذكر الاسم وقال بعده : بالتحريك " او " بحركة " كان المراد فتح الحرفين الاول والثاني ، مثل (السحر) بحركة : قبيل الصبح ، ومثل : (الشبر) بحركة

وكذلك ، يضبط ، - احيانا - الحرفين الاول والثاني من الاسم بمثل قوله : بضم ففتح ، او بفتح فكسر ، او بفتح فضم .

واذا كانت الكلمة رباعية وعقبها بقوله : " بالتثنية " كان الضبط لاولها - والثاني ، مثل : (الطحيرة) مثلثة القطعة من القيم^{الشم} ، من الثوب

وكذلك يضبط الحرفين الاول والثالث من الكلمة الرباعية ويمثل قوله : " بالضم او بالفتح ، او بالكسر ، اشارة الى اشتراكهما في الحركة .

كما توسل بالمثل احيانا ، لذكر وزن بعض الالفاظ وما يقابلها ، لقوله في مادة علم ، (الحلام) كغراب ، الصقر . وقوله في مادة (عرب) ، (العرابية) كسحابة و (العرب) ككتف . وهكذا

ب - الصيغ :

رأى الشرطوني ، في ترتيب مواد ، ورود الصيغ وتسللها الصرفي والنحوي ، بشكل يكاد يكون تاما . فقد التقى بشكل صارم ، تقديم الافعال ، الا اذا كانت المادة لافعل عليها . حيث يتناول الفعل وفق ترتيب الوزن ، من لان ومتعدد ، ومجرد ومزيد فيذكر المزيد بحرفه ، ثم المزيد بحرفين ، ثم المزيد بثلاثة . ان في الافعال اوفى الاسماء . ثم يذكر - دون ضبط تام - الصيغ المقهيسة ، مثل اسم المرة والنوع ومصادر ما فوق الثلاثي ، وجمع السلامة بقسميه ، وكثيرا ما يغفل عن ذلك للمعلم بطريقة اخذها . كقوله في مادة " مسد " (١) :

- مسد الحبل وغيره ورهق مدا بسطه
- (مده في غيه) اي امهله وطول له .
- (مدد الشي) تعديدا .
- (ماده) صادة . . ومدادا بمعنى مده .
- (و امده) امهله .

- (وتمادا) الثوب تجاذباه
- (وامتد) انبسط وهو مطاوع مد
- (واستمد)
- (المادة) اسم فعل للمؤنث
- (المادى) نسبة الى المادة
- (الماد) مصدر ماد
- (المدة) بالفتح : المسبوبة
- (المدة) بالكسرة : النوع

(١) النظر اقرب الموارد ج ٢ ص ١١٩٢ .

حيث بدأ بتصدير الفعل المجرد (مَدَّ) محددًا وزنه ، ثم بفك الادغام فهو (مَدَد) ثم المزيد بحرف (مَاد) و (اَمَد) ، فالمزيد بحرفين (تَعَدَد) و (اَمَدَّ) فالمزيد بثلاثة (اسْتَمَد) .
فاسم الفاعل ، مكتفيا بالاشارة الى صيغة المؤنث (العادة) فقط ، دون
الاشارة الى المذكر لوضوحه ، وهو من قبيل الاختصار - الذي لزمه المعجم ، ثم فطر
النسبة (المادي) فصدر مَاد (المواد) فصدر مَد (المد) فصدر المدة (المدة)
فالنوع (المدة) .

وهكذا فعل الشرطوني في المواد الاخرى ، محافظا - تقريبا - على ذات
النسق والترتيب . كما حدد - وقت اللزوم - الجمع وجمع الجمع بملامتين هما ،
" ج " و " جج " وهذه طريقة الفيروزابادي في قاموسه . يقول الشرطوني في مادة عرب
مثلا ،

• " والعرب العربيا " ج اعرب وعروب .

• " والعربون اعجمي معربا ج عربين .

ومعنا للالتباس يوضح - وقت اللزوم - صيغة الجمع ، محددًا اياها ونوعها
بقوله ، و " اعرابي لا واحد له . وليس الاعراب جمعا لعرب كما كان الانباط جمعا
لنبط وانما العرب اسم جنس .

• اما المعنى فلا يذكره الا ان يكون للثنتين في الاستعمال شأن خاص (١) .

مصطلحات الشكل عند الشرطوني :

اتبع الشرطوني في رسم هيكلية الصفحة شكل ثلاثة جد اول ، او اعمدة ، ووضع
فوق كل عمود كلمة . اما الكلمة التي على العمود الايمن فهي التي يبدأ بها ذلك العمود .
واما اللتان على الاوسط والايسر فهما ما ينتهي بهما هذان العمودان .

وهذا ما ييسر التعرف على الكلمات التي تضمها الصفحة بمجرد النظر الى
الكلمة اليمنى واليسرى لان جميع هذه الكلمات تقع بينها في ترتيب الالفبا .
(٢)

(١) وهذا شأن المعنى في المعاجم القديمة .
(٢) انظر المعجم العربي (حسين نصار) ص ٧١٧ وطبعها

كما وضع المادة التي يريد شرحها أولا بين نجمتين صغيرتين * ٠٠٠ *
ثم يحصر صيغ المادة بين قوسين (٠٠٠) ، واكثر ما يكون ذلك في اول المطر
الا اذا كانت متصلة بالعبارة التي قبلها ، ولا شك ان هذا التنظيم المقتبس
عن المعاجم القديمة يسهل للمباحث طلبته في سرعة .
كما رمز المؤلف الى الصيغ المكررة بمعارضة . - على نسق صاحب القاموس ،
ليتجنب اعادة اللفظ مع معانيه الكثيرة .

كما وضع علامتي تنصيص " ٠٠٠ " كرمز يشير به الى ما تناوله من استشهادات
تأيد بعض كلماته .

- نقد وتعليق -

ساهم هذا المعجم ، دون ريب ، في تطوير العمل المعجمي ودفعه الى دائرة
افضل من التنظيم والعمل الجاد الهادف كما اضاف الى مكتبة التراث ثروة قيمة عظيمة
النفع .
ولئن افاد الشرتوني من تجارب سابقه ومعاصره ، فلقد خطا باقرب موارد
خطوات تجديدية يمكن لها ان تكون نواة عمل منظم ، افاد الكثيرون منه في عصر
النهضة ، في مطلع القرن العشرين .

ويمكننا حصر مميزات المعجم هذا بالنقاط التالية :

- ١- سهولة العبارة ، ووضوح دلالتها ، وقرب فهمها سوا بالنسبة للقارى
المادى او المتخصص .
- ٢= تنبيه الكاتب على الدخيل والمعرب ، وذكر ما يقابلها من لغاتها الاصلية ،
كقوليه في " العفص " مثلا : (العفص) ، حمل شجرة البلوط . وهو مولد وليس من
كلام اهل البادية " (١) .

(١) اقرب الموارد ، ص ٨٠٣ ع ١٠

و " المردقوش " بالفتح ، من الرياحين التي تنزع في البيوت . . . معرباً مردء
كوش بالفارسية ومعناه آذان الفار " (١) .

و " السقوية " الارتقا بالمال الى المراتب الروحية كمرتبة القس والاسقف
نسبة الى سيمون الساحر (نصرانية) " (٢) .

٣- تعريفه بالنبات والحيوان والمواد وبعض الامثلة الحديثة بايجاز .

٤- كثيرا ما يورد الكاتب استشهادات من القرآن الكريم والحديث الشريف ، ومأثور
الكلام ، تأييدا للمنى الكلمة المفسرة ، غير ملتزم بما ورد في عصور الرواية . كما كان
يلتزم ذلك السابقون من اللغويين .

٥- الاكتفاء بالمدلول دون الاستغراق بالشواهد الشعرية الكثيرة ، واعتماده
على الصحيح منها دون الشاذ .

٦- مراعاة لحرمة الادب والدين في حذف الالفاظ البذيئة ، او الجارحة ،
ليس " الذبيل " .

٧- اخذه مفردات كثيرة من كتب ليست من معجمات اللغة ، كما فعل
البيهقي من قبله ، كمفردات ابن البيطار والصفاني وغير ذلك .

٨- ايراده بعض الكلمات العادية اللبنانية ، وما يقابلها من معنى بلهجات
الاقطار العربية ، ليس دائما .

٩- استغناؤه عن ذكر اغلب القواعد النحوية والصرفية ، ما ليس له اهمية في
توضيح معنى الكلمة .

١٠- كما لم يكثر من ذكر اسما^{الرواة} الرواة ، ولم يصرح في اغلب الاحيان باسماء
الذب التي نقل عنها .

وعلى الرغم من هذه المحاولات المخلصة في اخراج معجم خال من عيوب المعجم
القديم ، فقد اضطرب الشرطوني كثيرا في كتابه هذا . حتى طغت هذه المساوي على ما
للكتاب من محاسن ومنافع لا تنكسر تعود الى جودة تبويبه وحسن تنسيقه وترتيبه .

ويمكننا تقسيم اخطاء " اقرب الموارد " الى /صنوف/ :

(١) اقرب الموارد ص ١١٩٨ ع ٣ .

(٢) = = ص ٥٦٤ ع ٣ .

- الأولى : مطبوع ، وهو كثير على نحو ما جاء من ان " المكر بالفتح هو الصغير بالضمين المعجمة " (١) والصواب الصغير (بالفاء) (٢) .

ومتأيد الرجل " طالت عزيمته ، (بعين مهمله بعدها زاي) (٣) ، والصواب غرسته (بضمين معجمة يليها را) . وقوله " ح ف د المحفد شي " تعلق فيه الدواب (٤) والصواب تعلق (٥) . وغير ذلك مما يطول استقصاؤه .

- الثاني : ما هو خطأ في الاعجام وضبط القلم ، وهو كثير . قوله : " لغدف الخاتن اى استأصل العزلة " (٦) فضبطها بضم الالف وكسر الدال على صيغة المجهول خطأ . والصواب لغدف بفتح الالف (٧) والدال على صيغة المعلوم .

- الثالث : ما كان عن تسرع او غفلة في النقل . فقد جاء في تفسير الخلب (بكسر فسكون) انه " حجاب الكبد وقيل غلاف البطن و - الحبل منه " (٨) . فظاهر العبارة ان ضمير (منه) راجع الى غلاف البطن لانه اقرب مذكور . وعلى تقدير ان المراد ارجاعه الى حجاب الكبد ، او الظفر المذكور قبل حجاب الكبد بين معاني الخلب فانه ليس لحجاب الكبد ولا للظفر ولا لغلاف البطن حبل . والذي في القاموس الخلب (بالضم ، وبضميتين) الليف والحبل منه اه . اى من الليف . فأدخل المؤلف عبارة " والحبل منه " ضمن معاني الخلب (بالكسر) التي لا يصح ارجاع الضمير الى اى منها مع ان محلها ضمن معاني الخلب (بالضم) بعمد كلمة الليف كما جاء في القاموس (٩) .

(١) اقرب الموارد ، ص ١٢٣١ ع ٣

(٢) تاج العروس ، ج ٣ ، ص ٤٤٨

(٣) اقرب الموارد ص ١ ع ٣

(٤) اقرب الموارد ص ٢٠٨ ع ٣

(٥) لسان العرب ج ٣ ص ١٥٤

(٦) اقرب الموارد ، ص ٨٦٢ ع ٢

(٧) النظر لسان العرب ص ٢٦٢

(٨) اقرب الموارد ص ٢٦٧ ع ٢

(٩) النظر القاموس المحيط ج ١ ص ٦٢ ، ولسان العرب ج ١ ص ٣٦٤ ع ٢ .

- الرابع - شروح مختصرة مخطئة لم يذكرها ائمة اللغة . فمن ذلك عبارة غريبة اتى بها في تفسير الخريطة ، وذلك بعد ان نقل عن القاموس قوله : " الخريطة وعاء من آدم وغيره " . زاد " ومنه الخريطة لما ترسم عليه هيئة الارض او هيئة اقليم منها " (١) . فهذه الزيادة من عنده لم ترد في اى معجم من الاصول . جاء في نسي اللسان : " الخريطة هنة مثل الكيس تكون من الخرق والادم تشرح على ما فيها ، ومنه خرائط كتب السلطان وعالمه " (٢) .

وعلى هذا فلا دليل على ما جاء عند الشرتوني لان كلمة " خريطة " التي نستعملها للصور الجغرافية ليست مستعمارة من الخريطة للوها من آدم كما توهم ، وانما هي مأخوذة من (كرت) الافرنجية (Carte) حتى ان بعض الناس لا يزال يلفظها خارطة .

الخامس : ذكر الفاظ عامة غير عربية متسربة في هذا الزمان من اللغات الاعجمية وخاصة التركية . فمنه قوله " الثرمان " (بفتح الراء) قال " انه عهد السلطان للولاة فارسية والجمع فرامين اهـ " (٣) .

وهي بالفارسية (بسكون الراء) ومعناها الامر مطلقا ، ثم خصها الترك باسم السلطان . والغريب ان المؤلف اشتق لها فعل ^{تسمى} قزمن وادخلها في صفوف المواد العربية ثم اخترع لها جمعا على فرامين .

ومنه " الوجاق " (بضم الواو) والأوجاق (بضم الههزة) فقد اقحمها بين المواد العربية وفسرها بانها " موضع النار " (٤) . مع انها تركية الاصل تسربت الى لغتنا العامة في هذا العهد

ولو كان المراد من هذه المواد العامة بيان ما دخل منها في لغتنا ، لكان يجب على المؤلف ان يجمع نظائر هذه الالفاظ كلها ، وهي تقدر بالمئات ، في فصل خاص ، او كتاب خاص . لا ان يقيم بعضها بين مواد العربية فيؤدى الى الاضطراب والتشويش ، وعدم التمييز بين العربي والدخيل وبين العامي والفصيح .

(١) اقرب الموارد ص ٢٩١ ع ٢

(٢) لسان العرب ج ط ص ٢٨٦ .

(٣) اقرب الموارد ص ٩٢٢ ع ١ .

(٤) = = ص ١٤٢٩ ع ٢ .

السادس : تصرف مغل في عبارات ائمة اللغة افسد المعنى الصحيح واخرجه عن اصله : مثال ذلك ماجا في القاموس " املاخ الصبي واملاخ طلع " (١) باطلاق الطلوع دون بيان مكانه ، ولم يتعرض شارح القاموس لايضاحه بل اقتصر على ضبط الفعلين واهملهما اصحاب اللسان والمصباح والاساس . وان بصاحب " الاقرب " يخترع قيما للطلوع بقوله : " اي من بطن امه (٢) " . ولا قائل به ولا دليل عليه . والاقرب الى الصواب ان (طلع) محرف من (رضخ) لان معظم معاني ملح وجميع مشتقاتها تدور حول الرضاع وليس فيها ما يدنو من الطلوع (٣) . فقول الشرتوني " من بطن امه " زيادة شوّهت المعنى الاصلي وقلبت رأسا على عقب مع ان امانة النقل تقتضي بان يكون بلا زيادة ولا نقص .

ومن هذا الصنف ايضا قوله في مادة (د ب ج) : " الديباج ج ديابج وديابيج بلفظ مفرده " اما ديابج على زنة مساجد فلم ترد في جمع الديباج بل جمعه ديابيج وهي جمع ديباج وديابيج بهائين . كما قالوا دنانير في جمع دينار . وفي المادة نفسها الديباجة : الوجه (هكذا على اطلاقه) وليس هو كذلك ، بل الذي قاله الائمة " ديباجة الوجه : حمن بشرته " (٤) ان ليس للوجه القبيح ديباجة .

السابع : عدم دقته في ايراد نص الايات القرآنية والاحاديث الشريفة ، بشكل مطرد ، لا ندري ما السبب في اغفال التأكد من صحتها . لقوله في مادة (ب ق ع) " ونادى موسى في البقعة المباركة " (٥) . وانما الآية الكريمة " فلما اتاها نودى من شاطي الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين " (٦) .

(١) القاموس المحيط ، ج ١ ص ٢٠٨

(٢) اقرب العوارض ص ١٢٣٢ ع ٣

(٣) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٣٦٩ ع ١

(٤) = = = ج ٢ ص ٢٦٢

(٥) اقرب العوارض ص ٥٠ ع ٣

(٦) سورة القصص ، آية ٣٠ .

وقوله في مادة (ح س ن) " ومنه في القرآن ^(١) كل هل ترمضون الا احدى
الحسنين " (٢) سقط من الآية (بنا بعد ترمضون) (٣) .

وفي مادة (ر ه ن) حرف الآية فقال : " واذا السما انشقت فكانت وردة
كالدهان " (٤) ونص الآية الكريمة : " فاذا انشقت السما فكانت " (٥) .

وغير ذلك من الامثلة التي وردت اما محرنة واما ناقصة ، واما مضطربة
في عودة الضمير ،

وقد تتبع هذه الاخطاء كثير من اللغويين اللبنانيين والعرب ، منهم العلامة
اللبناني احمد رضا ، واصدرها في مقالات متوالية على صفحات مجلة المجمع العلمي
العربي (٦) ، متعقبا الشرتوني كلمة كلمة ، وصفحة صفحة ، حتى زادت الاخطاء
التي وجدها العلامة رضا على المئات . كما قام الاستاذ محمد جميل الخاني بنقد
للمعجم ، سجل عليه الكثير من المآخذ والافلاط الفاضحة . ومن الطبيعي ان لا يسلم
المعجم هذا من نقد العلامة الاب استانس الكرمل ونقد اللغويين غيره مما
يضيق عنهم المجال .

-
- (١) القرآن الكريم .
 - (٢) اقرب الموارد ص ١٩٣ ع ٢
 - (٣) سورة التوبة ، آية ٥٢ .
 - (٤) اقرب الموارد ص ٣٥٦ ع ٣
 - (٥) سورة آية
 - (٦) انظر مجلة المجمع العلمي العربي لسنة ١٩٤٧ م .

الفصل الرابع

(١)

التعريب بوضع اللفظ

لم يكن العمل في التعريب مقتصرًا على نقل بعض ما نزل عن حضارة او مخترع او استحداث الامة ، او متوقفا على الاستجابة لمتطلبات العصر فتبادر الاقلام السي بت مظاهره وملاح تطورهِ الى الامة . او منتهيا عند حد الصحافة وترجمة المقالات والكتب الى اللغات الاخرى ، فتتنس لغتنا اهوا فتفتح وانطلاق . لم يكن الحال جزءا ينكمش على حدود الكلمات الضيقة ، او الاكتفاء بعرض مصطلحات جديدة . لقد

(١) نعني بالتعريب : ٢ - البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة الاشتقاق

ب - اقتباس اللفظ الاجنبي بحروفه على ان يصاغ صياغة عربية . ومن البديهي بانه لا ينبغي لنا العمل بهذه القاعدة الا عند عجزنا عن اشتقاق لفظ عربي للدلالة على المعنى الجديد . فاذا كانت كتب العلم القديمة لا تحتوي على لفظ نقتبسه . كما هو او نبذله ، واذا كانت اللغة نفسها لا تشمل على اسم قريب من المعنى نشق منه فعلا او صفة ، كان استعمال اللفظ الاجنبي اوفى بالقصد واقرب الى الوضوح من اطلاق لفظ عربي غير مألوف يفرس على العلم فرضا . ان علماءنا القدماء لم يجدوا في استعمال كلمة (جغرافيا) و (كيميا) مثلا اى انتقاص من حقوق اللغة العربية .

ويقول صاحب كتاب الهوامل والشوامل في الجواب عن احدى المسائل - لابي حيان التوحيدى ص ١٠٤ : " على اني رأيتك تستعفي ان تفهم حقيقة الا ان تكون في لفظ عربي . فان عدت لغة العرب رفيت في العلوم . لكن - ايدك الله - لا تترك البحث عن المعاني في اى لغة كانت وبأى عبارة حصلت ."

لابد ان تفرق بين مصطلحين ، حسب استعمال المدققين . ف " التعريب " هو نقل الاجنبية الى العربية و " الترجمة " هي عملية نقل من العربية الى الاجنبية .

كان عمل التعريب ، في القرن التاسع عشر ، محاولة تجوهر ، واثبات تراث ، احتدم الصراع حوله . وتنازعت الالهوا هدفه . وتناهت من حوله الابعاد . لقد انغمس الحاضر العربي بروي ليست له . وما عرف يوما هويتها ، فكيف له ان ينتسب الى حضارة الانسان ، ولا لسان يعصمه . من هذا المنطلق لطرح قضية اللفظ المستحدث ، والتعريب فالقضية قضية التزام بهوية الانسان ، لا قضية خاطرة ندت على البال فتجسدت في كلمة عابرة ؟ فلقد اصبح الكاتب - عصرئذ - مضطرا الى وضع مئات بل آلاف من الاسماء التي لا يجد لها رديفا في لسانه ، ولا في وسعه نقل تلك الالفاظ بصورتها الى لغته لشدة التباين بين طبيعة لغته ولغات اولئك الاقوام . لان الالفاظ فيها محصورة الاوضاع محدودة الصيغ ، لا تقبل الزيادة عليها الا منها ، ولا يمكن ان تدس اللفظة الاجنبية بينها الا بعد ان تجانسها وتواخياها . وما يزيد من حدة الموقف ، قصور الهمة عن ان تدرك مدى التعريب ووضع الالفاظ ، فعمامة الناس ، وهم الذين يقررون بتد اولهم للفظ عمره او موته ، ابعد الناس عن القضية ، بل جلاهم من يفتخر بتد اوله لفظا اجنبيا او يؤكد على اضطرابه امل متطلبات العصر ومستلزماته ان يستعمل مصطلحات تخفق الحياة بين جنبياتها . ولا عجب ، فالمرحلة الحضارية التي مرت بها البلاد في القرن الماضي ، ولما تنزل ، هي اثبه بسجين فقلت عيناه الا عن الظلام ، فارتاحت لمرآه ، حتى اذا ما انبثق النور ، نور الحضارة الجديدة ، الوافدة ، باهرا عشي ، واضطرب بصره ، فلم ير الا معارض طبيعية او ضاعية ، وانواعا من السميات وضروبا من الادوات واصدافا من المعادن واجناسا من المصنوعات ، وفنونا من المنافع الحياتية . وهو الذي لا يملك بين يديه الا بقايا حضارة غابرة ، ولا يلهج لسانه الا باسماء ذهبت مشخصاتها ، وامحت آثارها ثم ما هو فاعل لو اراد الكلام فيما يحدث كل يوم من المخترعات العلمية والضاعية والمكتشفات الطبيعية والكيمائية ، والفنون العقلية واليدوية ، وما لكل ذلك من الاوضاع والحدود والمصطلحات التي لاتفاد رجليلا ولا دقيقا الا تدل عليه بلفظة المخصوص (١) .

من هذا المفهوم للمسؤولية العلمية ، والواجب القومي الملقين على عاتق الجيل الماضي ، نهض علماء اوفيا لرسالتهم ، كاحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ، وابراهيم اليازجي ، وخلييل اليازجي ثم نجيب الحداد وشاكر شقير والدكتور خليل سمادة والدكتور بشارة زلز وغيرهم ليتحملوا عبء المهام الجسام هذه ، ويسعوا في تأسيس مذاهب ذوتي

(١) مجلة الجنان " ابراهيم اليازجي " في مقال " اللغة والعصر " انظر " روائع البستاني

اسمه الكلمة الموفية بحق التقدم . فالفوا الكتب والمقالات ووضعوا الرسائل ، طارحين في ثنايا ذلك كله مجموعات من الالفاظ المقترحة ونظريات في تأليف الصطلح ، كما نقلوا الكثير من الكتب عن الغرب باسلوب رصين ، وهربية سليمة . دون ان ينسوا حث ابنا الجيل ، او لومه احيانا عن التصور والتقليد الاعى . حاملين لواء الدفاع عن العربية ورد ما لحق بها من لوم وتجن واتهام بالجمود . ويمكننا تحديد تصور الموضوع بالشكل التالي :

- ١- اسباب التفكير في وضع الالفاظ .
- ٢- الحلول المقترحة في ذلك .
- ٣- نماذج من الالفاظ المستحدثة في القرن الماضي .

- اذا ملعدنا الى اسباب التفكير في وضع الالفاظ ، لرأينا انها تنسب الى اسباب عامة ، ترتبط كل الارتباط بواقع الحياة . واسباب خاصة ترتبط بواقع الافراد المهني في التدريس او الصحافة او الترجمة والتعريب في الوظائف الحكومية .

٢ - الاسباب العامة :

تعود هذه الاسباب الى واقع لغوى عام ، اعتقد به اللغويون ، وآمنوا به . هذا الاعتقاد يقوم على فهم اللغة فهما صحيحا ، يجعلها بنت الحياة ، ويعرف انه من غير المعقول ، ان تكون اللغة قد نشأت دفعة واحدة ، بل هي تنمو عبر الاجيال وتتطور ، كغيرها من الصنائع والموضوعات البشرية لا يحدث شي منها تاما كاملا من اول وهلة ، ولكن على التدريج (١) . وهذا ما يعطي المحدثين حقا في الوضع والا حكموا على نفسهم ومن ثم على لغتهم بالموت المحتم .

ويدافع الشدياق عن حق المحدثين في الوضع فيقول :

" ولو ان العرب الاولين شاهدوا البواخر وسلك الحديد واسلاك التلفراف والغاز واليوسطة ونحو ذلك مما اخترعه الافرنج لوضعوا له اسما خاصة ناصة . فهم على هذا غير ملومين " (٢) .

(١) سر الليال ، الشدياق ، ص ٢٥ .

(٢) منتخبات الجواب ، الشدياق ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

ويتابع فيقول :

"وانما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم وشاهدنا هذه الامور باعيننا ، ولم نكتبه لوضع اسما لها على النسق الذي الفتته العرب . . . افيظن احد ان لفظه المفسر والوالي المتصرف ، والمدير ومجلس الشورى لا ينبغي ان تعد من الالفاظ العربية لانها لم تكن معروفة للدولة العباسية ؟ فاذا برأ احد تلك الدولة لعدم اتخاذها هذه الالفاظ ان الحاجة لم تمس اليها لم يكن له ان يلوم دولة اخرى على اتخاذها مع وجود الحاجة ، فقس عليها غيرها " (١) .

وهو على هذا ، يعتمد الى تقرير حق ثابت ان اللغة بمنزلة المتكلمين ، وانه لا يمكن للغة من اللغات ان تعيش وحدها ، لانه لا يمكن لامة من الام ان تعيش وحدها من غير ان تختلط بامة اخرى ، وانه من هنا تدخل الفاظ اامة في الفاظ اامة اخرى . ان ذلك غير مكسر .

هذا ، والشدياق لا يذهب في امره مذهباً متحلاً معه من كل قيد ، فهو مع تقريره لهذه الحقيقة اللغوية يحرص - اشد الحرص - على ان يجعلها في اضيق الحدود . ومن هنا نراه ينص "على ان هذا الدخيل انما يفضي عنه اذا لم يوجد في اصل اللغة ما يرادفه ، او لم يمكن صوغ مثله . اما اذا امكن فالأغصاء" بخس لحق اللغة لامحالة " (٢) .

وكأني بالشدياق قد اراد ان يفتح امام اللغويين باب الاجتهاد في التعريب ووضع الالفاظ ، وهذا ماتجلى فعلا في حديث جرجي زيدان ، فيما بسد ، عن الموضوع ذاته ، حيث قال مستعرضا اوجه القضية ، منذ تطور الالفاظ الجاهلية حتى عصر النهضة ، حاثا على مزيد من التقدم في هذا المضمار لانه امر ينبثق عن قاموس الارتقاء ، لاسبيل الى الوقوف بوجهه اراد اصحاب اللغة ذلك ام لم يريدوا . فلقد " تولدت في العصر الاسلامي الفاظ وترايب لم تكن في العصر الجاهلي ، وتولدت في المصور التالية مالم يكن فيما قبلها . واخيرا تولدت في نهضتنا الاخيرة من الالفاظ والتراكيب مالم يكن

(١) منتخبات الجوائب ، الشدياق ج ١ ص ٢٠٥

(٢) منتخبات الجوائب ، الشدياق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣

معهودا من قبل . . . فالوقوف في سبيل هذا النحو مخالف للنواميس الطبيعية ، فضلا عن انه لا يجدي نفعا " . . . فاللغة كائن حي تام خاضع لناوس الارتقا " . ولا بد من توالي الدور والتولد فيها . . . اراد اصحابها ذلك ام لم يريدوا ، تتولد الفاظ جديدة وتندثر الفاظ قديمة على مقتضيات الاحوال لحكمة شملت سائر الموجودات (١) .

وهو حين يدعو الى وضع الالفاظ ، ينبه - كالشدياق - من الاطلاق ، ويحذر من مغبة الافراط والفوضى في النظم والوضع حيث يقول :

" فلا بد لنا . . . من الرجوع الى القواعد العامة والروابط الاساسية ، فلا نفسد اللغة بالفاظ العامة وتراكيبهم . . . ولا نكثر من الدخيل حتى تصير لغتنا مثل اللغة التركية العثمانية . . .

" فلا بد من المحافظة على (سلامة اللغة العربية) والاهتمام باستبقائها على بلافتها وفصاحتها . . . فلا يستحسن الاكثر فيها من الدخيل والمولد . وانما يؤخذ منهما بقدر الحاجة ، على ان نعد ذلك الاقتباس نموا وارتقا ، لانسادا او انحطاطا " (٢) .

وكذلك الشأن عند ابراهيم اليازجي في ارجاءه لاسباب التفكير بالوضع الى الضرورة الحتمية التي فرضتها الحياة المتجددة ، بغية انقاذ اللغة من جمودها .

وقد حدد اليازجي ، مناخي هذا الجمود بما صارت اليه اللغة - يومها - من التقصير بخدمة اهلها والعقم بحاجات ذويها . . . حتى " اصبحت الكتابة في كثير من الافراض ضربا من مشاق التكليف ، وبابا من ابواب العنت ، واللغة لا تزداد الا ضيقا باتساع مذاهب الحضارة ، وتشعب طرق الفن في المخترعات والمستحدثات ، الى ان كادت تنبذ في زوايا الاهمال . . . ومست الضرورة الى تدارك ما طرأ عليها من التلم قبل تمام العيا " . . .

فلو ان كاتبنا " رام ان يصف حجرة مناهم لم يكد يجد فيها ما يقويه هذه المؤونة اليسيرة ، فضلا عما رواه ذلك من وصف قصور الملوك والكبراء ، ومنازل المترفين والافنيا ، وشوارع المدن الفخما ، وما تم من آنية واثاث وملبوس . . . وغير ذلك من اصناف الماعون

(١) من خلاصة " اللغة كائن حي ، جرجي زيدان

(٢) اللغة كائن حي ، زيدان ص ١٢٩ - ١٤٠ .

وادوات الزينة ، مما لا يجد لشيء منه اسما في هذه اللغة ، ولا يكون حظ العربي من وصفه الا الهمي* والحصري* ولطبي لسانه على معان في قلبه لا يتسنى له ابرازها - بالنطق ، ولا يجد سبيلا الى تمثيلها باللفظ ، كأن المقاطع التي يعبر بها عن هذه الشخصيات لم يخلق لها موضع بين فكيه ، وليست مما يجرى بين لهاته وشفثيه ، فعاد كالأبكم يرى الاشياء ويميزها ، ولا يستطيع ان يعبر عنها الا بالاشارة ولا يصفها الا بالايما* .

ويتابع اليازجي قوله :

"ويا ليت شعري ما يصنع احدنا لو دخل احد المعارض الطبيعية او الصناعية ورأى مائة من السميات العضوية وغير العضوية من انواع الحيوان ، وضروب النبات ، وصنوف المعادن ، وعين ماهناك من الآلات والادوات . . ثم ما هو فاعل لو اراد الكلام فيما يحدث كل يوم من المخترعات العلمية والصناعية والمكتشفات الطبيعية والكيمائية والفنون . . . وما لكل ذلك من الاوضاع والحدود والمصطلحات التي لا تغادر جليلا ولا دقيقا الا تدل عليه بلفظة المخصوص" (١)

وما هو واضح من النصوص السابقة ، ان ائمة اللغة في القرن الماضي ، ما ذهبوا الى ما ذهبوا اليه الا لفرط حبههم لهذه اللغة وغيرتهم عليها ، وخوفهم من ان تتبدد وتندس الى الفاظها اقوال الاجانب . فهم ، مع تحديد هم مناحي القصور ، لا ينسبون ذلك الى اللغة ، بل الى ابنا* اللغة ، الذين قصرت مداركهم عن فهم الحياة ومتطلباتها . منتقدين فتور الهمم وتقاعس ابنا* اللغة عن البحث في اسرارها* تلك اللغة التي طالما وصفها الواصفون بانها اغزر الالسنه مادة واوسعها تعبيرا وابعد لها للاغراض متناولا واطوعها للمعاني تصويرا* (٢)

ولذا ، فان كان ثمة هرم فانما هو في الامة لا في اللغة ، لان لمعرض لها من الهجر والاهمال غير لاحق بها ولا ملحق بها وهنا ولا عجزا . وانما هو عجز في السنة الامة ومداركها ، وتأخر في احوالها واستعدادها . ولو صادفت من اهلها

(١) الروائع ، عن اليازجي ، ص ٢٩ - ٣٠ عدد / ٤١ / .

(٢) = = ص ١٣ .

البقاء على عهد اسلافهم من السعي في سبل الحضارة وتوسيع نطاق العلم ، لم تقصر عن مشايعتهم في كل مافاتهم من الاطوار حتى تبلغ بهم الى مجارة العصر الحالي * (١) .

المصدر

ثم يستقرى اوجه هذا القصور ، مدافعا عن اللغة وجودها فيقول ،

* اذا . . . سبرت فور اللغة في نفسها ، وقست مبلغ استعدادها ، علمت انه ليس منها في شي * (اي القصور والهرم) ، وايقنت انها لاتزال في ريعان شبابها وطور ترعرعها ، وان فيها بنية صالحة لان تجارى اوسع اللغات واكثرها مادة .

* ولكن ما ادركها من ذلك وارد من قبل الامة وتخلقها في حلبة الحضارة والمدنية ، ان اللغة باهلها تشب بشبابهم وتهرم بهرمهم ، وانما هي عبارة عما يتد اولونه بينهم لاتعدو السننهم مافي خواطرهم ولا تمثل الفاظهم الا صور مافي اذهانهم * (٢) .

وعلى هذا القصور العام للغة ، عند علمائنا ، تأخذ اللغة مرآة احوال الامة ، وصورة تمدنها ، ورسم مجتمعيها وتمثال اخلاقها وملكاتها ، وسجل مالها من علوم وصنائع وآداب . وهي ان ظلت على جمودها ، فلن يلحقها الا مزيد من القصور المطرد ، باطراد الحضارة والتقدم العلمي . ولن يعثرها الا الانكماش والانزواء ، وتضي بين اللغات دأركسة ، كما درست فيرها في الحقب السالفة .

لذا ، بات من الضرورة الحتمية ان تنفض عنها غبار الزمن ، وتغك عقال التحجب والتقوقع لتتنسم انسام الحياة الجديدة ، وتأخذ عن غيرها ، وتعطي بمرونة وخصب كافييسن .

(١) المصدر السابق ص ١٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ .

فهي دعوة قومية ، تأخذ طابع التحدى العام ، ثقافة وحضارة ، منبثقتين
عن جوهر لغوى ، أى ان حياة الامة من حياة اللغة ، وما ذلك الا بالتجديد واحياء
اللفظ او وضعه حتى لا يضطر اهل اللغة الى اخذ لفظ اجنبي يعبرون به عن متطلبات
حياتهم . فمن " اوجب الواجب في المحافظة على بقا الامة وصيانة الجنسية بينها
احياء لغتها بين عامة اهلها ، وتكثف سواد اهل العلم منها ، والتجاني بها ما امكن
عن لغات الاعظم " (١) .

وبين اليازجي حقيقة اللغة كما يجب ان تكون وكيف فهمها الناس ، حيث
اعتقدوا الكمال للغتهم ، ووقفوا متأملين في تراثها دون تطوير او تبديل ، ومع ان
حقيقة الكمال في اللغة ان تكون بحيث يمكن ان يستنبط من نفس اوضاعها الفاظ لما
يحدث من المعاني ، لا ان تكون بحيث تستغني عن المزيد ، اذ المعاني ابدأ تتجدد ،
وليس من المحتمل ان قوما يضمنون الفاظا لمعان لا توجد .

وكأنى باليازجي ، هنا ، يميل الى اصلاح الامة من داء الضرور ، حيث اعتقد
البعض بان العربية لغة الكمال المطلق ، فاطبق سفر الابداع دونها ، ولم يمسد
يفكر في امر حياتها ، وهو امر لا يتوافق وطبيعة اللغات ، فاللغة ايا كانت - لم توضع
دفعة واحدة ، ولكنها - ابدأ - كانت تابعة لاحوال المجتمع ، ومبلغ الامة مسن
الحضارة . . . فهناك سلسلة من المعاني لا تنقطع ولا تنتهي الى حد تقف عنده ،
ولذلك كان الحال ان لغة قوم مهما بلغت من الكمال ، وتاهت في الاتساع ، تصل
الى حد تصلح فيه لان تستعمل في كل عصر ، لان ذلك الكمال انما يكون بالقياس الى
زمن مخصوص ، ومبلغ من الحضارة لا يعتمد ، فهو على هذا كمال نسبي " (٢) .

وعلى هذا ، فالاسباب العامة للتفكير في وضع الالفاظ ، قومية ، تدخل في
نطاق الحقيقة اللغوية تلك الحقيقة التي تحتم وجود اللفظ المستحدث ، حتى
تأخذ اللغة في ديمومة الحياة نصيبها .

ب - الاسباب الخاصة ،

اما الاسباب الخاصة ، فنعني بها اسباب حركة الانبعاث ، والموامل المساعدة

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٢) = = = ص ٢٣ - ٢٤ .

لها ، كانتشار الصحافة والمجلات والطباعة والنشر ، وتوزيع الكتاب ، وبدايا الحركة المسرحية والتأليف في مصر وسوريا ولبنان ، كل ذلك ، دعا الى مزيد من الاهتمام بالتعريب والنقل عن الاجنبية ، الامر الذي استدعى خلق الفاظ ومصطلحات جديدة ، نذت عن البحث المتفرع حسب الوان التقدم من علمية وتقنية وفنية . كما ان وقوف هؤلاء الكتاب والادباء واللغويين من اسباب المعرفة تلك ، اثارت فيهم حب الاستقلال الذاتي ، وشرف المحافظة على الشخصية ، الامر الذي استوجب معه ، رغبة مخلصه في خلق كلمات جديدة اما عن طريق احيا لفظ قديم ، او عن طريق الاشتقاق او النحت او النقل الحرفي وغير ذلك مما سنأتي على ذكره في القسم الثاني .

هذا وقد لعبت الاسباب الشخصية ، دورها في التعريب ووضوح الالفاظ ، ايضا ، وهو امر تتطلبه المصلحة الشخصية ، كما حصل لاحمد فارس الشدياق ، مثلا ، الذي اضطرته دواعي السفر ، والعمل في الترجمة للكتاب المقدس . وتسلم مهام تحرير الجوائب المصرية . وغيرها من الاعمال ، اضطرته الى استعمال الفاظ جديدة لمعاني مستحدثة ، ونخص بالذكر هنا ما اورده الشدياق من الفاظ كثيرة في كتابه " الواسطة في معرفة احوال مالطة " و " كشف المخبا عن فنون اوربا " اللذين ضما في كتاب واحد حتى فيه الكاتب انطباعاته وخواطره كما سجل ما رآه عيناه ، ذكرا الكثير من المعلومات المهمة والاحصاءات ، ووصف ما رآه من مخترعات وعمران في المدن الاوروبية ، وجزيرة مالطة . وما عرفه من أنظمة الحكم السائدة يومئذ فادرك اسمها ومناهج تطبيقها ودرس مآني المجتمع الاوروبي دراسة عميقة ، ثم اخذ بعد ذلك وعهدا بنقل ذلك الى لغته القومية ، مما حملته على تطويع اللغة كي تضم هذا العباب الضخم الذي فجاء ، ناهضا بالعمل وحده من غير ان يستعين بانسان او لجنة من اللجان .

ولعل هذا ما قابل ، فيما بعد ، يعقوب صروف وجرجي زيدان ، وخلييل اليازجي ، والدكتور بشارة زلزل ، وغيرهم من الذين اقاموا فترة طويلة على كتابة المقالات العلمية ونقل المخترعات والمستحدثات العصرية الى لغة العرب .

هذه هي الاسباب العامة والخاصة ، التي حملت علما لنا على التفكير في وضع الالفاظ . اما الحلول المقترحة في سبيل ذلك فهي التالية :

٢- الحلول المقترحة :

توسل اللغويون اللبنانيون في القرن الماضي ، عدة وسائل تحقق لهم حل القضية التي نهجت . وقبل البدء بتعداد هذه الوسائل وكيفيةها ، لابد من القول ان هؤلاء العلماء ، تأملوا القضية وانفذوا بصيرتهم بعثمة محتواها ، فادركوا جليلها وابعادها . مما حملهم على دعوة البيئات الثقافية في الوطن العربي دعوة حارة كي تنهض بالمشكلة وتجد لها الحلول ، وهذا ما يفسر طلب الشدياق ومن بعده اليازجي من البيئة المصرية بان تقوم بعمل وضع المصطلحات ، هذا العمل اللغوي الكبير ، لان مصر - كما يقول الشدياق - " مورد العلوم العربية ومصدرها " . وكلام مشايخها مقتنع في جميع الامصار . فاذا قرروا طريقة لصوغ الالفاظ المنحوتة اقتدى بهم جميع الكتاب والمؤلفون

وهو يرجون " همة كتاب الروضة ولا سيما العالم الشهير ^{عز الدين} رفاعه بك ان يريحونا من الالفاظ المعجمة اراحهم الله ، وافناهم عن التعريب الذي هو اشد عذابا على من غناه (١) . وهو ما ذهب اليه جرجي زيدان في قوله :

" نتقدم الى ائمة اللغة وكتابها وعلماؤها ان يزيدونا من هذا الموضوع خدمة لهذه النهضة " (٢) وقرر ذلك ابراهيم اليازجي ، متوجها بالكلام الى مجمع اللغة المصري :

" على انك لو طفت اليوم في جميع انحاء البلاد التي كانت مباءة للعرب ، ومعرضا لحضارتهم وفنونهم ، لم تكن تجد موضعا تنسم فيه آثار ذلك القديم سوى الديار المصرية التي هي مستودع ذخائر السلف ، ومجمع شمل علومهم في شمل بقاياهم ، والتي ، ان كان قد كتب لهذه اللغة ان تستأنف البقاء مدة اخرى ، فان مبعثها انما يكون من ناحيتها وعلى ايدي رجالها " (٣) . اذن ، القضية عند علمائنا قومية بالدرجة الاولى ، تحتاج الى اجماع لغوي ، يصدر عن هيئات ثقافية ، ذات كلمة مسموعة وليست القضية فردية ، ترتد الى خاطرة او مجرد سوانح لغوية . ومع ان علماءنا رأوا في التعريب اراء خاصة ، وذهبوا في وضع المصطلح مذاهب مختلفة ، الا انهم

(١) كنز الرقائب ج ١ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢) اللغة كائن حي ، زيدان ، ص ١٤١

(٣) اليازجي ، روائع البستاني ، ص ٢٥ - ١٩ .

جميعا اتفقوا على ما يجب تمريره ونقله ، ووضع المصطلح له ، وما يجب الامتناع عنه .
فقد حصر ابراهيم اليازجي موضوع المصطلح ، ووجوب غلبة التعريب في " اسما الاجناس
لانها موضع التفاوت بين اللغات ، على الغالب ، واليه ترجع تسمية كل محدث من
المخترعات والمكتشفات على اختلاف ضروبها " (١) محتذيا بذلك حدوا احمد فارس
الشدياق الذي رأى من قبله (ان اكثر هذه الاسماء هو من قبيل اسم المكان او الالة " (٢) .

هذا ، وقد قسم اليازجي اسما الاجناس هذه الى ضربين :

الاول : اسما الجواهر المخلوطة ، بسيطة كانت كاللاوكسجين والفسفور
والكربون ، او مركبة كالزمرد والبتروول . جامعا مع هذه اسما انواع
النبات والحيوان كالفارنج والنيلوفر والباشق مما لا مرادف له عندنا ؛

ويلحق بهذين القسمين الاخيرين ما اشبههما من اجناس مكن
المصنوعات مما يتميز بتركيبه كالسمنت او بهيئته كالديباج والثفتة .
ويرى ان جميع هذه الاسماء لا يتأتى نقلها ، على الغالب الا محكية
بلفظها ، لانها اما ان تكون مرتجلة ، اي لم يسبق استعمالها
في معنى آخر ، فلا سبيل الى تعريبها بالترادف . واما ان تكون
شبيهة بالمرتجلة ، وهي ما كانت مجهولة الاصل كالشبانزي ، او
كانت منقولة عن معنى سابق ، الا ان لفظها لا يدل بنفسه على
المعنى الذي نقلت اليه ، واما تعينت له بالعرف والاستعمال ،
فاذا عريت بمرادفها لم يفهم منه المعنى المقصود بها الا بعد
النصر عليه .

ويبين ذلك بمثال كلمة الفسفور ، ف " انك " اذا اخذت هذه اللفظة
وجدته (اي الفسفور) مركبا من كلمتين معنى مجموعها ، " حامل
الثور " ولا يخفى ان هذا اللفظ يصدق على كل مادة مضيئة من
الهادن وغيرها فتقيده بالمادة المسماة به ليس من مفاد اللفظ
في شي ، واما هو مجرد تواطؤ واصطلاح " (٣) .

(١) اليازجي ، من مقالة له في مجلة الضياء السنة الثانية (١٨٩٩) ص ٤٤

(٢) الجوائب ، ج ١ ص ٢٠٢

(٣) انظر نفس المقال لليازجي .

الثاني : اسما المصنوعات المختلفة ، من الادوات والاثاث ، والملمون ، وغير ذلك من اشياء الحضارة ومرافق العمران ، والالات العلمية والصناعية . ويرى اليازجي هنا ، رأى سلفه الشدياق ، في ان هذه الاسماء المتأتية عن المصنوعات الحضارية لا يتعين ان يعرب اللفظ الموضوع لها بمرادفه ، ولكن يكفي ان يعبر عنها بما يدل عليها ، ولو من طريق العرف ، لان هذه المذكورات انما تصنع لضروب من الاغراض ويتوخى بها وجوه من الاستخدام ، فيشتق لها لفظ يدل على معنى من المعاني التي تعتبر فيها او يستعمل لها لفظ يجمع بينها وبينه علاقة من علائق المجاز . وحيث ان هذه التسميات كلها تعتبر تسميتها من قبيل الوضع الابتدائي ، سواء وافقت اللفظ الموضوع لها ام لم توافقه ، لان هذه الموافقة ليست شرطاً في صحة الاستعمال .

وهو ما توسله الشدياق في باب الاشتقاق لطريق اول لوضع المصطلح حيث يقول : " ان اكثر هذه الاسماء هو من قبيل اسم المكان او الالة ، وصوغ اسم المكان والالة في العربية مطرد في كل اسم ثلاثي . فما الحاجة الى ان نقول " فابريقه او كارخان ولا نقول (معمل او مصنع) . او ان نقول ببيمارستان ولا نقول مستشفى . او ان نقول ديوان ولا نقول مأمر . وان نقول اسطراب ولا نقول منظر (١) "

ويشرح اليازجي هذا العمل الاشتقائي في تطبيقه نظرية المعربات العصرية على كلمة كالمنطاد مثلا التي اعطت لفظ " البالون " فيقول : " فانه اخذ من معنى الارتفاع لصدقه عليه وان لم يطابق معنى اللفظ الاصلي " (٢) ومثله الرقاص للبندول ، او المساسة للتراجيديه ، والمجهر للمكروسكوب . . . (٣)

ثم يقول : " وربما عرب الشيء بما يقاربه او بما يدخل تحته لا بما هو نفسه ، نحو الجناح للبلكون ، وهو في الاعلى نحو الرف يتصل بحائط البناء ، وكالخوذى بالضم ، لسائق خيل العربية ، معرب (Cocher) وهو في الاصطلاح

(١) منتخبات الجوائب ، الشدياق ، ص ٢٠٢ (ج ١)

(٢) المقال السابق ، ص ٤٦ (روائع)

(٣) = = =

الطارد المستحث على السير ، وقس على ذلك " (١) .

هذا في الاسماء ، اما في الافعال ، فلم نر عند ابي منهم ، من حاول تعريب شي منها لانهم لم يجيزوا تعريب الفعل ، ايماناً منهم ان " للافعال عندنا ابنية مخصصة لاتوافقها الاوضاع الاعجمية ، فانها معرضة للتصريف والاشتقاق وانواع الزيادات ولكلها اوزان وقوالب لا تخرج عنها بحال " . و " حينئذ فلا بد في الفعل المعرب من تغيير كثير حتى ينطبق على هذه الاحكام ، فضلاً عما يلزم احياناً من تبديل بعض مقاطعه على ما تقدم بحيث يتكرر لفظه جملة ، ويمود كأنه ضرب من الارتجال ، وفي ذلك من التداخل والفساد ما لا يخفى " (٢) .

ويؤكد اليازجي على وجوب الامتناع عن تعريب الفعل ، لانه (اى الفعل) في العربية زيادة على ذلك اصل اكثر الالفاظ فيها ، لانها لغة اشتقاقية ، فمنها اكثر اسما الذوات والصفات " بحيث انك لو اسقطت كل مشتق في العربية لم يبق من اللغة الا اقل من العشر ، وحينئذ فكل فعل ادخل من اللغات الاعجمية دخل معه بالضرورة المصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول . والصفة المشبهة ، وصيغ المبالغة ، واسما المكان والزمان ، واسم الالة ان كان مما يبنى منه ، فضلاً عن المزيدات وتصاريفها ، فلزم ان يخالط اللغة بكل فعل اجنبي سلسلة طويلة من الالفاظ بين افعال واسماء . فتكثرت اللغة وفسدت اوضاعها بكثرة الدخيل " (٣) .

وينتهي اليازجي الى التشدد في الامتناع عن ذلك فيقول :

" لا يمكن ان يتسامح في الافعال بما يتسامح به في الاسماء " .

هذه هي الوسيلة الاولى للتغلب على اقتحام المصطلح على مجتمعنا ، تمثلت

في الاشتقاق الذي تكيف بشروط عند علمائنا ، اما الوسائل التالية على الاشتقاق فهي

النحس والترادف .

(١) نفس المصدر ، ص ٤٦

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٧

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٧

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٧ .

— النحت —

رأى هؤلاء العلماء في النحت وجهها آخر لحل القضية ، وصوغ الفاظ تمدسد
الالفاظ العجمية التي اضطررنا اليها .

وكيفما كان الامر " فان النحت طريقة حسنة تكثر بها مواد اللغة وتتسع
اساليبها . . ولها نظير في اللغة اليونانية وسائر اللغات الافرنجية ، وهي التي
كثرت مواد لغاتهم واحوجتنا الى الاخذ منها " (١) .
وبدلل الشدياق على ذلك بامثلة فيقول :

" فقولنا ، الجغرافيا والفلسفة والجومتريا والجيولوجيا كلها الفاظ يونانية
منحوتة او مركبة . ولولا هذا التركيب لما كان للغة اليونانية فضل على غيرها —
بشيء " ، وهي ان فضلت لغات الافرنج لا تفضل لغتنا لان الالفاظ البسيطة عندنا اكثر
من المركبة . وهي افضل مالم تحوج الضرورة الى التركيب او النحت وحينئذ يعتمد
اليه " (٢) .

— اما الترادف : فيبينه الشدياق مثلا على اساس النظرية الصوتية ، ولا بأس
عنده من ان ينحت عن الفاظ ترادف معانيها ذلك المعنى الذي اصطلح عليه الاجانب
عندما اخترعوا هذه الصناعات الكثيرة والالات العجيبة .

وهذا ما حدا بالشدياق ، الى محاولته بعث الفاظ عربية تقابل المصطلحات
الاجنبية ، او اعتقد انها تقابلها . وماورد من مصطلحات في " الساق على الساق " .
وكشف المخبا عن فنون اوربا " لخير دليل على ما نذهب اليه .

هذه الوسائل من اشتقاق ونحت وترادف ، دفعت بعلمائنا الى وضع مصطلحات
تعد بالآلاف ، وهي ان لم يكتب لبعضها النجاح ، وكتب للبعض الاخر ، فتكون لبننة
حجر الزاوية لكل عمل لغوي حديث يهدف الى وضع اللفظ او استحداثه .

(١) منتخبات الجوائب ، الشدياق ، ص ٢٠٣ و ٢٠٤

(٢) = = = =

٣- نماذج عامة في التعريب ووضع المصطلحات

سنتناول في هذا المبحث ، نماذج من تعريب الكتاب المقدس ، ونماذج من الالفاظ المستحدثة في الاختراعات واسماء الآلات ، او مما احتاج اليه التداول الاجتماعي وفرضته المشاهدات والتأملات .

أ - تعريب الكتاب المقدس :

حظي تعريب الكتاب المقدس ، في القرن الماضي باهتمام المبعوثين الاجانب ، اهتماما بلغ حد التنافس بين بعضهم بعضا .
وقد شهد القرن ، صدور طبعتين لنسخة الكتاب المقدس باللغة العربية ،
طبعة المرسلين الاميركان ، وطبعة المرسلين اليسوعيين .

- الطبعة الاميركية (البروتستانتية) : (١٨٦٠ - ١٨٦٤) .

قام بمهمة تعريبها ، المرسلون الاميريكيون في بيروت ، وقد تألفت لجنة من العلماء جمعت خمسة اعلام ، هم المبرشر عالي سميث (١٨٥٧ - ٤) والمستشرق كرنيلوس فاندريك (١٨١٨ - ١٨٩٥) وثلاثة من العلماء اللبنانيين هم : النسخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) والمعلم بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣)
والى حد ما الشيخ يوسف الاسير الحسيني (١٨١٧ - ١٨٨٩) .
وقد كان اعتمادهم في التعريب (هذا) على النسخة العبرانية في الاكسبر " (١) .

(١) انظر ، بروتوكولات حكما صهيون ، عجاج نوهض المجلد الثاني

ص ٢٧٩ - وما بعدها .

— الطبعة اليسوعية (اللاتينية) : (١٨٧٨ - ١٨٨٠) ؛

قام بمهمة تعريب هذه النسخة ، المرسلون اليسوعيون ، كمنافسة لعمل
الاميركيين ومقاومة لنشاطهم في نشر المذهب البروتستانتي .

وقد تألفت لجنة من العلماء خاصة بهذا ، قوامها الاب روديت اليسوعي
احد المستشرقين والمبشرين اللاتين ، والشيخ ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦)
الذي اشتغل في تنقيح التوراة العربية اكثر من (٩) تسع سنوات .

وقد كان اعتماد اليسوعيين في تعريبهم على النسخ العبرانية واليونانية
والسريانية والنسخة اللاتينية التي عليها معول الكنيسة الكاثوليكية .

هذا ، وقد اورد العلامة عجاج نويهض في كتابه " بروتوكولات حكماء
صهيون " معارضات من عبارات النسختين الاميركية البروتستانتية واليسوعية اللاتينية .

وهذه احدي نماذج الاستاذ نويهض ، نذكرها على سبيل التقابل بين

المعطين (١) .

اليسوعية - اللاتينية	الاميركية - البروتستانتية
(٨) هلي معي من لبنان اعروس معي من لبنان . انظري من " رأس امانة " من " رأس سنير " وحرمون من مرايض الاسود من جبال النمرور . (٩) قد ظلمت قلبي يا اختي العروس قد خلمت قلبي باحدى عينيك وقلادة من عنقك . (١٠) ما الطف حبك يا اختي العروس .	(٨) هلي معي من لبنان يا عروس معي من لبنان . انظري من " رأس امانة " من رأس سنير وحرمون من خدور الاسود من جبل النمرور . (٩) قد سببت قلبي يا اختي العروس قد سببت قلبي باحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك . (١٠) ما احسن حبك يا اختي العروس .

(١) بروتوكولات حكماء صهيون م / ٢ / ص ٢٨٨ .

الامريكية - البروتستانتية	اليسوعية - اللاتينية
كم محبتك اطيب من الخمر وم رائحة هانك اطيب من كل الاطياب .	ان حبك الذ من الخمر وعرق ادهانك فوق جميع الاطياب .
(نشيد الانشاد ٤ : ٨ - ١٠) (١)	(نشيد الانشاد ٤ : ٨ - ١٠) (١)

وهناك تعريب ثالث للكتاب المقدس ، قام به احمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٧) في لندن في منتصف القرن الماضي ، بطلب من "جمعية ترقية المعارف المسيحية" سنة ١٨٥١ ، وطبعت في لندن . لكن تعريب هذه النسخة لم يظهر حتى الان ، رغم انه "سبق الجميع في الظهور لكن في بلاد الانكليز لا في بلاد العرب" . (٢) . ويتساءل عجاج نويهض مع الكثيرين من علماء العربية عن سر اختفاء هذه النسخة المخطوطة وغير من المخطوطات التي تتعلق بهذا الدرس الديني ، كمخطوط "المرأة في عكس التوراة" وهو سفر ضخم يقع في نحو ٧٠٠ صفحة (٣) قبيل انه "افرقه في قالب بديع لم ينسج احد على منواله" (٤) . ويذكر الاب شبلي ان الشدياق كان "قد شرع في انشائه على اثر ترجمة للتوراة في لندن . . . واتمه في آخر مرحلة من حياته" (٥) .

ويحاول الاستاذ نويهض تبين ذلك بقوله : "قد تكون اراء الفاريق في بعض المسائل الواردة في التوراة لا تتفق ورأى غيره من الناس" . (وربما) كان يذهب في تفسير القضايا الدينية ، في المسيحية والاسلام مذهباً عقلياً ، او "معتولياً" اذا جاز التعبير" (٦) .

نضيف الى هذا الاحتمال ، ترجيحاً اخر هو ان تعريب الشدياق ، سار في جعل العبارة على نسق لغوي يشبه لحن العبارة في القرآن الكريم . ودليلنا على ذلك ما ذكره الشدياق نفسه ، واورده مارون عبود ، عن مجادلته (اي الشدياق) مع المبشر والمستشرق الدكتور "لي" حول كيفية اختيار العبارة ، واهتمام "لي" بان

(١) المصدر السابق ، ص ٨٨٦ ، انظر ترجمته .

(٢) = = = ص ٣٠٠

(٣) ، ٤ ، ٥ : الشدياق واليازجي ، للاب انطونيوس شبلي ، ص ٥١

(٦) : بروتوكولات حكماً صهيون ، ص ٣٠٠ وما بعدها (بتصرف) .

تكون بعيدة كل البعد عما يشبه نسق العبارة في القرآن الكريم او الحديث الشريف .

وهذا شي " مما اورده مارون عبود في " صقر لبنان " نقلا عن الشدياق في " كشف المخبا " ، وكلما رأى جملة (اى الدكتور " لي ") تنتهي بالواو والنون والياء والنون ، قال انها مضاهة لكلام القرآن فيبدلها ، حتى انه رأى هذه الجملة وعي : " وانتم على ذلك شهود " ، فقال : " ان هذا الوقف يشبه وقف القرآن ، فمن ثم بدلها بقوله : " وانت شهود على هذا ، ووجد عبارة اخرى وهي : " وما اولئك بما بربين من هناك الينا ، فقال : " هذا التركيب فصيح ، فبدلنى عابرين بـ " يعبرون " ولم اتعجب (اى الشدياق) من تغييره ، وانما تعجبت من انه شعر بحسن هذا الترتيب " (١) .

ب - تعريب الكتب العلمية والادبية والفلسفة والتاريخية :

انحصرت دائرة التعريب ، باتساع النشاط التبشيري في لبنان ، فقد تطور الاهتمام بالنقل من اللغات الاجنبية في منتصف القرن الماضي تطورا ملحوظا ، حيث قامت الرسائل الاجنبية وبعض مؤسساتها بتعريب بعض الاثار ونشر العديد من المخطوطات .

ولعل اهم خطوة قام بها مبشرو هذه الرسائل ، هو ما ادخلوه من العلوم الى البلاد ، وما اوجدوه من مصطلحات تقنية وفنية . ونخص بالذكر ، من هذه الرسائل الكلية الاميركية في بيروت التي اشتغلت في نقل العلوم العصرية : الطبيعية والطبية . . . غير ان هذا حصل لفترة ما بعد تأسيسها واخذها التعليم باللغة العربية ، وهي فترة لاتتعدى العشر سنوات . . . اما بعد ذلك فقد عاد التدريس الى الاخذ بالمصطلح الاجنبي واللغة الاجنبية .

وكان قد نقل الاساتذة في تلك الفترة لتلاميذهم عديدا من الكتب الى اللغة العربية عن المؤلفين الاميركيين والانجليز ، وذلك في مدرسة " عبيه " بالذات .

(١) صقر لبنان ، مارون عبود ص ٩٤ - ٩٦ نقلا عن الشدياق في " كشف المخبا " .

ونذكر من هؤلاء* الدكتور كرنيلوس فاندريك (١٨١٨ - ١٨٦٥) الذي ألف

في موضوعات علمية كثيرة ، كاعماله في الطب والرياضيات ، والفلك ، والطبيعيات ،
والكيمياء ، والجغرافيا والتاريخ . ثم الدكتور يوحنا ورتبات (توفي سنة ١٩٠٨) الذي
ألف في التشريح والفسولوجيا ، كما قام بعمل مشترك مع الدكتور بورتز في اصدار معجمين
انكليزي عربي وعربي انكليزي .

ثم الدكتور جورج بوسط (توفي سنة ١٩٠٩) الذي ألف في الطب والتاريخ

الطبيعي . وغير هؤلاء* الاساتذة (المبشرين) .

عذا وقد نبغ من تلاميذ الكلية الاميركية طبقة من العلماء اللبنانيين

اشتغلوا بالعلوم الطبيعية وعزبوا الكثير من الكتب ، لم يظهر منها الا القليل ، كذلك

المصطلحات الطبية والتقنية التي قام بتعريبها الدكتور " بشارة زلزل في سنة ١٩٠٥)

والذي ينسب له الكلمات :

- الآخ (للزلزال)

- الامرط (لما ليس له ريش ، ولا زغب من الطير)

- الانسلاخ (لتحول الهوام من حالة الى حالة)

- الاشرع (للطويل الانف من القرود)

- البطريق (للسمن من الطير) .

الح . . .

وفير ذلك من المصطلحات التي تتسبب لطائفة اخرى من الكتاب ، كمجموعة

الكلمات التي انشأها ابراهيم اليازجي ، ونورد منها على سبيل المثال :

Gravate	الاريسة مقابل
Bacilles	الذنبويات مقابل
Bateau à vapeur	= الباخرة
Carte	= البطاقة
Salon	= البهو

Foyer	البسورة
Balcon	الجناح
Lentille	العدسية
Salle	الردهة

وفيرها من الكلمات الواردة في مظانها .

ووضع خليل اليازجي بُعيد ذلك الفاظا منها : الجواز ، والقفاز ، والنوط ،
والصبيحة (لطعام الصباح ، خاصة) والجديل (لسير اللجام) ، اذا كان حبلا
مجدولا .

كما وضع نجيب الحداد : الصحافة . ووضع شاكر شقير : المنظرة ، والدكتور
خليل سعادة : آداب السلوك .

اما أحمد فارس الشدياق فسنخصص له المبحث التالي ، لما له من فضل على
التعريب ووضع الالفاظ . قام هذا اللغوي بعمل جبار ، اتحف به المكتبة العربية
بواقر من الكتب اللغوية ، والادبية المهمة ، التي انطوت على كثير من الالفاظ
المستحدثة والمصطلحات الجديدة . وقد وردت هذه الثروة اللفظية اكثر ماوردت
في كتابه " كشف المخبا عن فنون اوربا " وقد عدنا منها مايزيد على المائتي مصطلح
جديد . كما حفل كتابه " الساق على الساق " وفرة من هذه الكلمات التي اخذت طابع
الاحياء اللفظي في حين تميزت الفاظ " كشف المخبا " بطابع التجديد الوضعي
القائم على الاشتقاق او النحت او النقل الصوتي . والذي حدا بالشدياق الى الاهتمام
هذا ، كونه رحالة جاب بلادا كثيرة ، فقد عاش في مالطة حينما من الدهر ، استاذا
للفة العربية في النصف الاول من القرن الماضي ، فرأى في هذه الجزيرة مظاهر
حضارة حديثة جاء بها الانكليز الذين استعمروها .

وكانت هذه المظاهر متصلة بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية
وفيرها ، ثم انتقل في عام ١٨٤٨ ، الى بريطانيا ، مجتازا فرنسا ، واقام في الاولي
عشرين شهرا ، او اكثر ، وسكن الثانية مدة لم يحددها .

- كل ذلك أسعفه في التعرف على الحياة العصرية ومنجزات الحضارة
الاوروبية ، فاندفع من غيرته على العربية ، يضع اللفظ العربي لكل ما تراه عينه
رافضا ان ينقل اللفظ بحرفيته ، لما تتمتع به لغته من طواعية على المعرفة وتقبل
العلوم ، وقدرة على الاستيعاب . متوسلا لذلك :
- بحث الفاظ عربية تقابل المصطلحات الاجنبية ، او اعتقد انها تقابلها .
 - طريقة التعريب ، واجراء الالفاظ المعربة على اوزان العربية ، اذا
امكن والابقاها على حالها .
 - الترجمة الحرفية ، وقد عمد الى ايضاحها ليقينه انها ستكون مغلقة
على القارى .
 - التعبير بجملته عن اللفظ حين الحاجة .
 - استعمال الفاظ عامية (احيانا) درجت على الالسن والقبها الناس .
- وانا نورد بعض هذه المصطلحات على سبيل المثال لا الحصر ، مختمين
بذلك هذا الفصل :

- البيدال (١) . داء المفاصل مقابل rhumatisme
- فلانلة . وقد سماها غلائل الصوف مقابل flanelle
- كشك (١) وقد سماها روشن مقابل kiosque وهي كلمة عامية
يراد منها المأوى الذى يقام على ضفاف الأنهر ، أو في الحدائق ، من
اعمدة خشبية ومن اوراق الشجر .
- الكرنيفال (٢) : هكذا بالياء مقابل Carnaval
- الملهى : مقابل Théâtre . قال : الملهى وهو المسمى
عندهم بلفظة "التياطر" او "التياطرو" .

(١) انظر " انواسطة في معرفة احوال مالطة " .

كشف المخيا عن فنون أوروبا ص ١٤ .

(٢) = = ص ١٨ .

(٣) = = ص ٢١ .

البدال (١) اطلقها على بائع الاطعمة . صحح فيها ما جاء في القاموس
من ان يباع الاطعمة هو البقال .

مدرسة جامعة (٢) : مقابل Université
المشايخ شيخ (٣) مقابل Professeur واستعملت في ص ١٢٥ لفظي

المعلم والاسنان
(٤)

دار كتب مقابل Bibliothèque

برنيطة (٥) مقابل Chapeau ولم يستعمل قبعة .

بارون (٦) مقابل Baron وهكذا مركز Marquis ودكتور

ودكتور Doctor ص ٤١ . وجعل مؤنث دكتور دكتورية

ص ١٢٥

بوسطة المكاتب : مقابل Poste ص ٤٥ (ورد في ص ١٤٤ لفظ : البريد .

مستوفي الاموال مقابل Percepteur ص ٤٥

= Douanier ناظر الجمرك مقابل

= Juge suprême كبير القضاة :

الجمعة " مقابل La bière ص ٤٦

حافلة الحج Diligence ص ٧٠ بمطلي عربية سفر

قبوة : مقابل Tunelle قال : دخل الرتل - اي

القطار - في قبوة مظلمة منقورة في الصخور فسار فيها نحو عشر دقائق .

دوائي : مقابل Pharmacien ص ٧٤ واسماء : عقاقيري ص ٢٢٨

وسماء صيدلي ص ٢٧٢

ميزان الهواء ، مقابل Baromètre ص ٩١

ابرة المغنطيس : مقابل Boussole ص ٩١

الرتل : Train ص ١٠٠

مزجية : Locomotive ص ١٠١ قال : وهي الالة التي يقال

لها انجن (بالانكليزية) Engine) .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥ ، (٢) ص ٢٥ ، (٣) ص ٢٦ ، (٤) ص ٢٦

(٥) ص ٣١ ، (٦) ص ٤١ .

٠ / ٠

- كواغد مالية مقابل monnaie en papier ص ١٠٢ يعني بها الاوراق
المالية .
- الظلل ج ظلة : مقابل Parasol ص ١٠٧ ، للاتقاء من الشمس .
- الملاكمة مقابل Boxe ص ١٢٠
- المصارفة مقابل escrime ص ١٢٠
- الفقه Droit ص ١٢٧ وهي اليوم : حق .
- الشرع : مقابل Loi ص ١٣٨ وهي اليوم القانون .
- المناصع : مقابل Pissoires publique-urinoires قال (ص ٢٧٣) :
هي المواضع التي يتخلى فيها الانسان للبول او لقضاء الحاجة .
- نجسي مقابل Secrétaire
- قلعة البلد مقابل Hotel de ville يعني بها دار البلدية ص ٢٠٠ .
- عيبة ج عياب مقابل valise ص ٢١٦
- الأنج آراج او القنطرة : مقابل arc ص ٢٢٥
- المنطاد مقابل ballon ص ٢٧٧ .

وكثير غيرها من الالفاظ الوفيرة التي جاءت في ثنايا هذا الكتاب ، هذا
عدا عن عشرات الالفاظ التي وردت في الساق على الساق . ^{عن} بتتبع ذكرها المجالي .

د. محمد

الفصل الخامس

النقد المعجمي عند لغوي

القرن التاسع عشر

في لبنان

المعنى في الفصل السابق الى ان الدرس المعجمي ، عند علمائنا اللبانيين في القرن الماضي ، لم ينفصل عن الدرس اللغوي . وانتهينا الى القول ان اسباب مشاكل المعجم العربي - كما رأها هؤلاء - تنحصر بربع قضايا هي على التوالي :

- الجمود الذي ساد المعجم القديم

- سوء الترتيب

- قصور الشرح

- الابهام والغموض في التعريف .

كما اشرنا في حينه الى وقفة الشدياق التي نحت بالعمل المعجمي ، ونحن نجد بدا جملة فصي مأمن من العثار او التخلف . وذلك بنقده لمعجم القدامى ، بسد * بمعجم القاموس المحيط للفيروز آبادي ، وختاما بقاموس محيط المحيط لمعاصره بطرس البستاني .

هذا ، وقد ظهر في القرن ، نقود معجمية اخرى ، الى جانب اعمال الشدياق الكبيرة .

تبدأ بعمل رشيد دحداح في تصحيحه وتنقيحه لمعجم المطران جرمانوس فرحات * احكام باب الاعراب عن لغة الاعراب واشرافه مع اخيه سمعان الدحداح على طبعه في مطبعة باراس وسافوريني في مرسيلية سنة ١٨٤٩ م .

اما العمل الثاني ، فهو كما اسلفنا ، للعلامة احمد فارس الشدياق في معجمه الانتقادي * الجاسوس على القاموس * الذي سنفرد له بحثا خاصا .

ويتلو هذا العمل الكبير بحثنا نقديا للمعلم سعيد الشرتوني ، اورده في نهاية ذيل معجمه * اقرب الووارد ، بين فيه كثيرا من الاقلاط التي وقعت في القاموس المحيط .

كما ، لم يخل الامر من بعض المقالات النقدية كذلك التي فتحت عن المناقشة بين الشدياق و ابراهيم اليازجي - وما كان منها د اخلا بسبب او باخر في مبحثنا هذا . سيما بعد ان انتقد اليازجي معجم سر الليال للشدياق . وعلى هذا ، يمكننا ان نرتب هذه النقود حسب تدرجها التاريخي ، مبتدئين بنقد الدحداح ، فالشدياق فالشرتوني .

١- النقد المعجمي عند رشيد الدحداح : (١)

لما كان الدحداح يرى ان اللغة مادة العلوم ، ولما كان بالتالي ، لا بد من طبع كتاب جامع لشملى نوادر العربية ، متحل بلطائف حركات تجعلها قريبة المتناول " لتكون قواما لاساطير الكتاب . ومسرودا / ^{نوع} متحل باشراقه عيون الالهاب ، وقواما لجثمان قرائح اولى الذوق السليم ، فقد استوجب ذلك جمع كتب لغوية كثيرة تكون مادة بحثه ، واصول منهجه الذى يرهده ، ويبدو ان الدحداح لم ير كتابا يعول عليه ، لكنه يقول في مقدمة الكتاب انه رأى " اجل ما الفنى اللغة من كتاب : القاموس المحيط ومختصره باب الاعراب عن لغة الاعراب " (٢) .

بيد ان الدحداح ينتقد صاحب القاموس (الفيروزابادى) ^{كثير} حيث قال : " انه كان الفنى اللغة كتابا ستين سفرا وسماه باللامع المعلم العجيب ، الجامع بين المحكم والعجيب . وانه لما اجتز الطلاب تحصيله ، وفات المراجعين تفصيله ، سئل تقديم كتاب وجيز فاختصر منه كتابا محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد وسماه بالقاموس المحيط " (٣) .

(١) رشيد الدحداح : ١٨٤٨ - ١٨٤٩ / ١٨٤٨ - ١٨٤٩

(٢) و (٣) : انظر مقدمة احكام باب الاعراب للدحداح ص ٢ .

ويرى الدحداح ، انه كان من الاولى للفيروز ابادى ان يقول : " بعض الزوائد
لانه لم يزل يحوى منها جما فقيرا " (١) .

كما ينتقد ، في اهماله عن ذكر كلام كثير ، تداولته السنة الملمة ، وادعته
بطون كتبهم " فتعرض لذكرها شارحوه . وعاب عليه اهمالها متصفحوه (٢) مما جعل
المطالع لا يجد فيه الا الكليل والملل قبل ان ينال بغيته منه .
وهذا ما حدا بالدحداح الى ان يضمن كتاب " باب الاعراب " هذا ، شروحات
فيها عدة فوائد ، عشر عليها " لدى المطالعة " . وقد قدم بالفصل " بهذا ما تملن
بعض ما ذكره مما لا يختص بكتب اللغة وطلابها ، وبعض ما اهمله وهو من اخص ما يلزم
لاربابها " (٣) .

والحقيقة ان الدحداح لا يريد انتقاد الفيروز ابادى وانما هدف الى تصحيح
ما جاء من افلاط وتحريف وتصحيف وقصور في معجم " باب الاعراب " للمطران جرمانوس
فرحات ، الذى لخص فيه القاموس المحيط .

ويعرف الدحداح بهذا الكتاب ويعرض صاحبه منه فيقول : " انه لما كان ديدنه
(اى المطران فرحات) اكساب الفوائد للناس . ورأى عدم شمول نفع القاموس للخاص
والعام . اشهد لنا صافي شهادته ، وزيد خلاصة زيدته وبمختصر سماه باب الاعراب
عن لغة الاعراب ، وآثر فيه الايجاز على الاطناب ، واحسن ترتيبه " (٣) .

ويرى الدحداح ان المطران قد تعمد ترك كل مالم يره كثير النقل والتداول
رفية في تصغير الحجم وتسهيل النسخ والتناول . والكفى ببعض معاني الفمسل

(١) و (٢) : انظر مقدمة احكام باب الاعراب للدحداح . ص ٢ .

(٣) : انظر مقدمة باب الاعراب . ص ٣ .

وتعد يائه وبيعض الجموع والصادر والاسماء عن بعض * وكان ابي الطران قد اعتمد في عمله هذا على " نسخة من القاموس محرفة ذات اطلاق " .

لذا ، قام الدحداح بمقابلة خمس نسخ من باب الاعراب مع نسخة اختارها من القاموس ، محكمة الضبط ، " وهي المطبوعة في الهند " ، واخذ يراجع كلمة فكلمة ، وملاحظا كيفية تصرف المختصر ، ملتقظا ما تركه ، صلحا ما يتخيل انه ابهم عليه لعدم صحة النسخة التي نقل عنها ، ثم يعود الى باقي الكتب واحدا واحدا ليحتج منها ما يهدده سهلا من القاموس ، وليحل كل شي * محله " (١) .

هذا ، وقد ظل الدحداح متتبعا اثر المؤلف " فرحات " في النص على بعض الحركات واستعمال الاحرف التي استعملها علامات لوزن الفعل الثلاثي وكلمة " جمع " لكنه زاد " جج " علامة لجمع الجمع * لانه حياه الله قد كان ادرجه بجملة الجمع مرة وتركه اخرى * . كما جعل اضافاته بين قوسين .

اضف الى ذلك ، ان الدحداح ، صرف وقتا طويلا في المطالعات حتى جمع المواد التي كانت متروكة منه بتمامها ، واكمل لكل فعل مصادره وانواع معانيه وتعدياته واسماءه ، ولكل اسم فعله وانواع جموعه قياسية كانت او غير قياسية لاسيما جمع التكسير الذي اكثره سملحي ولا سبيل الى معرفته الا من كتاب اللغة .

كما نبه على المتضاد وعلى الشواذ من الجموع وغيرها ، وعلى المذكر والمؤنث وعلى ما يحتمل الوجهين ، وعلى الكلمات الاجنبيات انها معربة .

كما ذكر جملة من امثال العرب الدائعة بين العلماء ، ومن اسماء مشاهيرهم المعروفين بعدد او ذم ، واشكل بالحركات كل كلمة يمكن ابها مها او التباسها . دون ان يودي به ذلك الى التعرض لتغيير شي * من الاصل الا ملاح له انه غير صحيح . وذلك ببعض عبارات وكلمات واحرف وحركات .

ويوضح الدحداح ، بتواضع كبير ، " ان ماصححه وقيمه عما كان عليه ان هو الا نقل مما تعب فيه الطران جرمانوس فرحات ، مقتصرا عمله على التدقيق في المقابلة .

(١) نفس المصدر السابق ص ٣ .

وهذه بعض نقود رشيد الدحداح على كتاب باب الاعراب . وتصحيحه
لما جاء فيه من توهم او فلفظ او تصحيف او خلل في اوزان الفعل وغير ذلك مما سيأتي
ذكره . نورد هنا بشكل يجمع بين صورة العادة في القاموس المحيط وباب الاعراب
عند المطران .

١- ماجا من تصحيف واستهم عليه من النسخة التي نقل عنها

ج - تعليق الدحداح
وتصويبه .

ب - عبارة جرمانوس فرحات

٢ - عبارة الفيروز آبادي

يقول الدحداح وذلك لانه
صاحب القاموس قال سلبه
اباه وضعه فتصحف عليه
العض بالوعظ .

وخلب عقله ملكه بوعظه

- خلّب عقله سلبه اياه

مع ان الاستوا
الاستقامة والاعتدال ،
لا كما تستعمله العامة
بمعنى الضج .

الطبخ الانضاج والاستوا

- الطبخ الانضاج استوا
واقتهدارا

قال المطران : "وذو المقعدة
شهر كانسون

وذو المقعدة شهر كانوا

يقعدون فيه عن الاسفاره
ج ذوات المقعدة .

اجلاء الناس . (١)

- الجمهور جل الناس

٢- ماجا من تفسيرات دقيقة :

فقال المطران : والفرار النوم القليل
= والمألوز بالضم وفتح المشدد الوجه الطليح
= = وصدع تكلم بالحق (٢) .

- الفرار القليل من النوم (وغيره)

- والوجه المألوز الطليح

- صدع بالحق تكلم به

(١) و (٢) : انظر نفس المصدر ص ٦ .

٣ - ما تمعد استعماله بخلاف ما استعملته اهل اللغة فارجمه الدحداح الى اصله ؛

أ - عبارة الفيروزآبادي

- رَهَبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رُحْمُوتٍ اِى لَان
تُرَهَّبًا خَيْرٌ مِنْ اَنْ تَرْحَمَ

- وانتدب الله لمن خرج في سبيله
تقل به وفقر له وسارع بثوابه .

- القنارة ما كثر به عن الاثام من صيام
و (صلاة) وصدقة ونحوهم .

ب - عبارة المطران

فقال المطران ، ورهبوت خير من رحموت
اى الرهينة خير من الرحمة (١) .

••• وانتدب الله الراهب تكفل به .

قال المطران ، والقنارة شديدة ما يضعه
الكاهن على المعترف من صيام وصلاة وصدقة
تفي عن آثامه .

ويعلق الدحداح فيقول : " فالعرب ما خصصوا هذه الكلمة لامر الكاهن ، فلا يسوغ لنا
اذا تخصصها ولا داع لذلك فهي نعم ما يكون بامر الكاهن او بدونه .

- ومن الناس من يعبد الله على حرف اى
على وجه واحد وهو ان يعبد على السرا
لا الضرا الح .••
فقال المطران : وهذا راهب يعبد الله
على حرف اى على حال واحدة في السرا
والضرا (٢) .

٤ - ما نص فيه على حركات بعض الكلمات بخلاف الصواب لالتباس قياسها عليه ؛

يقول الدحداح في هذا النقد :

" لا يخفى ان صاحب القاموس يستعمل غالباً القياس والتشبيه عوض النص على

الحركات .

(١) نفس المصدر ، ص ١٠

(٢) نفس المصدر ص ١١ .

"مثلا ، لو شا" ان يعبر عن حركات : ^{معتبر} معترض ومعتذر . قال كنجيس ومببر عوض
قوله : يضم الميم وكسر القاف او بكسر الميم وفتح القاف . فلوزن "فعال" جمل لفظة
"كتان" قياسا .

ويتابع الدحداح قوله :

"وكان المؤلف اي جرمانوس فرحات (كان يعتقد كسر كاف (الكتان) ، فاذا
كل كلمة قيس عليه نصر عليها بالكسر وفتح المشدد . فمن ذلك : الكذاب والنجاح -
الطراد - النجاد - الخ . .

"واما الوضاح والصرح . . فنصر عليهم بالضم وفتح المشدد .
"والمداح والسوار والفسان . نصر عليهم بالكسر فقط .

"والنجاج والقداح والطساس والنقاش . . نصر عليهم بالشد فقط ، ويعلق
الدحداح على هذا بقوله : "ضع ان صاحب القاموس قاس الجميع على "كتان" (١) .

٥ - ذكر بعض ما اختصره الدحداح مما لا يختص بكتب اللغة :

حذف الدحداح في هذا المبحث كثيرا مما تناوله الطران في مواده وكان داخل
في اصول الشريعة او الطقوس المسيحية .

تعليقه على ماورد في مادة رح م مثلا " في رح م حذف ما شرحه (اي
الطران) عن الرحمة الروحية والرحمة الجسدية لكونه سمي كتابه "باب الاعسراب
عن لغة الاعراب ، لاكتاب التعليم المسيحي (٢) .

ومثله ماجاء في "الففران" وهو مسامحة العذاب الواجب من اجل الخطيئة
المعقولة وتركت (اي الدحداح) التطويل الذي كان هنا لانه ليس هذا محله " (٣) .

(١) انظر نفس المصدر ص ١١

(٢) = = = ١٠ -

(٣) = = = ص ١٠ .

"وقوله حذف ما ذكره عن اختلاف اسم "قارون" باللغة الرومية ، اذ لفائدة
في ذلك "والكلام هنا على العربية لا على غيرها ."

٦ - ما انتقده فيه على خطأ القياس :

أ - مما يقاس من السجوع على "قراءة" ونص عليه بالتحريك ،

وخلدة من ديكسة . . . ونص على قراصة وقططة بالفتح .
ويعلق الدحداح بقوله : مع ان صاحب القاموس قاسها على قرادة ايضاً (١) .

ب - وما يقاس على "زنبور" ونص عليه بالفتح وضم ما قبل الواو :

- العنقود ، الزحلوقه ، الخرطوم ، الزلقوم . . .

ج - وما يقاس على "سكيت" و"قنديل" ونص عليه بالفتح :

- الحديث ، القسيصة ، الاشبين . . .

د - وما يقاس على "مسكن" ونص عليه بكسر العين لحكمه بان كاف "المسكن"

مكسورة ، مع ان كسرهما شذوذ وقياسها الفتح ،

- المفتح ، المطبخ ، المعشر (٢) .

ه - ما نص عليه بالفتح من مصدر واسم الثلاثي وحقه بالضم :

النشور ، الكروزه ، الطموس ، القسوسة . . .

و - ما نص عليه بالفتح من اسما الحرف التي حتمها بالكسر :

الخبازة ، الخياطة ، البزازه ، الخرازة . . .

هذا وقد جعل "الخبازة" بالضم مع انه - كما يقول الدحداح - كسر النقاشية ،
والخراطة واشاطة والطباعة . . . ولم يذكر للنساجة والقداحة والنبالة حركة ما .

(١) و (٢) : نفس المصدر - ص ١٢ .

ز - مانص عليه بالفتح من وزن فعالة المضموم :

- الحتامة ، القلامة ، الفكاهة .

ح - مانص عليه بالفتح من المصادر والاسماء التي هي على وزن فعال المسكور :

- العواس ، الشقاق ، التقالدة ، الحكاية .

ط - مانص عليه بالفتح من المجموع التي حدها الكسر :

- العنز - عناز - المحض - محاض - القط - قطاق - الضعف - ضعف (١).

ي - مانص عليه بالفتح من وزن مفعال المكسور :

- المنظار ، المنخار ، المخلاف ، المعناق .

ك - ذكر بعض الكلمات مختلفة الحركات ونص على جميعها بالفتح :

- الميثور - الاوز - الحجاز - العكاز - خراسان .

- ضعف ضعفا وضعفا وضعافة وضعافة . فقال (اى المطران) بفتح

ومثله قوله ج ضعاف وضعفا وضعافة وضعفا بفتحهن .

٧ - ما انتقد عليه في مساواته الجائز (عند الفيروز ابادى) بالثبوت وبالافصح :

مثال : الصلد ويكسر . فقال المضران : الصلد بالفتح والكسر .

- القميص ويثبت . فقال المطران يذكر ويثبت

- الام وقد تكسر فقال المطران الام بالضم والكسر .

- القفا وقد يمد = = بالقصر والمد .

٨ - بعض ما نقله الدحداح الى محله : (١)

مثال : صراه - يصريه ، وما بعدها . كانت في باب الواو ، فنقلها الى باب اليا .
وهكذا : الضميان ، وصى يصي الى آخره . . نقلها من باب الواو الى باب اليا .

- الطخا ، وما بعدها ، كانت في باب الواو فنقلها الى باب اليا ووضع الطخوة بمحلها في باب الواو .

هذا ، وقد ورد نقود اخرى في الكتاب ، اذا رتببت بشكل ^{جهد} ، بالاضافة الى مختصر الطران لقاموس المحيط ، فانها تشكل مادة معجمية جديدة بالاهتمام والرهابة .

ويمتدلى من كل ما تقدم ، ان رشيد الدحداح ، في عمله هذا ، قام بعمل كبير استهدى من خلاله ضبط بنية الكلمة ، ووزان الانفعال ، وتصحيح العبارة ، ورد المحذوف ان كان مفيدا ، ومقابلة الكلمات المزددة بالنسخة الاصلية ، وحذف ما زاده الطران من طقوس مسيحية . كما صحح ما جاء مفيدا فادخل ، او ما اطلق فقيد ، وغير ذلك من المباحث . .

٢ - النقد المعجمي عند احمد فارس الشدياق :

ثمة علاقة مشتركة في كل مباحث النقد المعجمي عند لفويينا في القرن الماضي هذه العلاقة كثيرا ما جعلت نقودهم تصدر عن مورد واحد ، او انها استهدفت معجما بعينه ، دون غيره . نعتني بهذا القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزابادي . فلقد دارت اعمالهم حوله ، وتناولوه باكثر من نقد حتى صار قاسما مشتركا لكل ماجا من دراسات معجمية رأيناها في " محيط المحيط " للبستاني واقرب الموارد للشرطوني .

(١) راجع نفس المصدر صفحة ١٤ .

ويحدد ثنا الشدياق عن اهتمام الناس - يومها - بهذا الكتاب ، وهو ما دفع به الى مطالعته ، والتأمل في مادته . لكن الشدياق ، بعد المراجعة ، والتدقيق ومقابلة الكتاب بمساجم اخرى ، خلس الى نقد عام حدد فيه موقفه للغوى من المعجم العربي عامة ، والقاموس المحيط خاصة .

وقد ضمن نقوده هذه في كتاب سماه " الجاسوس على القاموس " بين فيه مناقسي القصور والابهام او الايجاز والابهام وسو ترتيب الافعال ومشتقاتها في هذه المساجم القديمة .

كما شرح الاسباب الرئيسية التي حملته على تأليف كتابه هذا بقوله :
" فاني لما رأيت في تعاريف القاموس للامام القاضي مجد الدين الفيروزابادي قصورا وابهاما وايجازا وابهاما ، وترتيب الافعال ومشتقاتها فيه محوج الى تعب نفسي المراجعة ، ونصب في المطالعة . والناس رايمون منه ، راضون عنه ، احببت ان ابين في هذا الكتاب من الاسباب ما يحضر اهل العربية في عصرنا هذا على تأليف كتاب في اللغة يكون سهل الترتيب واضح التعاريف . شاملا للالفاظ التي استعملها الادباء ، والكتاب وكل من اشتهر بالتأليف ، سهل المجتنى والتي الفوائد ، بين العبارة ، واتي المقاصد " .

ويرى المؤلف في موضع اخر ان الحاجة ، باتت ماسة ، الى زيادة تفصيل لفردات اللغة ومركباتها ، وتبيين لاصولها من متفرعاتها ، وافراز لافعالها من مشتقاتها . وهو امر لا يتأتى - حسب رايه - الا " باظهار ماني القاموس من القصور والخلل بنوع لا يحمل القارى على الطلل ، ولا يقنطه من تحصيل فوائد اللغة التي هي خير محصل . غير قاصد بذلك التنديد بالمعاييب او التعمديد للمثالب " (١) .

ويعتبر الشدياق ، بشدق جازم ان المؤلفين الاولين القوا وبرعوا ، واجادوا ، وصنّفوا ونفعوا وافادوا ، غير انهم القوا كتبهم على حسب افهامهم وانذاهامهم ، وانهم اهل زمانهم ، فاختصروا واوجزوا واثاروا ورمزوا .

ويحدد الشدياق موقفه من صاحب القاموس بالذات فيقول :

(١) الجاسوس على القاموس ، الشدياق ، من المقدمة ص ٢ - ٣ .

" اني رأيت جميع كتب اللغة مشوشة الترتيب كثر ذلك او قل . وخصوصا كتاب القاموس الذي عليه اليوم المعمول ، فان مؤلفه ، رحمه الله ، التزم فيه بالابحاز ، حتى جعله ضربا من الالغاز " (١) . وبين المؤلف طريقته في النقد بقوله :

" لكنني التزمت القصد ، فيما اوجهه عليه من النقد ، بل ارد عنه اعتراض المحشي والشارح حين اجد مجالا للرد ، فاني لست ممن يبخسون الناس اشياءهم ، او يتمامون عن احسانهم فلا يرون الا اسوأهم " (٢) .

هذا ، وقد وزع المؤلف نقوده في الكتاب على اربعة وعشرين نقدا ، حصرناها في ثلاثة اتجاهات :

- ١- خطأ التوهم
- ٢- قصور العبارة ، او غوضها في التعريف .
- ٣- سوء الترتيب .

١- خطأ التوهم :

تناول الشدياق في هذا المبحث كلا من الغلط والتوهم الوارد في قاموس الفيروزابادي ، وما جاء عن طريق المقابلة ، في غيره من المعاجم القديمة ، منتقدا على التحديد ،

- ٢ - فيما قيده صاحب القاموس في التعاريف وهو مطلق ، كقوله : بكسات الناقة قل لبنها . ويرى الشدياق ان كلام المؤلف " يوهم ان ذلك لا يقال الا لاناث الابل وليس كذلك ، ففي الصحاح والعياب بكسات الناقة والشاة " (٣) . وهكذا ، التأتأة مشي الطفل ، فظاهره ان لا يقال لمشي غير الادي من صفات الحيوان وليس كذلك ، ففي العباب اكثر ما يقال في التيس " (٤) .

(١) و (٢) : نفس المصدر السابق ، ص ٦

(٣) و (٤) : الجاسوس ، الشدياق ، ص ٢٧ .

ب - فيما اعني وضع الاشارة اليه ، واخطأ موضع ايراده ، وكان من عادة صاحب القاموس ان يضع قبل ^{الضم} المعتل الآخر واوا او ياء لكنه - كما يقول الشدياق - " ذهب عن مراعاة ذلك في بعض المواد ، ان لم يضع قبل مادة بنى واوا ولا ياء ، وكذلك التمسأى بمعنى الافساد ، لم يضع قبلها شيئاً " (١) :

ج - في خلطه النصيح بالضعيف والراجح بالمرجوح وهدوله عن المشهور ؛ يرى الشدياق ان هذا النوع من الغلط اكثر من ان يحصر ، وقد نقل هنا شيئاً من نقد الامام الخليلي في حرف الهمزة مائمه ؛ " جفاً الهمزة في القصعة لقائها ، والوادي والقدر رمياً بالجفاء اي الزيد كاجفأ ، لكنه ضعيف قليل كما يشير اليه قول الصحاح وغيره واجفأت لغة فيه ، وبمده وجفاً الباب لقلقه كاجفأه ، اجفأت الهاب لغة في جفاته واجفأت القدر لغة ضعيفة في جفاتها وبه يعرف ما في كلام المؤلف من الاجمال والابهام وخلط الصحح النصيح بالضعيف المرجوح من غير تمييز " (٢) .

د - فيما وهم فيه لخروجه عن اللفظة ، " لقوله الصومعة كجوعرة بيت للفصاري وهي مخنثة للراهب " (٣) . وقوله السقلاب جبل من الناس وهو سقلي ج سقالية ثم قال في فصل الصاد الصقلاب بالكسر الاكول والابيض ، الاحمر والشديد من الروس ومن الجمال الشديد الاكل والصقالية جبل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلخز وقسطنطينية ويقارن الشدياق هذا التعريف بمباراة المباب حيث ورد ان الصقالية جبل حمر الالوان صهب الشعور يتاخمون الخزر ويمض
جبال الروم . . .

وهنا يورد الشدياق تعليقا من عدة اوجه :

(١) الجاسوس ، الشدياق ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) الجاسوس الشدياق ، ص ٣٢١ .

(٣) = = ص ٤٠٠ .

* ان المصنف ذكر اولاً الصقالبة بالسین ثم اعاد ذكرهم بالصاد وهم جيل واحد والاشهر بالصاد . فلو قال الصقالبة الصقالبة او بالعكس للقى .

انه لم يقل ان هذا اللفظ معرب .

- انه عرف بلغرانها مدينة الصقالبة وهو تناقض لانه قال ان بلاد الصقالبة تتاخم الخزر . ومعلوم ان الخزر في نواحي الامواز بين فارس وواسط والبصرة وجبال الكور المجاورة لاصبهان . . على ان بلغر ليست مدينة بل مملكة . . السخ . .

هـ - في خطأ صاحب القاموس وتحريفه وتصحيفه ومخالفته لائمة اللغة ، لقوله في مادة فتأ " في فتأ ما فتأ مثلثة التاء مازال كما افتأ " .

ويرى الشدياق ان عبارة الحشي الكر هو المشهور الذي عليه الجمهور ، ولم يذكر اكثر التحويين فيره والفتح قريب منه نقله الجوهرى عن ابي زيد وذكره كثير من النحويين كابن مالك وابي حيان وغير واحد . . واما بالضم فلا يعرف لاحد من النحويين ، وانما وجد في بعض الدواوين اللغوية واستبعدوه وانكروه وهو جدير بالانكار ، فانه قريب لم يذكره احد من مشاهير اللغويين ولا قاله احد من النحويين (١) .

و - في غلط صاحب القاموس ، في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر خاصة لقوله في زميل : " الزميل كجعفر - من نام ينجع فيه الغذاء فمعظم بطنه ودق عنقه " وينقل الشدياق تصحيح الشارح ودقت عنقه .

وهكذا شمل الشمال فهو عند الفيروزابادى شي . كمخلاة يغطى به ضرع الشاة اذا ثقلت ، ويرى الشارح تصحيح العبارة بـ " اذا ثقل " اى الضرع " (٢) .

وفي " نضا النضى كنفى كسهم بلا نضل ولا ريش . ومن الرمح ما فوق المقبض من صدره والمنق او اعلاه او عظمه ، يقول الشدياق : " صوابه او اعلاها او عظمها " (٣) .

(١) نفس المصدر ص ٤٠٩ .

(٢) و (٣) نفس المصدر ص ٥١٧ .

٢- قصور العبارة او غموضها في التعريف :

اندرج تحت هذا القسم كل من النقود الخاصة في ايهاام تعاريف صاحب القاموس والتباسها او ما جاء في عبارته من قصور وعجمة وتناقض مع تبيان للمناحسي التي قصر فيها المصنف عن الجوهرى . وما اهمل الاشارة اليه ، واخطأ موضع ايراد ، ثم ما دخل في ففوله عن الاضداد ، وما كان من اضطرابه في مسائل القلب والابدال .

٢- ويذكر الشدياق امثلة عما نقله صاحب القاموس عن السباب والمحكم

فابهمه ، ورواه فاعجمه . كقوله في مادة كلاء ، " والكلاء كجبل العشب رطبه ويابسه : (١) " وعبارة الصحاح : الكلاء العشب وقد كلئت الارض والكلاء فهي ارض مكلثة وكلثة اي ذات كلاء ، وسواه رطبه ويابسه " (٢) . ويعلق الشدياق على هذه العبارة بقوله : " فالضمير في رطبه ويابسه يرجع الى الكلاء لا الى العشب ، لان العشب هو الكلاء الرطب وبه صرح المصنف في تعريفه في مادته ومثله في الصحاح والمصباح " (٣) .

ب- كما انتقد الشدياق : خلل القاموس المحيط في ابهام المصادر ، فكثيرا ما يستغني مصنفه عن ذكر الفعل بذكر المصدر او اسم الفاعل والمسؤول او اسم المكان وكثيرا ما يذكر المصدر ويحذف عليه اسما جامدة ، مما يجعل المطالع لا يطيق التمييز بينها ، فيظن ان المصدر اسم والاسم لا يستلزم ان يكون له فعل بخلاف المصدر .

ويرى الشدياق ، انه كان اولى بالمؤلف ان يعبر بالفعل لانه لا يلتبس بصيغة اخرى وهو الذى يعبر به ائمة اللغة غالباً ، (٤) لكن المؤلف خالفهم في ذلك كما خالفهم في تعريف الالفاظ .

ومما اورده الشدياق في باب الباء من المصادر المتبسة بالاسماء الجامدة ، " على غير ممارس اللغة " فشي " كثير ولا سيما على وزن فعمللة . فمن ذلك قول المؤلف في ثغب " الثغب الطعن والذبح واكثر ما بقي من الماء في بطن الوادى والثغب محرقة .

٢٤٢٤١ - الجاسوس ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) : الجاسوس ، ص ١٨٨ .

وهكذا في قوله " الشذب بالضم العطاء والجزا " . " ولو نذكره بالفتح لقربه من
الدلالة على الفعل " . " وعندى (اى الشدياق) انه بالضم والفتح ، فانه لغسمة
في الشكم كما اشار اليه الشارح فهو بالفتح مصدر ، وبالضم اسم وعبارته في شكم الشكم بالضم
الجزا ، والعطاء وقد شكما بالفتح واشكمه " (١) .

ج - وما جاء في قصور الوضع عند المؤلف ، وذكره الشدياق ، قوله : الزفت المل
والغبيظ والطرده والسوق والدفع والمنع والارهاق والاعتاب ، الي ان قال : وزفت الحديد
في اذنه افرغه . يعلق الشدياق على العبارة الاخيرة بقوله : " فقصره الفعل على معنى
الافراغ يوهم ان الصداني الاولى لا فعل لها ، فكان عليه ان يقول زفت الانا ملاء وفلانا
غاطه وطرده ودفعه ومنسه وارققه والحديث في اذنه افرغه والاهل ونحوها سابقها " (٢) .

د - ومن ذلك تخليط صاحب القاموس - المصدر باسم الفعل . . ومن الامثلة
التي ذكرها الشدياق على هذا ، قول المؤلف في قات : " قاتهم قوتا وقوتا (الاول بالفتح
والثاني بالضم) وقيائة (بالكسر) . مع ان عبارة الصحاح - كما يقول الشدياق -
" قات اعله يقوتهم قوتا وقيائة والاسم القوت بالضم " (٣) .

وقوله : " ذخره كمنعه ذخرا بالضم " . و " عبارة المصباح : ذخرته من باب نفع (٤)
والاسم الذخر بالضم (٥) .

وقوله في الشغل : " الشغل بالضم ويضمين ، وبالفتح ويفتحين ضد الفراغ " ،
وعبارة المصباح : شغله الامر شغلا من باب نفع والاسم الشغل بضم الشين وتضم الغين " (٦) .

(١) الجاسوس - ص ١٨٩

(٢) = = ٠١٩٠

(٣) = = ص ٠١٩٥

(٤) المصدر : ذخرا (بالفتح) واسم المصدر : ذخرا (بالضم)

(٥) نفس الصفحة

(٦) = =

هـ - هذا ، ومن ابهام صاحب القاموس في الفعل ، كما يقول الشدياق ، انه يسوى الفعل الثلاثي المتعدي بالرباعي المضاف لقوله في خضب خضبه " لونه لخصبه " . وفي شذب شذب اللحاء قشره كشدبه . وفي فتح : فتح ضد افلق كفتح وافتتح . مع ان اهل اللغة ينبهون على ان المشدد يكون لمبالغة فعل او لتكثيره وربما قصر التصريف على بعض معاني الفعل دون البعض الاخر " (١) .

ويزيد الشدياق " ولا وجه للقصر لقوله في ضرب ضربه يضربه وهو ضارب الى ان قال وضربت الطير ذهبت تبتغي الرزق ، وعلى يديه امسك ، وفي الارض خرج تاجرا او غازيا الى ان قال " الشئ " بالشيء " خلطه كضربه مع ان التصريف يصح في المعاني المتقدمة عند قصد المبالغة والتكثير كما نبه عليه ابن عمام " (٢) .

ومن ذلك ايضا ، انه (اي الفيروز آبادي) يذكر الفعل مستقلا بالمعنى دون تعلقه بمحموله ، وبعبارة اخرى انه اذا كان الفعل مشتركا في عدة معان علقه باحد هذه المعاني مستقلا به عن غيره وهو مناف لمعنى الاشتراك .

ومما اورده الشدياق على هذا ، قول المؤلف في بكر " ابتكر ادرك اول الخطبة واكل باكورة الفائحة ويعلق الشدياق بقوله : " والوجه عندي ان يقال ابتكر الخطبة ادرك اولها والفائحة اكل باكورتها " (٣) ويشير الى عبارة المصباح ونصها : " وابتكرت الشئ " اخذت اوله ، وعليه قوله عليه الصلاة والسلام من بكر وابتكر اي من اسرع قبيل الاذان ، وسمع اول الخطبة ، وابتكرت الفائحة اكلت باكورتها " (٤) .

و - وما يدخل في هذا الابهام والغموض ، التباس العبارة في حالة العطف ، فكثيرا ما يمبر صاحب القاموس بالواو بدلا من او ، حتى التباس الامر على شراح الكتاب انفسهم " ان لا يعلم هل مجموع الصعطف هو المراد بالتعريف او واحد من افراده " (٥) . ويرجع الشدياق سبب الابهام في العطف عند التباس العبارة الى مخالفة المصنفين فان عاداتهم اذا اوردوا فعلا او اسما له معان متعددة ان يعيدوه دفعا للابهام ، وربما اتبعوه لفظة ايضا " (٦) .

١ - ٢ : الجاسوس ص ١٦٦

٣ - ٤ : نفس الصفحة .

٥ : الجاسوس ، ص ٤٠٠ .

٦ - نفس المصدر : ص ١٦٦ - ٢٠٠ .

في حين يورده المؤلف (اى صاحب القاموس) ويعطف عليه ما لا يصح العطف
به ، لقوله في زغب : " زغب الانا " كمنع ملاءة وقطعه " .
ويعلق الشدياق فيقول : " وهو يوهوم ان القطع يرجع الى الانا فكان حقه ان يقول زغب الانا " .
ملاءة والشئ " قطعة " وفي قحح : " قحح الماء " نزع وصرعه وقلعه وقطعه وصره " . وحق التعبير ان
يقال " قحح الماء " نزع " ويزيد الشدياق : " بل الصواب قحح الدلو نزعها وفلانا ضربه
وصرعه والشئ " قلعه او قطعه " (١) .

ز - اما ابهام المؤلف في المجمع ، فينتقده الشدياق من عدة اوجه ، احدها
ان صاحب القاموس ، اذا ذكر للكلمة عدة معان قصر الجمع على بعضها دون البعض
الآخر ، " فيوهوم بذلك ان البعض الذي تركه لاجمع له " (٢) .

مثال ذلك قوله : " الأبد محرقة الدرج اباد وابود والدائم والتقديم والولد
الذي اتت عليه سنة " (٣) .

ويعد الشدياق ما ذكره المؤلف من الجموع على فعل بضمين من دون ذكر
مفرده الا ماندر ، لقوله : " الحجج الطرق المحفرة ، الزلج الصخور الملس ، الميج
السكارى " . . . (٤) .

ويتابع الشدياق ، فينتقد ما ذكره المؤلف على صيغة المفرد دون جمعه ، لقوله
" رجل لكوك بتشديد الواو وهو القصير الملز او السمين " (٥) . والاردب كقرشب
مكيال معروف لاهل مصر " .

وهكذا في امثلة كثيرة ، تفوق الاستيعاب ، والارجح والقحح

(١) نفس المصدر - ص ١٩٩ - ٢٠٠

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٤

(٣) نفس الصفحة

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٠٧

(٥) نفس المصدر ص ٢١٠

ويلحق بهذا الابهام " ايراده المذكور من دون التنبيه على مؤنثه " (١) .

ح - وما انتقده الشدياق في هذا الفصل ، عدم تنبيه صاحب القاموس على الاضداد حين ورودها ، واغفال تبيانها ، مع انه " كثيرا ما تكلف لاستخراج الضدية من الفاظ ليست من مظانها ، او غير محتملة لها .

ومن الاول قوله ، وأدأ الشيء " حركه وسكنه ، لفأه اعطاه حقه كله او اعطاه اقل من حقه . وهنا ينقل الشدياق عن الامام المناوي قوله : " فهو من الاضداد كما في العباب عن ابي تراب " (٢) .

ومن الثاني قوله : " الزم مثلثة القول الحق والباطل والكذب ضد " ويعلق الشدياق فيقول : " فان اصل وضع الزم مرادف لمعنى القول ولذلك اقتصر عليه الجوهري فكما ان القول يشمل الصدق والكذب فكذلك الزم وقس عليه اشباعه " (٣) .

ط - ويدخل في هذا النقد ، ما جاء في القاموس من خلل ، ذكره الشدياق في فصل القلب والابدال ، واهمل المؤلف ذكره خلافا للحكم والسبب الصحاح وغيرها . او ما حاول تعريفه في هذا الخصوص ، فاخفى على الطالب اصله لما وقع فيه من التباس . ومن ذلك قوله : " الفأ الكثرة " ، وهو الفنع نيه عليه اللسان " (٤) . و " نأناه " فسر " بكفه " وهو " نهته نيه عليه في الصحاح " .

ي - هذا ، وقد انتقد الشدياق ، فيما قصر فيه صاحب القاموس عن الجوهري ، وهو امر يسود الكتاب اجمالا ، و " لك ان تقول انه في كل مادة لانه كان من همه استيعاب اسما' المحدثين والفقهاء والبقاع ومناقب الاكويبة ونحو ذلك " .

(١) ص ٢١١

(٢) ص ٢٩٨

(٣) ص ٢٩٨

(٤) ص ٢٩٩ .

ويتابع الشدياق قوله : " ولم يهمه استيعاب الالفاظ اللغوية ، نعم ، ان قاموسه اجمع للشوارد والحواسي من الكلام من الصحاح ، الا ان الصحاح اوضح منه عبارة واكثر شرحاً وبهانا " (١) .

ويرى الشدياق ، ان لامناسبة من حيث الفوائد اللغوية والنحوية والصرفية ، بين الكتابين (يعني القاموس المحيط والصحاح) ، " فان القاموس المحيط عطلت عنها الا مالدر " (٢) .

ويذكر الشدياق قول المصنف في درأ مانعه : " وتداروا تدافعوا في الخصومة وتداروا تدافعوا في الخصومة . . . وادراة اصله تداراة " . في حين يقول الجوهري " تداراة اي اختلفتم وتداريتم وكذلك ادراة واصله تداراة ، " فادفعت التاء في الدال واجتلبت الالف ليصبح الابتداء بها " (٣) .

كما عاب الشدياق اجحاف صاحب القاموس لعبارة الصحاح ، ويذكر امثلة على ذلك قوله في ربا " رباهم ولهم صار ربهمة لهم اي طليمة . . . والمربا والمربا والمربا والمرتباً المرلبة " فذكر المرتباً (الكلام هنا للشدياق) من دون الفعل والاولى عكسه ، وعبارة الصحاح ارتبأت القوم اي رتبهم " (٤) ، ومثله قوله في رفا " رفا السفينة كمنح ادناها من الشط والموضع مرفاً ويضم " .

يقول الشدياق " فكان عليه ان يقول رفا السفينة ادناها من الشط كآرفاها لان الضم في اسم المكان يرد من الرباعي حكاه ابن الاثير وغيره ، حتى ان الجوهري اقتصر عليه ، ولهذا قال المحشي السجيب كيف تعرض للمكان ولم يتعرض لاصل فعله الرباعي " .

(١) نفس المصدر ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨

(٢) نفس المصدر

(٣) = =

(٤) نفس المصدر ص ٢٢٨ .

وهذا في "نساء انتساء في المرعى تباعد" و"عبارة الصحاح - كما يقول الشدياق - انتساءت عنه تأخرت وتباعدت ، وكذلك الابل اذا تباعدت في المرعى" (١)

ولم يكن نقد الشدياق مقتصرًا على معجم القاموس المحيط فحسب ، بل كثيرا ما كان ينتقد في ثنايا ابحاثه العامة ، مسائل لم يأنس اليها في المعاجم الاخرى . ومن امثلة ذلك مقال في الصحاح : "فمن امثلة افعال الضبط وقصور التمرين في الصحاح قوله السهاد الارق وهو بالضم" وفي النسخة المطبوعة بطهران بالفتح" (٢) وقوله في موضع آخر من الصفحة :

"غير ان الجوعرى لم يضبط الالفظ بذكر مثالي او بالنص على الحركات خلافا للمصنف وانما اعتمد على مجرد وضع الحركات بخطه كابن سيده والازعري وغيرهما" (٣) وهو ما جعله يخلص الى القول :

"ومن ثم يصح ان يقال ان للقاموس مزية على سائر كتب اللغة الاصول بالنظر الى هذا الضبط" (٤)

هذا ، وللشدياق ملاحظات نقدية اخرى رشحت من نقده الاساسي لصاحب القاموس ، نقوله في معرض المقابلة بين المعاجم القديمة :

"لا جرم ان للصحاح مزية على القاموس في وضع العبارة والاستدلال بالآيات والحديث والشواهد من كلام العرب والقواعد الصرفية والنحوية واللفظية وكثيرا ما ينحو مؤلفه منحى تلميح المركب من الكلام فضلا عن تعريف المفردات" (٥)

(١) نفس المصدر ص ٢٢٨

٢- نفس المصدر ص ٨٢

٣- نفس الصفحة

٤- = =

٥- نفس المصدر ص ٨١

ومثل هذا قوله : " وللصحاح مزية اخرى وهي ان مؤلفه شافه العرب وخطب
كلامهم وكلام الائمة الذين نقل عنهم ، وعلى الترتيب الحسن الذى ابتدعه فهو اول
من رتب اللغة على هذا الاسلوب وبه اقتدى الصغاني وابن منظور والمصنف " (١)

٣- صو الترتيب :

بين الشدياق في مقدمة الكتاب ما اصاب المعجم القديم من خلل واضطراب
سيما في ترتيب المادة ومشتقاتها فخلل من الف في اللغة ، وخطب في خلط الافعال
ومتفرعاتها خبط عشوا . وما زاد الامر سوءا افعال الشراح والمحشين عن ذلك وقضى
نظرهم عنه . ويرى الشدياق ان في كتب اللغة جميعا قديما وحديثا ومطولها -
ومختصرها ومقتورها ^{مستورا} خلط الافعال الثلاثية بالافعال الرباعية والخماسية والسداسية
وخلط مشتقاتها . فرما رأيت فيها الفعل الخماسي والسداسي قبل الثلاثي والرباعي ،
اورأيت احد معاني الفعل في اول المادة وباقي معانيه في آخرها " (٢) .

ويورد الشدياق امثلة على ذلك من الصحاح والقاموس المحيط وتاج العروس

فيقول :

" ففي مادة عرض التي هي في القاموس اكثر المواد اشتقاقا وتشعبا ذكر
الجوهري المعارضة والتي بمعنى المقابلة بعد المعارضة التي بمعنى المجانبية بثلاثة
وثلاثين سطرا وصاحب القاموس اورد احتمل الصيغة اى تقلدها في اول المادة ثم احتمل
اى اشترى الحميل للشيء المحمول من بلد الى بلد في آخرها ، وبينهما اكثر من ثلاثين
سطرا . والشراح اورد في تاج العروس اختلج بمعنى تحرك بعد اختلج بمعنى نكح
بنحو ستة وخمسين سطرا " (٣) .

لذلك ، يرى الشدياق ، انه " اذا اردت ان تبحث في القاموس مثلا عن عرض
عنه لزمك ان تقرأ كل ماورد في مادة عرض من اولها الى آخرها ، فيمربك عرض واعترض
وعارض واستعرض او العكس ثم اسما فقها " ومحدثين وحيوانات وجبال وانهار وحصون قبل
ان تصل الى العرض وربما لم يكن ذكره مستوفى في موضع واحد فتري في موضع ل عرضه وفي
موضع اخر تعرض عنه وهلم جرا " (٤) .

(١) الجاسوس ، الشدياق ، ص ٨ .

(٢) الجاسوس ص ١٠ .

(٣) نفس الصفحة .

(٤) نفس الصفحة .

ومما ذكره الشدياق من نقد في هذا المجال :

أ - ما كان من اضطراب في ترتيب المشتقات ، فهم يبتدئون المادة باسم الفاعل أو المفعول أو الصفة أو اسم المكان والآلة أو المعرب عوضاً عن الابتداء^١ بالفعل أو المصدر . وكقول الجوهري في أول مادة جزر الجزور من الأبل يقع على الذكر والآثي . ثم قال بعد أربعة عشر سطراً : وجزرت الجزور واجترتها إذا نحرتها وجلدتها " ويعلق الشدياق على هذا قائلاً : " فالجزور على هذا مفعول بمعنى مفعول فما معنى ذكره قبيل الفعل " (١) .

ويتابع الشدياق نقده هذا في موضع آخر من الكتاب حاصراً نقده فسي القاموس المحيط لجهة ترتيب المشتقات هذه فيقول :

" ومن خله ان لا يذكر المشتقات باطراد وترتيب فيخلط الافعال بالاسماء والاصول بالمزيدات " (٢)

ثم يقول معلقاً : " والاولى تمييز بعضها من بعض " .

ويمضي مدللًا على ذلك " وربما ذكر في أول المادة احد معاني اللفظة ثم ذكر باقيها في آخرها . كقوله " الحبة واحدة الحبج حبات ، وبالضم الحبة ، وبالكسر بزر البقول والرياحين او نبت في الحشيش صليبر او الحبوب المختلفة من كل شي "

وحبة القلب سويد أوه او مهجته او ثمرته ، ثم قال بعد سبعة عشر سطراً ذكر فيها : التحبب والحبيبة والحباب والحبيبي والحباحب والحبة الخضراء البطم والحبيبة السوداء الشونيز والحبة القطعة من الشي " ومن الوزن في م ك ك والجوهري اورد لها كلها في موضع واحد . وذكر في أول المادة الحبي بالضم الوداد الحباب ثم قال " الحبي بالكسر والحبة بالضم المحبوب " (٣)

ومثله قوله في أول مادة شرف ، الشرف محرقة الملو والمكان العالي والمجد ثم قال (اي صاحب القاموس) بعد خمسة وثلاثين سطراً وشرف ككرم شرفاً محرقة علا في دين او دنياً (٤) .

(١) نفس المصدر ص ١٤

(٢) = = ص ٢٧٥

(٣) نفس الصفحة .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٧٨ .

ب - كما انتقد الشدياق صاحب القاموس فيما ذكره مكررا في مادة واحدة . ومن امثلة ذلك قول المؤلف في مادة "حلا" "حلا فلانا درهما اعطاه اياه ثم قال بعد اسطر وهلاة درهما اعطاه اياه " .

ويملن الشدياق فيقول : " فان قلت ان هذا مشدد ، والاول ثلاثي فلا تكرر قلت " كان عليه ان يعطف الثاني على الاول كعادته ، بان يقول ملاءة درهما اعطاه اياه كحلاة " (١) . وهي على ذلك الكثير من الامثلة التي اوردها الشدياق في النقد العاشر من الكتاب .

ج - وما حسبه الشدياق من الخلل ايضا : تقديم المجاز على الحقيقة ، او المدول عن تفسير الالفاظ بحسب اصل وصفها . حيث يقول في لفظة كتب :

" فان الجوهرى ابتداء هذه المادة بقوله : " الكتاب معروف وصاحب القاموس بقوله : كتبه كتبا وكتابا خطه ، ومثله صاحب المصباح والزخشرى ، مع ان اصل الكتاب في اللغة للسقا . يقال كتب السقا اي خرزه بسيرين ، وهو من معنى الضم والجمع ومنه الكتيبة للجيش ثم نقل هذا المعنى الى كتب الكتاب . وحقيقة معناه ضم حرف الى آخره ، ويتابع قوله : " وانما قلت ان اصل الكتاب للسقا لان العرب عرفت السقا واحتاجت الى الشرب منه والى اصلاحه قبل ان تعرف الكتابة

الى ان يقول : . . . " وقس عليه درس الكتاب ، فان اصله من درس الحنطة ونسخ الكتاب فان اصله من نسخت الشمس الظلي " (٣) .

ويقول في موضع آخر من الكتاب : " غير ان المصنف (اي صاحب القاموس) زاد عليهم كثيرا في هذا النوع (اي تقديم المجاز على الحقيقة) حتى ادته الزيادة الى مخالفة سائر اللغويين " (٤) .

(١) = = ص ٢١٣

(٢) = = ص ١٠

(٣) = = ص ٢١٣ .

ويأتي الشدياق على ذكر امثلة كثيرة ومنها قول المؤلف في فآ :

" الفى * ما كان شمسا فينسخه الظل والغنيمه والخراج والقطعة من الطير والرجوع كالفيضة والفيضة والانفاة والاستفاعة والتحول . . . والفيضة طائر كالعقاب والحين " (١) .

ويرى الشدياق ان حق التعبير كان يستوجب ان يبدأ بالرجوع لان الظل مأخوذ منه . " ألا ترى ان الجوهرى ابتداء هذه المادة بدوله فآ يفي * رجوع واناء غيره رجعه الى ان قال : الفى * ما بعد الزوال من الظل ، وانما سمي الظل فيثا لرجوعه من جانب الى جانب . . . ثم يقول " وعبارة لسان العرب الفى * ما كان شمسا فنسخه الظل ، وانما سمي الظل فيثا لرجوعه او هنا يبدى الشدياق ملاحظة من عدة اوجه فيقول :

- " ان الفى * اصله مصدر فآ * بمعنى رجع ومثله با * ومقلوبة آب .

- " ان المصنف لم يصرح بالفعل مخالف في ذلك الصحاح واللسان وليس في عبارته ايضا ما يدل على كون الفى * مصدرا سوى قوله : والتحول وهي دلالة بعيدة . ان المحشي قال : اقل المصنف الرباعي متعديا ، وذكره الجوهرى ، فقال : فآ يفي * فيثا رجع واناء ، غيره رجعه " (٢) .

هذا بعض ما تناوله الشدياق من نقد للمعجم القديم ، وقد دار - جزء - حول خلل وقصور وايهام القاموس المحيط . اما اقله فقد توزع بين المعاجم الاخرى كاللسان والصحاح والمحكم . . .

وفي هذا الوقت ، كان قد صدر للمعلم طاهر البستاني معجم " محيط المحيط " ومختصره " قطر المحيط " ولما كان الشدياق لم يستطع الحصول على الاول ، في حين وقع بين يديه المختصر ، فقد هب منتقدا - بمرارة - عمل البستاني ، سيما وان هذا الاخير كان قد اعتمد في عظه على قاموس الفيروز آبادي .

(١) و (٢) : نفس المصدر : ص ٢٦٣ .

وقد جرى الشديان في تعقب اثر البستاني كلمة كلمة ، مينا الفلاطه وتوهمه واضطرابه عدا عن هنات التصحيف والتعريف التي فاقت الحصر والتي لم تسلم من غضب الشدياق .

ومما ذكره الشدياق من افلاط البستاني في قطر المحيط قوله :

" قال مؤلف القطر : أب يثب ويؤب أبا وابيا وابابا وابابة هنم بحمله . والشئ " حركه وللسير تهيأ . والى وطنه آبا وابابة (بالكسر والفتح) اشتاق ويده الى سيفه ردها ليسله . الى ان قال : وابت ابابته : استقامت طريقته .

ويقارن الشدياق ، كلام البستاني بما ورد في القاموس المحيط ، حيث يقول : " وعبارة القاموس : اب للسير يثب ابا وابيا وابابا وابابة تهيأ ، والى وطنه ابا وابابة (بالفتح والكسر) اشتاق ، ويده الى سيفه ، ردها ليسله . الى ان قال : اب ابسه قصد قصده ، وابت ابابته ويكسر استقامت طريقته . . . واب هنم بحمله لا مكذوبة فيها ، والشئ " حركه .

ذاب

وهنا يعلق الشدياق ليقونه " فالمفهوم من اصطلاح القاموس بعد ذكره لـ ذاب ابه اى قصد قصده ، ان مصدر اب بمعنى هنم بحملة واحدة هو الاب . وان المضارع مضموم خلافا لترتيب صاحب الجنان (١) ، على انه لم يرف في أبت ، ابابته غير الفتح .

ومن ذلك ، انتقاده له في قوله :

" ابل : الابل الشديد التائق في رعي الابل والشاه " حيث ضبط البستاني ، الباب من الابل بالفتح ، فصوبها الشدياق بالكسر .

ثم احتكم الى النص الاصل في القاموس ، بغية كشف مواطن الضعف اللغوي عند البستاني فيقول : " قال في القاموس : " ابل كُنصر وفرح ابالة وابلا فهو ابل ، وابل حذق مصلحة الابل والشاه . وانه من ابل الناس من اشدهم كالمقا في رعيها . فقوله فهو ابل ، وابل ، الاول اسم فاعل يعود الى وزن نصر ، والثاني على وزن كنف يعود الى فرح ، فهو من اللف والنشر المرتب . وهنا يعلق الشدياق فيقول :

(١) الجنان : اسم الجريدة التي كان يصدرها البستاني .

"فكان هذا المحينطي (اي البستلني) ظن من قول القاموس: وانه من آبل الناس بان اسم الفاعل بفتح الباء . وعبارة الصحاح واهل الرجل بالكسر بأبل ابالة مثل شاكس شكاسة وتمه تعاهة فهو آبل (ككتف) ، وآبل اي حاذق بصلحة الابل ، وهو من آبل الناس اي من اشدهم ، تأنفا في رعيه الابل واعلمهم بها " (١) .

٣- النقد المعجمي عند سعيد الشرتوني :

الحق الشرتوني بمجمعه " اقرب الموارد الى فصح العربية والثوارد " ذيلا ضم اليه مافات في الكتاب او ما كان قد اعمله وذهله في الكلم الوارد في كتب اهل العربية ، كما استدرك به كل مائد عن التدوين مما اطلقت اقلام العلماء من اصحاب هذا العلم ، وهي الضوال التي من الله على المؤلف - كما يقول - باستدراكها على المتقدمين في العلم والزمان .

ومما ينبغي قوله ان الشرتوني قد اهتم من وراء ذلك كله ان يكون مصنفه على الصحيح اجمع من سواء لما نطق به العرب من الكلم الفصح " (٢) . وهو ما استوجب عملا شاقا كابده المؤلف ، وجعله يقوم بمعارضات بين مؤلفه ، من اوله الى آخره ، والاصول المنقحة ، والامهات الصحيحة .

بيد ان ذلك هيا امامه الفرصة النقدية ، لذكر مافات المعجم القديم ، واصلاح هفواته ، حيث عقب المؤلف كل نقل ، يسند من اطم متبع او كتاب معتد " (٣) .

ويقول الشرتوني بعد هذه العقابلات :

"ولقد تبينت بهذه العقابلات ان العهدة في جل ما انتشر من الاغلاط ، انما هي على القاموس المحيط " .

-
- (١) مقالة للشدياق : تحت عنوان " تصويب السهام التفليط على قطر المحيط " .
انظر الجوائب ، عدد ٥٦٤ - ٢٠ ك ١ سنة ١٨٧١ ، وسلسلة الاعداد التي تبدأ بالعدد ٥٦٦ ك ٢ سنة ١٨٧٢ .
 - (٢) مقدمة ذيل اقرب الموارد ، الشرتوني ، ص ٤ .
 - (٣) نفس الصفحة .

ويبين المؤلف ، سبب ذلك في * ان الثقة به (اى بالقاموس المحيط) قد تمكنت من صدور الذين لم يقفوا على الكتب الكبيرة المصححة فقلدوه في معظم ما تساهل فيه من اطلاق المقييد وتقييد المطلق وفيما ضل فيه سبيل الصواب (١) .

ولا نحسب ما ذهب اليه الشرتوني من نقد القاموس المحيط جل عمله الذي اراد به بل كان المؤلف يحسب كل زلة في اى كتاب ، ايا كان مصنفه دونما اعتبار الا للنزاهة في الحكم والخلوص في العمل .

وعلى هذا ، يكون النقد عنده قد اشتمل على اكثر المعاجم القديمة كاللسان والاساس والمصباح وسواها .

هذا وقد وضع المؤلف جداول ناهزت على التسعين في آخر * ذيله * تحت عنوان * تنبيه وتكلمة واصلاح * .

طريقة نقده :

يوضح الشرتوني منهجه النقدي فيما اورده في الذيل او الجداول فيقول :

- * اذا عثرت على فلتة من الكتب الموثوق بها كاللسان والاساس وكان كتابي بريئاً منها ليهت عليها تفادياً من ان يحكم علي بالخطأ وانا المصيب بل تحاي ان يحسب الصواب خطأ والخطأ صواباً . . . (٢) .

- * ان كل ما اسندته في جانب الصواب الى فريتخ او محيط المحيط فانما ذلك اشارة الى وجوب الفحص عنه والحذر منه مالم ير لثقة . . (٣)

- ان كل ما كان قد اراه سيئاً في هذا الذيل فهو من تلك الضوال التي وجدتها بل الدرر التي استخرجتها - كما يقول - من ليجج المؤلفات العربية بعد ان طال على نقدها الامس . . .

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) مقدمة الذيل ص ٤

(٣) نفس الصفحة .

- اما الجدول ، فينبه الشرطوني ان ليس كل ما ذكره فيه بمنزلة واحدة في نظر المنتقد بل بعضها ورد بصورة الاطلاق وهو مفيد . وبعضه ذكر كأنه مسلم موثوق به " مع ان بعض الائمة - كما يقول - انكروه وبعضه ذكر على غير استيفاء " ، وبعضه وقع في تفسير موضعه كالخلط الذي وقع بين مادة فشغ وفتح ، وبعضه وقع الغلط في ضبطه او تفسيره .
- ويعرف الشرطوني مصطلحاته الثلاثة " تنبيه وتكملة واصلاح " التي عنون بها
الجد اول فيقول :

٢ - اما التنبيه : فلتقييد ما اطلق لقول القاموس العصام الكحل ، نقلت العصام
الكحل في بعض اللغات .

ب - واما التكملة : فلما ذكر على غير استيفاء فعمل لم تستوف مصادره ومفرد
لم يذكر كل جموعه مثال الاول . رتك رتكا ورتكا . نقلت رتك رتكا ورتكا
ورتكانا . ومثال الثاني : والشعب الغدير يكون في ظل جبل لا تصيبه
الشمس فيبرد ماؤه ج ثغبان بالكسر والنهم . نقلت ج ثغبان واثغبان وثغبان
الح .
ثم يقول :

او من حرف مشترك لم يحط بمعانيه مثال ذلك (المثما) ايضا الضبع
المنتنة نقلت المثما المرأة القبيحة المسيئة . و - الضبع المنتنة .
او حرف اعجمي لم ينبه على انه معرب لقول (صاحب القاموس) الابرزام
والابرزيم بكسرهما الذي في رأس المنطقة وما اشبهه ، وهو ذو لسان
يدخل فيه الطرف الاخر فكلت المبارة بقولي " معرب " .

ج - واما الاصلاح : فلما وقع خطأ في ضبطه نحو الكسر محرقة الخبز
اليابس والصواب الكسر بفتح فسكون كما في اللسان والتاج .
ويرى الشرطوني لو ان كل كتاب لغة ذيل باصلاح تام لما وقع من اغلاط التأليف
والنطبع وهو ما يراه في الاساس والتاج والصحاح حيث يقول :

• وهذا الصحاح قد وقع في طبعه لغلط عدة . . وهذا اللسان الذي هو اصح ما رأيت من مطبوعات مصر ضبطا ورواية تجد فيه ما يحتاج الى الاصلاح وان كان قليلا بالنظر الى كبر الكتاب * (١) .

ويتطرق الى انتقاد معجم البستاني فيقول :

• راما محيط المحيط فاذا صرفت النظر عما دس فيه من الكلمات العامية بلا تنبيه على عاميتها وافضيت عن جعله جملة من الالفاظ العامية مولدة وعن الحكم على بعض الفصح انه عامي كانت العهدة في سائر لغاظه على القاموس غير ما كان من خطأ الطبع * (٢) .

ويعدد مناحي هذا الغلط الثلاثي :

فمن الاول قوله (اي البستاني) : " الصميلة الحب الذميص الاحمر مسن الحمص " وقوله عريسه فتعريس اوقعه في الارتباك فارتبك * .
ويعلق الشرتوني بقوله : " فهذه الاحرف عامية وقد ذكرها كما يذكر الكلمة الفصيحة " * (٣) .

- ومن الثاني قوله : " العزيمة بمعنى الدعوة الى طعام او فرح من كلام

المولدين " (٤) والصواب انها بهذا المعنى عامية .

- ومن الثالث قوله : " والعامية تسمى الحلم بالمنام وربما قالوا بنام علسي

الابدال " (٥) والصحيح ان المنام بمعنى الحلم فصيح ، وقد ذكره الزمخشري في الاساس قال فلان يرون له المنامات الحسنة .

هذا وقد رصدنا بعض الامثلة الدالة على كل نقد من نقود الشرتوني للمعاجم

القديمة مما ذكره في جداوله السابقة الذكر ، نوردها بشكل منسق خلافا لما هي عليه في الكتاب ، معتمدين مصطلحات الجدول التي ذكرها المؤلف بالشكل التالي :

اس	اساس البلاغة	-
ت	تاج العروس	-
حم	شرح الحماسة	-
ص	الصحاح	-
فج	فريتهج	-
ق	القاموس	-
ل	لسان العرب	-
مح	محيط المحيط	-
مص	المصباح	-

(- ما ذكره الشرتوني في انتقاد اساس البلاغة (اس) (والمطبوع في مصر سنة ١٨٨٢ م) -

صفحة	عمود	سطر	خطاً	صواب
٥٦٢	٢	٤	مقارب الخلق (اس)	مقارب الخطر (١)
٦٢٧	١	١٢	(كتيبة صدأى) (اسرق)	كتيبة صدأ . وهي القياس لأحمر وحمراء (٢) .
٦٤٠	٣	١٨	(رجل مصدم) (مجرب) (اس)	رجل مصدم كمنبر : اى محسب (٣) .

(١) ذيل اقرب الموارد ، الشرتوني ، ص ٤٧٨

(٢) = = = = ص ٤٨٢

(٣) = = = = ص ٤٨٢ .

٢- وما ذكره في انتقاد تاج العروس (ت) المطبوع في مصر سنة ١٢٠٧ ع :

ص	ع	س	خطأ	صواب
٤٢	٣	٣١	(المبهترات) ق ت	ل المبهترات (١)
١٤٤	٢	٣٩	وقيل اى ملك امره واستبد به ق ت	ل و - ملك امره واستبد به (٢) .
٢١٥	٣	٢١	نبات الحقيق ق ت	ل قال الليث نبات الحقيق بتقديم الباء على النون ضرب من التعر والصواب لون الصبيح ^{الطبيخ} ضرب من التعر ردى (٣) .

٣- وما ذكره في انتقاد الصحاح (ص) (المطبوع في مصر سنة ١٢٩٢ هـ) :

ص	ع	س	خطأ	صواب
٢٤٢	١	٣٨	(الحاج) نبت . . الح ص	ل اوردته في ترجمة ح ي ج (٤)
٣٣٨	٢	٣١	(الدواقل) الدواهي بلا واحد ص	كذا وردت في نسخة من ص محرقة والصواب الدفاول كما في جميع كتب اللغة (٥) .
٣٤١	١	٢٧	الدفنى كجمزى . . الخ ضرب من الثياب المخططة ص	قل الدفنى كمرى : ضرب من ضرب من الثياب المخططة (٦) .

(٤) نفس المصدر ص ٥٧

(٥) = = = ٤٦٣

(٦) = = = ٤٦٣

(١) نفس المصدر ص ٤٤٦

(٢) = = = ص ٤٥٠

(٣) = = = ص ٤٥٥ - ٤٥٦

٤- وما ذكره في انتقاد القاموس المحيط (ق) (المطبوع في مشر بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ) .

صواب	خطأ	س	ع	س
في الفم وفي التوب وفي الحجر (١)	الميب في الفم ق	٢١	١	١٨ -١
ل و (بطل) في حديثه كعلم (٢)	و في حديثه : هزل / ق	١٦	٢	٤٨ -٢
(بطن) بالتشديد فلف وانما يقال ابطنت البعير ولا يقال بطنته بطننا وقال الازهرى بطنه بطننا (٣) .	(بطن) و - البعير : شد بطنه ق	٢٣	٣	٤٨ -٣

٥- وما ذكره في انتقاد محيط المحيط (مع) المطبوع في بيروت سنة ١٨٦٩ م ، فكثير جداً منه :

صواب	خطأ	س	ع	س
حظيت بالمهمة (٤)	حظيت مع	٢٧	٢	٢٤٦ -١
البلج والبلج (٥)	البلج والبلج مع	٣٦	٢	٥٧ -٢
ل الصواعق (بالرفع) (٦)	الصواعق (بالكسر) مع	١٨	١	٦٢ -٣

(١) نفس المصدر ص ٤٤٥

(٢) - (٣) = ص ٤٤٦

(٤) - ص ٤٤٦

(٥) - (٦) = ص ٤٤٦ .

٦- وما ذكره في انتقاد الصباح (مصر) المطبوع في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٣ هـ .

صواب	خطأ	س	ع	س
ل ت سفر كئصر سفورا خرج الى السفر (١) .	سفر الرجل هـ سفورا خرج الى السفرق مصر	٣٨	١ ٥٢٠	١-
ق ت ل رجل صفمان وصفماني (٢) .	رجل صفمان وصفماني مصر	٤	٢ ٦٥١	٢-
ت ضبطه من بياي ضرب ونصر وفي ت اقتصر الجماعة على الكسري المضارع فقط (٣)	وفرف الماء بيده شرفنا مصر	٣٤	١ ٨٦٩	٣-

اما ما كان قد اتمه سنه في " الذهب " وعموما قال المؤلف - من تلك الضوال التي وجدها فكثير نورد منه نموذجين على سبيل المثال لقوله في مادة وثق :

قد رأيت متعديا بالي في عبارة وارده في التاج هذا نصها
" من العلماء الموثوق اليهم " كانه على معنى اطمئن اليه .
(اخو ثقة) بمعنى الشجاع الواثق بشجاعته " (٤) .

(١) نفس المصدر ص ٤٧٥

(٢) = = ص ٤٨٢

(٣) = = ص ٤١٦

(٤) = = ص ٤٣٠

وقوله في مادة وجيز،

وجيز من استوجزه استيجلوا، بمعنى حذف ما فيه من الفضول
كاختصره (اللسان في مادة خصر) .

من (الموجزة) الطمئة السريمة اخراج الدم * (١)

(١) - نفس المصدر ، صفحة (٢١) .

الفصل السادس

الدرس البلاغي في القرن التاسع عشر

في لبنان

اندرج البحث البلاغي في القرن الماضي ، عند الكتاب اللبنانيين ، تحت ابحاث الانشاء ، وطرق التعبير وصناعة النظم ، وغير ذلك من المباحث الادبيية العامة ، دون ان ياخذ الكتاب البلاغي اتجاهه المستقل ، او عمله المنفرد ، البعيد عن تداخل علومه بعلوم اللغة والنقد والعروض .

بيد ان العقد الاخير من القرن الماضي ، حفل ببذور الجديد ، والتخطي الجري ، والتأليف الجاد وذلك بأعمال على يد جبر ضومط (١٨٥٨ - ١٩٣٠) ، الذي بذر بذور المذهب الذوقي في البلاغة العربية بكتابه " الخواطر الحسان - نسي المعاني والبيان " (١) و " فلسفة البلاغة " (٢) . وسنفردهذهين الكتابيين بحثا مفصلا .

اما دون ذلك ، فقد ساد القرن جمود رهيب ، انكسبت معه الاقلام ، واجدبت العقول ونضب معينها . وهي ان اعطت - احيانا - فهو نثر يسير ، لا يجرو على تخطي مراحل التلخيص لما كتبه البلاغيون القدامى .

ومن ثم ، فمن النادر ان نلمح كماتبا واحدا في عقود النصف الاول من القرن الماضي ، استطاع ان يتحرر من القيود البلاغية الجافة ان في تأليفه البلاغي وان في اسلوبه الانشائي ، وقد انسحب هذا الركود على العقود الثلاثة من النصف الثاني للقرن التاسع عشر . مما افرق البلاغة واساليب الانشاء والنظم في ليج الصناعة اللفظية السقيمة ، والتزيين البلاغي الفارغ المحتوى .

(١) الخواطر الحسان ، طبعة اولى بمصر سنة ١٨٩٦ ، وطبعة ثانية في مطبعة

الوفاء - بيروت سنة ١٩٣٠ .

(٢) فلسفة البلاغة - المطبعة العثمانية - بمبدا - لبنان ، سنة ١٨٩٨ .

وهذا ماجا* على لسان احمد فارس الشدياق ، احد كتاب العصر ، حيث يشكو من طرز التأليف واساليب الكتاب في زمانه ، فيقول في الساق على الساق :

" ولكن عيها ، فاني ارى اكثرهم قد زاغ عن هذه المحجة ، اذ المؤلف منهم بيانا عويذا كره صيبة احد من العباد في عقله او امراته او ماله اذا به تكلسف لا يراد الفقر المسجعة المرصعة ، وحنين قصته بجميع ضروب الاستعارات والكنيات . (١)

ثم يقول في موضع آخر من الكتاب ، منتقدا بشدة طفيان المسجع على الاساليب التعبيرية : " المسجع للمؤلف كالرجل من خشب للماشي ، فينبغي لي ان لا اتوكأ عليه ، في جميع طرق التعبير لثلاث تنسيق في مذاهبه ، او يرميني في ورطة لامناس لي منها . ولقد رأيت ان كلفة السجع اشق من كلفة النظم " (٢) .

ولو عاد الباحث الى المؤلفات البلاغية - على قلتها - فتتبع اثرها كتابا فكتابا لرأى ان بداية التأليف البلاغي تقترن بالعقود الاولى للنصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اذ اخذت البلاغة شكل كتب صغيرة ، اقرب ما تكون الى الارجيز والمخصصات ، والشروح المدرسية البسيطة ، ووعو ما قام به الشيخ ناصيف اليازجي في اثر كتبه .

ويمكننا ، بنظرة سريعة على مؤلفات الشيخ ، تحديد اتجاهه ، فهو في عمله يقتصر على امتصاص مواهب السابقين ، مكفيا بالتلخيص والايجاز دون ادنى محاولة للتجديد او الخلق . ففي كتاب " عقد الجمان في المعاني والبيان " نراه يعتمد كليا على امهات الكتب القديمة ، يستمد منها جماع مادته ، في الشرح والتلخيص ، وجاء " ايجاد مادة كتاب بلاغي مبسوط يسهل على طلبة المدارس تناوله ، ويقرب الى افهام المبتدئين مبادئ هذا العلم .

(١) الساق على الساق ، ص ١٢٤

(٢) = = = ص ١٢٢ .

ولن نذهب بعيدا في رصد هذه الارجيز ، او الملاحظات ، فهي عديمة الجدوى ، بائسة الهدف ، لا تقوى على اعطاء الدرس البلاغي اى مزيد من الجديدة او الامل في ايجاد سبيل ذوقى .

غير اننا نكتفي بتبيان تاريخ صدورهما ، مع الاشارة الى ان عندهن هذه الكتب قد تخدع الباحث لما لها من فصاحة وايجاز . فيظن انها تخفي وراءها مضمونا يجدر الاهتمام به . حتى اذا ما حصل القارى على احدها وجده كتابا ينير الضحك ، فحجمها بمقدار الكفاية لا تتعدى الخمس عشرة صفحة او العشرين او الثلاثين . وقليل ما تتجاوز الخمسين صفحة . من هذه الكتب :

- الدرر المعلم : ارجوزة مختصرة في البيان تقع في ٣٥ صفحة جمع فيها المؤلف نظما وشرحا الصادى المهمة في البيان ، و فرغ من تبويبها سنة ١٨٦١ ، طبعت في المطبعة المخلصة سنة ١٨٦٨ .

- همد الجمان : جمع فيه خلاصة المعاني والبيان والبديح بين متن وشرح والحق به بحثا هو " نقطة الدائرة " في العروض والقافية . انهاء سنة ١٨٤٨ .

وقد صدر مع ملحقه " دائرة العروض " في كتاب واحد اسمه " مجموع الادب في فنون العرب " طبع سنة ١٩٠٨ ، ثم طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٣٢ و ١٩٤٨ ، على نسط جديد قام بترتيبه الاستاذ لبيب جريديني .

اما المؤلف الثاني ، الذى قام بتكريس النزعة التقليدية ، وربط البلاغة بقيود مباحث البديع الجافة فهو الخورى بولس عواد في كتابه " المقدم البديع في فن البديع " (١) فقد اتجه المؤلف لاجزاء البديعيات التي كانت في بديعية ابن حجة الحموى اتجاها مسرفا ، مبتعدا في عمله ايما ابتعاد عن ينابيع التعابير العربية الاصيلية ، مجددا بذلك ما قام به احمد البرير البيروتى (المتوفى سنة ١١٢٦ هـ / ١٨١١ م) الذى نظم ، في بداية القرن التاسع عشر ، بديعية شرحها مصطفى الصلاحي .

(١) كتاب المقدم البديع في فن البديع بولس عواد ، المطبعة الصومية الكاثوليكية بيروت ، سنة ١٨٨١ .

هذا وقد اخذت بديعية الخوري بولس عواد ، شذل مختصرات مجلطة لاهياة
فيها ولا عدوية . ويمكننا ان نعتبر عمل عواد هذا من قبيل تلخيص ماجا* في بديعية
ابن حجة الحموي . ويعترف عواد بهذا صراحة فيقول في مقدمة الكتاب :

” . . . رأيت ان اصدرني كل باب بيتا من نظم احد الائمة البديعية —
اجرى على اثره بشرح موجز مبين .“

” . . . ولما كان الشيخ صفي الدين الحلبي ، والشيخ تقي الدين المعروف
بابن حجة الحموي ، هما السابقين في هذه الحلبة والقائمين في صدر هذه الرتبة ،
آثرت بذلك بديعية الحموي . . . ولم يكف ان جعلت نظمه لشرحي اماما ، وقوت اثره
ترتبيا ونظاما ، حتى افترفت من خزانته غرقا واستنزفت فرائدها نزفا . . . وحين تم ما تكلفته
والفته . . . سميته المقدم البديع في فن البديع ” (١) .

ومن الطريف ان يمد بولس عواد — كابن حجة وجماعته — البديع ليشمل الصور
البيانية وكثيرا من صور علم المعاني .

كما اخذ يقلدهم في اضافة اشيا* واسما* لا يمكن ان تدخل في المحسنات
البديعية كالقسم والاستدراك والتلفيق . . . والمتبع لفصول الكتاب يجد تسميات
كثيرة لن تعود على علم البلاغة الا بالخلط والتممية والصور الغثة كالجناس الملقق
والعذيل واللاحق والمصحف والمحرّف والمقلوب والنزاهة والتغويف والتشريح والتنكيث
وفير ذلك من الابواب السقيمة .

هذا ، وقد ظهر بعد اربع سنوات من صدور مؤلف بولس عواد ، كتاب بعنوان
” دليل الهائم في صناعة النائر والناظم ” (٢) لمؤلفه شاكر البتلوني .

وقد قسم ^{السنون} المؤلف كتابه هذا قسمين :

القسم الاول : في ادب الكاتب وصناعته وفيه بابان : الاول : في ادب العلم
والتعليم وفيه ستة فصول . والياب الثاني في صناعة الكاتب وفيه عشرة فصول .
القسم الثاني : في شذرات مختلفة من اقوال الكتاب ، وفيه فصول وختمه بخاتمة
وذييل .

(١) من مقدمة الكتاب ، ص ٤ .

(٢) دليل الهائم في صناعة النائر والناظم ، لشاكر البتلوني ، المطبعة الادبية —
بيروت سنة ١٨٨٥ وعوفي (١٩٨) صفحة .

وبنظرة سريعة على فصول الباب الثاني من القسم الاول نجد للفصول

التالية :

الفصل الاول : في اركان الكتابة وقد نقل بتصرف عن المثل السائر لابن
الاشير .

الفصل الثاني : في ادوات الكتابة وقد نقل ملخصا عن العقدي .

الفصل الثالث : في الصلابة اللفظية وهو فرعان :

- فرع في اللفظة المفردة وقد نقل عن المثل السائر .

- وفرع في الكلام وقد نقل ملخصا عن المثل السائر كذلك .

الفصل الرابع : في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر وهو منقول عن ابن
خطيب .

الفصل الخامس : في السجع وهو منقول عن المثل السائر .

الفصل السابع : في الفصاحة والبلاغة ، وهو فرعان :

- فرع في الفصاحة وقد نقل عن المثل السائر .

- وفرع في البلاغة وهو منقول عن عدة كتب قديمة ، وخاصة

كتاب ادب الدنيا والدين ، كما يصرح المؤلف نفسه .

الفصل التاسع : في التخلص والاقتضاب وهو ملخص عن المثل السائر كذلك .

ونحن اذا تناولنا ما جاء في الفصل الثالث من فصوله عن كلامه في قضية

اللفظ تحت عنوان (في الصلابة اللفظية) لوجدناه ينقل عن المثل السائر تفاصيل

الموضوع برمه حيث قسم قضية اللفظ هذه الى قسمين :

- القسم الاول : في اللفظة المفردة ويحتاج في صناعتها الى اشياء ثلاثة :

الاول : اختيار الالفاظ المفردة كما يفعل من يختار اللآلئ .

الثاني : نظم كل كلمة مع اختها في المشاكلة لها ، لثلا
يجي " الكلام قلعا ، نظما ينسب عنيع ناظم العقده .

الثالث : مراعاة الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف
انواعه .

وعده الامور الثلاثة مما يجب على الخليل والشاعر العناية بها . والاول
والثاني هما المراد بالفصاحة ، والثالثة بجملتها هي المراد بالبلاغة .

وكنا نتمنى لو ان البتلوني حاول الاستقلال - ولو قليلا - بشخصيته . لكنه
على ما يبدو اكتفى بالتلخيص والعرض لما جاء في كتب القدامى .

عذا ، وقد ظهر في العقود الاخيرة من القرن الماضي هي بعض الابحاث
البلاغية المندرجة في كتب علم الادب حيننا والسروض حيننا اخر او في كتب الانشأ
وسواها ، دون ان تستقل بذاتها كما هو شأنها في كتاب " علم الادب " - الجز الاول -
للأب لويس شيخو سنة ١٨٩٢ . وكتاب " مصباح الافكار " في نظم الاشعار سنة ١٨٨٨ ،
للمعلم شاكرا شقير وغير ذلك من الكتب التي لم تدفع بالبلاغة الى حيز الدرس الجاد ، أو
المستساغ .

وهكذا ، يبقى لنا عمل واحد ، من كل اعمال المؤلفين في القرن الماضي ، يمكن
لنا ان نحسبه ابتعاذا ذوقيا جديدا ، استنعا به صاحبه ان يتخطى حدود التقليد
والعمل الجاف .

وقد تمثل عذا الاتجاه في كتابين ، صدرتا تبعا للمؤلف جبر ضومط (١) ، هي

(١) جبر ضومط (١٨٥٨ - ١٩٣٠) ولد في برج صافيتا في عكار وفيها تلقى

علومه الابتدائية على يد الدكتور يعقوب صروف ، ثم تعلم في مدرسة عبيه
الاميركية .

ويصتبر ، ضومط ، رائدا من رواد البحث اللغوي في اللغة العربية وعلومها ،
ونشأتها وتحولها . عمل اسادا في الجامعة الاميركية فترة من الزمن ، وهو من
اعضاء المجمع العلمي في دمشق ، وواحد من الذين اضافوا لعلوم اللغة نزعة
فلسفية سيكولوجية تقوم على الاساليب الحديثة ، والخاضعة للتحليل العقلي .
توفي ضومط عام ١٩٣٠ م .

الكتاب الاول " الخواطر الحسان في المعاني والبيان " . حيث استعرض فيه ملامح عامة من فائته البلاغية ، دون إن يقرر نظريته بشكلا ، دقيق ، مكثفيا بطرح بعض الافكار المهمة في المقدمة وثانيا الكتاب .

وسى كتابه الثاني " فلسفة البلاغة " حيث تناول فيه ابحاثا بلاغية ولعلها من خير الابحاث التي اخرجت في لبنان خلال القرن التاسع عشر كله .

وبهنا في الكتاب الاول " الخواطر الحسان " الصادر سنة ١٨٩٦ مقدمته التي حددت طريقة نهجه في الدرس البلاغي ، وكيفية تصويره له .

اما مضمون الكتاب ، فلا حاجة لنا به ، ولغلبة النماذج التطبيقية المبسطة ، عليه ، تلك النماذج المخصصة من ^{البلاغ} الكتاب لطلبة المدارس .

وقد قسم ضومط كتابه هذا الى ثلاثة اقسام : تناول فيها تقسيم الجملة وذكر عوارض تعرض لها ولا جزائها من تقديم وتأخير ، وذكر اوصاف تتصف بها الجملة - خبرية وانشائية . ثم عمد الى فصل دقيق في التصورات والافكار توصل فيها الى معرفة ماهية الجملة .

ومع ان الكتاب مدرسي ، كما قلنا ، الا ان امورا جديرة بالاهتمام ، وردت اثنا كلامه عن اعمية البيان وعلاقته بالمنطق والنحو ، وهو يقول في هذا الصدد :

" لما كان البيان ينظر في الفكر المدلول عليه بالجملة من جهة وفي الالفاظ الدالة من جهة اخرى كانت وظيفته مزدوجة وابحاثه من جهة اللفظ تماس ابحاث النحو وتتصل بها ، ومن جهة المعنى تماس ابحاث المنطق وتتصل بها " . (١)

وفي معرض كلامه على الفصاحة يتناول قضية اللفظ الغريب في الاستعمال فيرى ان القضية محصورة في الفاظ بعينها لا تتعداها في الفاظ الموصوف او الصفة فقط .

ويرى ضومط ، ان الموصوف اسمان :

(١) الخواطر الحسان ، جبر ضومط ، ص ٦ .

٢ - اما " اسم لشيء " موجود مشاهدة عينه كثيرا " واللفظة عنده هنا ،
قلما يصعب فهم المراد بها ، لو بما هو من متعلقاتها ومتعلقات المسمى
بها ، وذلك كمعظم الفاظ اللغة المتداولة المتعارفة .

٣ - واما " اسم لشيء " كان يوجد ثم فقد من الوجود واصبحت مشاهدته
نادرة لانتهاها الا للقلائل ، وهذا ما جعل الاسم غريبا لهدم العهد
بالبيئة الماضية وقلة الفتن لمضمونها وتقاليدها وعاداتها .

" وبالأجمال لم يبقى لنا منها الا اسما المسميات على انقراض اعيانها
او بقولها بصور غير صورها الاصلية في جميع ضروب ادوات الصناعات المختلفة
وانواع المساكن والملبوسات . . . الح . فاللفظة هنا غريبة صعبة منسوبة
بالروحانية لانها اسم لشيء " كان يوجد ، ثم فقد ، كتلك التراكمات الاسمية
للسيف مثلا ، او الليث ، او فير ذلك ما هو موجود في كتب اللغة .

في حين يرجع الكاتب وعدم سهولة فهم المراد من الصفة احيانا ، وغرابة
استعمالها ، الى كون الصفة لا تنطبق على الموصوف ولا تناسبه لا حقيقة ولا مجازا .
ويورد الكاتب امثلة على ذلك ، كلفظة " المبرج " التي وردت في قول رؤبة :

ازمان اهدت واضحا مفلججا ومقلة وحاجها مزججا
وفاجحا ومرسنا مسرّججا

" فوصف الانف ، بـ " مبرج " فير ما نور بالاستعمال ولا ترضاه بداعة او سلامة
المدحوق " (١) .

ويعلق على ذلك بقوله : " ولهذا السبب عينه لم ترد في استعمال البلغاء وكبار
الكتابة والشعراء . . . ويضيف قائلا :

" والذي يقضي بالعجب ان كثيرين يزعمون ان امثال هذه الالفاظ ينبغي
المحافظة على قد استعمالها واستعمالها ، دون غيرها من الالفاظ المتعارفة والمستعملة
الان ، لما هو مألوف ومشاهد في وقتنا الحاضر . واعجب من هذا انهم قد يطلقونها

(١) الخواطر الحسان ، ص ٩ .

في الاستعمال من غير قيد يقيد ما المراد منها على اليقين أو ما يقرب منه " (١) .
 وكان الكاتب ، قد آمن الانفذاك عن التقليد المتوارث ، فينزع الى تحديد
 رايه في هكذا استعمال بجرأة فيقول :

" وعليه ، فاذا استعمل كاتب ما يشاكل هذه اللفظة ، قلنا انها غريبة

الاستعمال وبعبارة عن المألوس عند اللسان . وحكمنا بعدم فصاحتها ، بل حكمنا
 (اذا كانت على هذه الدرجة من الغرابة) برفض استعمالها وعدم سوافيته اصلا " (٢)

اما نوله حول البلاغة ، فانه ينقل شيئا يتصل بقتضى الحال عن عقود الجمال
 للسيوطي ، ثم يعقب عليه بملاحظات دقيقة تتجلى بدقة فهمه ووعيه قيمة الدرس البلاغي ،
 وهو ما سيفضله بنقل منهجي في " فلسفة البلاغة " .

ولنسمعه في تعليقه على السيوطي ، حيث يقول :

" على اني أرى ان ما ذكره هذا الكاتب الشهير ، انما هو شروط لجمال لا يد منها
 في الكلام البليغ . والبلاغة وان كانت تقتضيها جميعها ، هي امر آخر من ورائها ، مرجعه
 الى امر في الذهن قائم بارتباط الافكار بعضها ببعض ، وسرد ها على وجه مخصوص يفهم
 منه كنه المراد والمحيطات به ، مما يريد المتكلم او الكاتب على اخصر طريق واسهل
 بحيث لا يتكلف ذهن السامع او القارى شيئا من العناء ، واجتهاد الفكر ، مما يمكن ان يكون
 في غنى عنه ، ولا يضيع عليه ايضا ، مع هذا ، شي من ايجاد الاثر المقصود على اشده
 في النفس . اذا كان المقام خطابيا ، او التمكين (مسع) الوضوح اذا كان المقام علميا
 او فلسفيا ، وهذه الغاية تقتضي بدلها الشروط التي ذكرها العلامة السيوطي كما
 قد بسنا " (٤) .

وعنا يربط ضومط هذا الكلام الذي ذكره حول البلاغة بفكرته التي اشار اليها
 في وجوب النظر الى جميع النص . وهي فكرة جديرة بالاعتماد ، وبخاصة ، اذا عرفنا
 ان ابحاث البلاغة توجه عنايتها في الدرجة الاولى الى جزئيات لا تتمدى الجملة .

(١) الخواطر الحسان ، ضومط ، ص ١٤

(٢) = = = ص ١٥

(٣) لعلها (من)

(٤) خواطر الحسان ، ضومط ، ص ٢٢ .

وعو يقول في هذا الصدد :

"والحق ان متعلق البلاغة انما هو في المقالة او الكتاب برمه ، لاني الجملة المفردة او القطع الواحدة • ولهمون الذائب بليغا لا بد من ارتباط الجمل بالقطعة والقطعة بالمقالة او الفصل ، والفصول بابحاث الكتاب على الجملة ، ثم لا بد من ان يكون الارتباط والترتيب مخصوصا على ما ذكرناه ، ويؤدي الى النهاية التي اشترنا اليها •

ثم يقول :

• ولا يخفى ان الارتباط يكون باعتبار الزمان والمكان ، او الاستصحاب والعلة والمملول والنهاية والصورة والمادة والوشم والتخيل الى غير ذلك •

"والكتاب البليغ من احسن جميع هذه الاعتبارات ، وربط بين جملة وقطعه وفصوله على ما يقتضيه الحال بانسب الروابط وادلها على الغرض المقصود بجميع اعتباراته ومحيطاته عليها اشترنا •"

ودليل المؤلف في " ان متعلق البلاغة انما هو في المقالات المستقلة بموضوع بخصوصه ، او في الكتب المشتملة على مسائل علم من العلوم ، او فن من الفنون بجملته ، انما هو ما نراه من تعدد المؤلفين والكتاب في الموضوع الواحد ، وتفضيلنا ما يكتبه الواحد على ما يكتبه الاخر ، على حين يكون كل من الكاتبين اماما في اللغة • واذا تتبعنا ما كتبه لم نجد في احد عما نقصا او اخلا في المقامات التي ذكرها العلامة السيوطي من توكيد وتركه ، وذكر وحذف • وتلخيص وتعريف ، وفصل ووصل ، وايجاز واطناب • بلى ، قد نرى بعض الاختلاف بين ايجاز واطناب ، الا انا نحكم بالذوق ان ليس شي • منهما بذاته (د ا ع) (٢) الى الحكم ببلاغة المقالة او الكتاب ، بل قد نكتفي بايجاز الواحد ولا ننكر اطناب الاخر ، مع بقاء الحكم بان هذا المؤلف ابلغ من ذاك • وليس هذا الا لاحكام الارتباط بين قطع هذا المؤلف وفصوله دون ذاك ، وترتيب مخصصه في هذا دون ذاك يكون معهما الكتاب الذي الفه زيد ابلغ من الكتاب الذي الفه عمرو ، وبالضرورة اكثر قبولا منه عند القراء ، وواقع في نفوسهم " (٣) •

(١) الخواطر الحسان ، ص ٢٢ ، ص ٢٢

(٢) هكذا في النص ، والاصح (د ا ع)

(٣) الخواطر الحسان ، ص ٢٢ - ٢٣ •

هذا ويتطرق المؤلف تحت عنوان "الايجاز في المقالات والرسائل" الى ذكر الايجاز في المقالة ، اى الى تناول العمل الادبي كله ، بايجاز شديد ، لانه معنى هنا كالقداس بالايجاز في الجملة ، فيعتبر " هذا النوع من الايجاز هو العمدة وعليه مدار البلاغة في الحقيقة ، والفرق بينه وبين ما امرنا هونسي الجملة الواحدة ، بمعنى ان تخلو من كل كلمة يمكن الاستغناء عنها وهذا في المقالة او الرسالة بمعنى ان تخلو من كل جملة يمكن الاستغناء عنها في كل جملة من جملة على جدتها ان تخلو من كل حشوا فائدة منه " (١) .

اما كتابه (فلسفة البلاغة) الصادر سنة ١٨٩٨ فهو من خير الابحاث البلاغية درسا وتطبيقا التي اخرجت في لبنان خلال القرن التاسع عشر كله . والكتاب ، يمثل خطوة تجديدية في الدرس البلاغي ، بعيدة كل البعد عن التقليد الاتباعي ، ومهما قيل في امر افادة المؤلف من اراء الكتاب الاجانب كـ " هرسرت سبسر " و عوما اشار اليه المؤلف نفسه ، (٢) فان تطبيق مبدأ عام ، وهو مراعاة ذوق السامع ، على ابحاث البلاغة العربية كلها في شكل نظرية شاملة ، تناولت مبدأه في تسمين :

- الاول : يرجع فيه ابحاث البلاغة الى فكرة الاقتصاد على انتباه السامع .
- والثاني : يرجع فيه ابحاث البلاغة الى فكرة الاقتصاد على متأثرة السامع .

لما يسترعي الانتباه ، ويدعو الى التقدير ، وبخاصة اذا عرفنا ان ضومط قد اجاد هذا التطبيق اجادة تلم عن رسوخ قدمه وتفهمه العميق لجزئيات تلك الابحاث التي عرضت وكتابتها ، وعلى انه يرتكز في ذلك كله على الذوق والبرهان العقلي حقا ، كما ذكر في كلامه على ايجاد مبدأ عام تستند اليه جميع قواعد البلاغة .

" واذ لاحظنا ان هذا التطبيق عربي في جميع اعطائه واقسامه وانه تناول البلاغة في دائرتها العربية التي لاتعدو الجملة ، وان اتخذ مبدأ عاما واحدا في ادارة القول حولها ، كصنيع اصحاب النظريات ، من الفرنجة ، او حاول مرة فسي

(١) ص ٢٤ ، خواطر الحسان

(٢) فلسفة البلاغة ، ص ٨٨ .

كلامه على تنسيق الجمل في القطعة ان يعدو دائرة الجملة مكثراً ، فان افادة صاحبه من مصادر اجنبية غريبة لا تقلل من قيمته ، بل هي تدل على ما يجب ان تكون عليه العلاقة الثقافية بيننا وبين الغرب ، حين نريد تطعيم افكارنا بشي من افكارهم ، والتعبير عما في حياتنا من تيارات مختلفة * (١) .

ولم ينس ضومط في كتابه هذا فكرة مطالعة كتب البلغاء من العرب القدامى فقد عدّها مهمة لدارس البلاغة ولمنشئها معا " وما قدمنا ما قدمناه الا تنبيهاً لك على اهمية مطالعة كتب البلغاء والنظر فيها نظر مراجعة وتأمل حتى لا يفوتك شي من معانيهم ولا من الفاظهم وعباراتهم ولا من الاساليب التي يتوخونها للوصول الى مقاصدهم . فانك اذا لغفت ذلك واعتمدت على مجرد معرفة اسباب البلاغة والمبادئ التي ترجع اليها في كتب القوم لم تفدك هذه المعرفة " (٢) .

وقد بلغ من شدة التنبيه للمبدأ العام ، الذي طبقه على ابحاث البلاغة ان حاول تطبيقه كذلك على اطراف من الشعر ، وبخاصة ماراه من فروق بين الشعر والنثر (٣) ، فكان في ذلك ملحقاً الشعر ، والشاعرية والفرق بين الشعر والنثر بالبلاغة .

وعلى هذا ، يكون ضومط قد حدد الغاية من كتابه في اهتمامه لقوتسي السامع اذا سمع العبارة الكلامية ، قوة لفهم او الادراك ، وهو مدار القسم الاول حيث ارجع ابحاث البلاغة الى فكرة الاقتصاد على انتباه السامع ، وقوة للتأثير والانفعال ، وهو مدار القسم الثاني الذي اراد فيه ارجاع ابحاث البلاغة الى فكرة الاقتصاد على متأثرية السامع .

ويرى ضومط ان الموضوع لا يوفى حقه " اذا اغفلنا الكلام عن الاقتصاد على المتأثرية ، لان الاقتصاد عليها ان لم يكن اهم من الاقتصاد على انتباه السامع فهو مساو له " (٤) .

(١) تاريخ النقد في لبنان ، هاشم ياغي ، ص ٢١٥

(٢) فلسفة البلاغة ، ص ١١ - ضومط ،

(٣) = = ، ضومط ص ١٢٥

(٤) = = = ، ص ١٤٣ .

ولمزيد من التيقن في العمل التطبيقي ، يعمد ضومط ، الى جلب شواهد منتقاة في التعريف البلاغي ، تؤكد ماوصل اليه من فهم خاص وتدعم نظريته الذوقية هذه .
أفلا ان يتوصل على اضوائها الى دعم نظريته الذوقية هذه ، و" الى مبدأ البلاغة وضابطها الكلي الذي تتفرع عنه جميع قواعدها " (١) فيذكر ما قاله عبد الحميد بن يحيى من ان البلاغة " تقرير المعنى في الافهام من اقرب وجوه الكلام " ثم ما قاله بعضهم من انها " التقرب

من البصيدة ، والتباعد من الكلفة والدلالة بقليل على كثير " وما قاله ابن المعتز من ان " البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام " وما قاله احدهم من ان " البلاغة ايجاز في غير اعجاز واطناب في غير خطل " وما قاله اليوناني والفارسي وغيرهما من تعريفات لا تبتعد عن الغاية المرجوة من الاختيار الذي حدد الكاتب مداره العام وما يتحقق ونظريته المذكورة . وهذا ما اتضح من استنتاجاته حيث قال : " فاذا تأملت هذه الاقوال ، والتعاريف وجدت من ورائها جميعا هذا المبدأ وهو :

" الاقتصاد على انتباه السامع " ويفسره بقوله : " بمعنى الاتجى "الذهن في انتقا مفردات جملك ولا في تنسيقها وسائر ما يتعلق بها الى صرف ما هو في غنى عن صرفه من قوة انتباهه لا ادراك المعنى المقصود بها " (٢) .

وعلى هذا فاللغة عنده " آلة لنقل الافكار " (٣) يصدق عليها " ما يصدق على الآلات الميكانيكية من انه كلما كانت اجزاؤها ابسط تركيبا واتقن ترتيبا زادت فاعليتها وانتفع من القوة المستخدمة هي في نقلها وايصال اثرها . وكلما ضاع من القوة فيها اما لكثرة اجزائها او لعدم المناسبة بينها او لاخلال في وضعها وترتيبها نقص على نسبة ذلك من تأثيرها ونتيجتها " . فلا يكون للقارى " او السامع من ثم ، في كل هنيهة مسينة الا مقدار معين من قوة الانتباه ، وهذا المقدار لا بد من صرف جزء منه في سماع الكلمات واحضار صور الصائبي الموضوعه بازائها لا بد ايضا من صرف جزء آخر منه في ترتيب تلك الصور بحسب مالها من العلاقات بعضها ببعض ، وما بقي من تلك القوة فينفق في تحقيق الفكر المودع في الجملة

(١) فلسفة البلاغة ص ١٢

(٢) = = ص ١٢

(٣) = = ص ١٣

وتثبيته في الذهن " وعليه فبقدر ما يزيد هذا الباقي الاخير تزيد صورة الفكر وضوحا ورسوخا في الذهن فيكون من ثم اثره في تحريك النفس اقوى وافعل ايضا " (١)
ويستغرق ضومط في شرح هذا المفهوم الذوقي للبلاغة ، حتى يستوفي المعنى في قول يشتمل على ما وضعه في الكتاب من فصول ، دون ان يغفل عن دور البلاغي في تنسيق تلك الصورة من الانشاء او هندستها ، يقول في هذا : " لا بد لمهندس البلاغة من النظر في آتة الكلامية والتحول بقدر الامكان في ازالته كل ما ينقص قوة كلامه وشدة تأثيره ؛

- ان من جهة الالفاظ اولا
- وتخصيق هذه الاجزاء ثانيا
- ثم تنسيق الجمل التي لها مناسبة وتعلق ببعضها البعض ^{بعضها} ~~بعضها~~ ثالثا
- وحسن استعمال التشبيه والاستعارة وغيرهما من انواع المجاز رابعا

فان في كل ذلك مجالا للكاتب ان يقتصد على انتباه السامع وبالتالي ان يكون لكتابه وقع في النفوس وتأثير فيها وفقا لما تقتضيه البلاغة " (٢)

انطلاقا من هذا النسق السام ، يشرع ضومط في بحثه ، عاقدا فصله الاول على " الاقتصاد على انتباه السامع في اختيار الالفاظ " (٣)

فينبه الى طبيعة انصراف الانتباه حين التلقي ، فيرى انها تتوزع بقوتين ، تصرف منه قوة على تلقي اللفظ وادراك مقاطعه ، وقوة ثانية على استحضار معناه لدى الذهن

وعذا ما يستلزم بالضرورة ، سهولة اللفظ وقلة الحروف في الكلمة ، لينصرف الانتباه من ثم ، الى استيعاب المعنى المراد منها .

ثم ينتقد ما ذهب اليه البيانيون ومن بعدهم الشعراء المتأدبون ، من تشدد على رفض استعمال الفاظ كالمستشزرات والنقاج بدل المرفوعات والعذب وعلى من يأتي بالطلخاء دون الحمقاء " (٤) مبديا ثلاث ملاحظات مهمة :

(١) فلسفة البلاغة ، ص ١٣

(٢) = = ص ١٣ و ١٤ ص ١٤

(٣) = = ص ١٥

(٤) = = ص ١٦

* اولا :

اذا لم يكن لك من اللفظ ما يؤدي المعنى الذي تقصده الا
مثل هذه الالفاظ اصبح من باب الضرورة استعمالها بخلاف
ما اذا كان هنالك لفظ ، كالجرشي والنفس مثلا فان العدول
الى استعمال الجرشي بدلا من النفس ضرب من العمي او
التعمير .

* ثانيا :

لا ينبغي ان يلتبس عليك الفرق بين جزالة اللفظ وعسر التلفظ ،
او كراهته في السمع فتحسبهما من باب واحد ، فانهما متباينان جزا
كخلق الله الانسان ضعيفا ، وبراء . * والفارق بين جزالة
اللفظ وبين كراهته في السمع انما هو حسن الذوق^(١)

* ثالثا :

اذا كان المقام مقام استعظم او مقام مدح او ذم او مقام تعني
او ترجي (١) او تأسف ، او تحسر واشبه هذه من الانفعاليات ،
فاختيار المفحمة من الالفاظ على الرقيقة والكثيرة المقاطع على
قليلتها اولى وانسب ولا سيما اذا كانت تلك الالفاظ هي
العمدة في الدلالة على تلك المعاني المصوقة لها الجملة * (٢)
ويذكر امثلة توضح ما ذهب اليه ، نقول المتنبى :

يطأن من الابطال من لاحتنه ومن قصد العران مالا يقصوم *

* فانه لو قال لا يدسن من الابطال بدلا من يطأن ما كان لها من الوقع ماتراه
للفظة يطأن مع ان الدوس هو الوط * الشديد * (٣) .

ويعقب ذلك بقولة دقيقة :

* وربما يخال في اول الامر ان هذا مناقض لما قدمناه من مبدأ الاقتصاد على

انتباه السامع .

(١) هكذا في النص . وهي (تمن او ترج)

(٢) فلسفة البلاغة ص ١٧ .

... الا ان النقد الصحيح يري المتأمل انطباق كل ذلك عليه وسببه ان الالفاظ
المفخمة لها دلالتان ، دلالة (بوضعها) * (١) او بجوهرها على المعنى المراد ،
ودلالة بطبعها او بصفتها على المبالغة في ذلك المعنى .

اذن يتنبه بوضع اللفظة الى معناها ، وينفس ذلك الوقت يتنبه بفخامة
لفظها الى فخامة المعنى المدلول عليه بها او المبالغة فيه ، وفقا لما يريد المتكلم
ومن الواضح ان في ذلك اقتصادا .

وما يصدق على الالفاظ المفخمة يصدق على الالفاظ الكثيرة المقاطع ، فانه
يتهيأ معها للمتكلم ان يكيف صوته بها بما يصور العظمة او المبالغة * (٢) .

ويفصل الكلام بعد ذلك في المعاني التي تقبل المبالغة والمعاني لا تقبلها ،
فيحصر المبالغة في الذهنيات المعنوية لاني الماديات الحسية . " فالجبل مثلا
لانه من المعاني المحسوسة لا يقبل المبالغة باللفظة الطبيعية ، لان لكل جبل
علوا معينا واتسافا معينا ، وكذلك الفاقة . . بخلاف الحزن والفرح فانهما نوعان
من الوجدانيات يتفاوت كل منهما في الشدة والضعف * (٣) وما كان من هذا القبيل
كالتضي والترجي والتندم .

ثم يوضح انه يفضل في انتقاء الالفاظ ، المؤلف على غير المؤلف ، من حيث
المأنوس والمدلول في التعبير بين الكتاب والقرا .

— اما الفصل الثاني * الذي عقده حول الاقتصاد على انتباه السامع في وضع
الالفاظ في الجملة * فأهم ماورد فيه ، تلك الملاحظات التي ابداهام بينها بامثلة
من الشعر والنثر من وجوب تقديم الصفة على الموصوف لطبيعة العلاقة في القيود
والقيادات المفردة . يقول : والذي يزيد الاثثة اليه : انما هو ذكر بعض ملاحظات
اذا نحن راعيناها كما اقرب الى الاصابة في ترتيب العبارة اللفظية بحيث نطبق على
الصورة الذهنية .

واول ما نبدأ به القيود والقيادات المفردة .

(١) مودت خطا في النص ، (بوضعها)

(٢) فلسفة البلاغة ، ص ٢١

(٣) = = ، ص ٢١ .

ومنها الصفة والموصوف (وليست الصفة النحوية فقط ، بل ما يتون قيدا للموصوف يبين على الحقيقة صفة من صفاته ، او حالا من احواله المعنوية) (١)

وبينا لما ذهب اليه من القيود والقيود المفردة ، ومنها الصفة والموصوف لها طبيعة توجب تقديم الصفة على الموصوف بقصد : "قائلا" اي التركيبين ابلغ اذا لم يمنع مانع من احدهما : (اقدمت سود الرايات مثلا ، ام اقدمت الرايات السود) فان لفظة (سود) صفة في المعنى للرايات تقدمت عليهما تأخرت عنها .

فيجيب : " قلنا الدليل يرجح الاول على الثاني " وحجته في ذلك لسببين :

اولا " ان الصفة اعم والموصوف اخص واذ اجتمع الاخص والاعم وتساوت في تقديمها وتأخيرها سائر الاعتبارات الاخرى . فالاعم اولى الاخص لانه يهي " الذهن لتصور الاخص .

ثانيا : ان الموصوف لا يدرك الا بالصفة بمعنى ان ما نلاحظه من الموصوف اولاً ، انما هو الصفة كاللون والشكل فتقدم الصفة اذن طبق لصورة الادراك الحقيقية عند الذهن ، فهو اذن ابلغ " (٢) .

ويعد مزيد من الادلة على نظرية وجوب تقديم الصفة على الموصوف ، يخلص ضوابط الى ابداء ملاحظتين مهمتين :

الملاحظة الاولى : " ان اللغة لا تطاوعنا دائما على تقديم الصفة لانها

رسخت على صور وهيئات . ان اقدمنا على هدمها حبا بالاقتصاد انعكس بنا الامر

الى الاسراف ومن ذلك هذه النعوت الجملة فانه لا بد فيها من ضمير يربطها بالنعوت

وهذا الضمير لما كنا قد اكدنا الخصوصية في اللغة وطول الالفة بها ان فزده

الى متقدم اصبحنا لا نلاحظ رجوعه الى المتأخر الا بعد ان يعيننا التفتيش عنه في

الكلام المتقدم .

(١) فلسفة البلاغة ، ص ٣٠ - ٣١

(٢) = = = ص ٣١ .

وفي ذلك اسراف في انفاق قوى الذهن لتغير طائل ، ومعاكسة لمبدأ البلاغة
لانه يزيد على الاقتصاد الحاصل من تقديم النعت فصار اذن من ضرورة البلاغة
ان تقدم المنصوت * (١) .

- الملاحظة الثانية : " ان من الصفات ما يتقدم ادراكها في الذهن على
الموصوف ومنها ما يتأخر . ويمثل ذلك بقوله : " فطول القامة وحسن الوجه . . وما شأن
ذلك من الصفات المقارنة لموصوفاتها هي مما تسبق صورها في الذهن على صور
موصوفاتها " . (٢) .

ومن باب الصفة والموصوف ، الفاظ التوكيد واسما" الاشارة ، فيرى ان الوجهة
الابلاغ تقتضي بان تتقدم على المؤكد والمشار اليه ، كتقديم لفظ التوكيد ، (جميع)
في " خرج اليه اهل اورشليم وجميع الكورة المحيطة بالاردن " . فانها ابلاغ منها
مع تأخيرها * (٣) .

وفي الفصل الثالث ، يتناول ضومط مبحث الفعل وقبوده وسبب ، ليفصل القول
في تقديم السبب الذي من اجله يقع الفعل ، ومتى يتأخر ، ثم في الجرور والمفعول به
وتقديمها ومتى يجوز تأخيرهما ، ثم في تقديم زمان الفعل ومكانه .

ومع ان جل هذه المباحث ، قديم ، فان ضومط يبقى شديد الحذر من ظن ظان
بما اقدم عليه ، وكألف سطوة التقليد مازالت تهدد فوق رأسه ، بدليل قوله : " وفاة
مانقوله ان اللغة قد جرت مع الايام على صور معينة ، ورسخ فيها كثير من تلك الصور
على هيئات اصبح تغييرها صعبا او مستحيلا ، ولذلك فقلما نطمع الان في ان نطابق
دائما بين الواقع المتبع من الاوضاع وبين الاحكام النظرية التي ذكرناها آنفا - من
تقديم القيود على المقيدات مطلقا .

" والمعول عليه عملا انه اذا تهيأ لك من غير كلفة ولا ^{وتيسر} تقيد ان تقدم على الفعل
والموصوف بعض قيودهما او كليهما فقدم ما كتب لك من غير تخوف ولا تخرج فان النظر

(١) فلسفة البلاغة ، ص ٣٦

(٢) = = ، ص ٣٦

(٣) = = ، ص ٣٧ .

المقلي يقضي لك به (١) .

ففي هذا القول ملاحظة جيدة لكنها مرنة تسير في حذر وقلق شديدين .
أما الفصل الرابع ، فمفقد ، الكاتب حول قيمة التنسيق بين جزئي الجملة
المسند أو المسند اليه . ويرى ان تنسيق الموصوف والصفة والفعل ومشتقاته تساوق
تنسيق مفردات كل من المسند اليه والمسند اذا نظر الى كل منهما على حدة ، ثم
ينظر في تنسيق المسند والمسند اليه اذا اجتمعا معا ، ويقول " والكلام هنا ليس
الجواز وعدمه ، بل في اي التنسيقين اكثر بلاغة في جميع المواطن حيث لا يقتضي
استعمال اللفظة وتقاليدها ، الراسخة تقديم احد الجزئين على الاخر .

ويرى ضومط دون ريب ان مقياس البلاغة راجع الى أي التنسيقين اكثر اقتصادا
على انتباه السامع ، وباختصار اي التنسيقين اكثر انطباقا على الصورة الذهنية
المدركة عند العقل (٢) .

منتهيا الى تقرير ان " تقديم المسند على المسند اليه هو الموافق في اغلب
المواقف للبلاغة ولابد البلاغة ، اعني الاقتصاد المشار اليه " (٣) . ملامثا لذلك
بشواهد كثيرة كقول الشاعر اشجع بن عمرو السلي :

نصّر عليه تحية وسلام فيه لاعلام الهدى اعلام
نشرت عليه الارض كسوتها التي نسج الربيع وزخرف الازهار

و (قصر) وهو المسند . لتوجه التفات الذهن اليه ، ذكر اولاً ، بل اقتضت
البلاغة ذكره وحذف المسند اليه ايضا .

" وهذا شأن كبار الشعراء " ، فانك ترى الغالب في (كلامهم) انه يتقدم
المسند على المسند اليه ولا سيما في مواقف التهيج والانفعالات " (٤) .

الا ان ضومط يستدرك ، فينبه الى ان ما ذهب اليه من شرح للقاعدة يعود في
الغالب وليس دائما .

(١) فلسفة البلاغة ص ٤٠

(٢) اي تنسيق المسند والمسند اليه ، وما تكلم عنه في تنسيق الموصوف والصفة
والفعل ومشتقاته .

(٣) فلسفة البلاغة ، ص ٤١

(٤) = = ، ص ٤٤ .

وفي كلامه بعد هذا ، على تنسيق الجملة الشرطية ، يرى ان يتقدم لفظ الشرط على لفظ الجواب ، حتما تقتضيه البلاغة ، وهذا احد الامثلة التي اوردها وانتقدها وفق ما ارتآه ، من اسس سابقة في التنسيق ، فهذا قول الشاعر : (١)

ولو ان ليلي الاخيلية سلمت علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقها اليها صدى من جانب القبر صائح

فلا يرى فيهما سلامة الانشاء لعدم استيفائهما شروط البلاغة في التنسيق وذلك لثلاثة اسباب :

- اولا : انه كان عليه تقديم الحال وهو قوله .
- ثانيا : انه كان عليه تقديم الفعل وهو المسند .
- ثالثا : فيهما لفظه زائدة عن الحاجة وهي لفظه " صائح " (٢) .

ثم يعتمد من ثم الى نثر البيتين امتحانا منه لقيمتهم البلاغية ، انطلاقا من المبدأ القائل " ان شعر ؛ نبليغ لا ينثر " (٣) ولا يرى ذلك في البيتين السابقين ، مما جعله يقرب " انهما لا ينطبقان على القواعد التي مرت " (٤) . ويقابلهما بعد ذلك ، بقول المتنبي : ان كان سرم مقال حاسدا فما لجرح اذا ارضاكم الم .
منتها الى القول بصعوبة نثر البيت : " مهما تكلفت فالبيت اذا نثر لا يمكنك ان تغير اوضاعه كلها عليه واذا ميزتها انقلب الكلام الى الركافة ويعلل ذلك بقوله : لانه (اي المتنبي) قدم الشرط وآخر الجواب ، ثم قدم المسند على المسند اليه في كل من الشرط والجواب .

" ولما كان تقديم الحال (اذا ارضاكم) لا تؤذن باللفظة وضعه اقرب ما يكون لصاحبه . اما تنسيق الجمل المتعددة في القطعة (٥) ، فيقول فيه :

-
- (١) فلسفة البلاغة ص ٥٣
 - (٢) = = ص ٥٤
 - (٣) = = ص ٥٤
 - (٤) = = ص ٥٤
 - (٥) = = ص ٥٥٢

"لنا هنا ملاحظة أخرى خارجة عن تنسيق الجملة الواحدة ، ولكنها غير خارجة عما يوجب البلاغة ، وهي تنسيق الجمل . فلما ان الجملة الواحدة لا يوافق البلاغة فيها أن تنسيق كان ، بل لابد من تنسيق بصور المعنى المراد منها على اخصر طريق واسهله ، (و) (١) هكذا الجمل المتوالية لابد من تنسيقها ، بحيث يكون فهم مجمل التصني^{الخاص} المراد منها يدركه العقل ، مع أقل تعب ممكن ، وهنا لابد من انطباق الصورة اللفظة بكلامية على الصورة المعنوية الذهنية . فان هذا الانطباق هو (كما رأينا) سر من اسرار البلاغة ، بل هو ركنها الذي تستند اليه " (٢) .

وبعد ان يبين هذا القول ويوضحه يستدرك في فصل طويل عنوانه "التنسيق القريب والبعيد والمتوسط" (٣) .

أرى يرى ضوط ان التنسيق القريب فطري في الشعراء ، وكبار الكتاب أوغني^{أولى} الاذعان المتوقدة . . ويكثر في كلامهم اذا تحركت نفوسهم وجاشت خواطرهم .

اما ما يريد في التنسيق القريب فهذا " ما تقدم فيه الصفات على الموصوفات ، والقيود على المقيدات ، والمسند على المسند اليه ، وفعل الشرط على جوابه ، والجمل الثانوية او شبهها على ماهي قيد ، او شبه قيد له في الجملة الاصلية .

اما التنسيق البعيد فهو ذلك التنسيق الطبيعي عند كافة الناس . ولا سيما اذا لم تكن اذهانهم متنبهة او على شيء من النشاط والارتياح " بدليل انه بديهي عندهم غالب في جميع مناحي كلامهم " (٤) . ويرى بالتنسيق البعيد ما كان على عكس القريب .

اما التنسيق المتوسط ، فيرى انه عمدة الخطباء والشعراء " وعليه معمول الكتاب البلاغيا " .

(١) الواوغير مذكورة في النص الاصلى .

(٢) فلسفة البلاغة ، ص ٥٧ و ٥٨ .

(٣) = = ٦٣ ص ٤

(٤) = = ٦٣ ص ٤ .

"وهو ماتوسط بين القريب والبعيد ، فلا تتقدم فيه القيود كلها على المقيدات ولا تتأخر كلها عنها " (١) .

ويعقب كلامه غذا بامثلة توضيحية ، وشواهد عملية ، تناولها مرتبسة بمجموعات ثلاثية تقابل تنسيقه المتوالي للقريب فالبعيد فالمتوسط ، مقارنا بينها عسى أن ينتهي المطالع بحكم من تلقا نفسه ، " شهادة ذوقه امكن في النفس واقرب الى حكم البلاغة " يقول في أحد نماذجه .

(١) ايها السيد الكريم ، اننا كلنا اجمعين في هذا اليوم المبارك ، بدوام البقاء والترقي ندعو .

(٢) ايها السيد الكريم اننا ندعوك كلنا اجمعون في هذا اليوم المبارك بدوام البقاء والترقي .

(٣) ايها السيد الكريم اننا كلنا اجمعين ندعوك في هذا اليوم المبارك بدوام البقاء والترقي .

ثم يعلق بقوله : " رتب كل صورة في بابها على افضل ترتيب تراه فيبقى الحال على ماترى امامك من ان الصورة الثالثة اسهل فهما والظن في النفس موقعا " (٢) .

وفي فصل واسع يورد ضومط رأيه في انواع المجاز ، ويبين " انها انما يحسن وقمها اذا انطبقت على مبدأ الاقتصاد " (٣) .

ويعالج في انواع المجاز :

١ - التشبيه (٤) : حيث يوضح ان التشبيه في كل صورته العالية الواقعة

مواقعها فيه اقتصاد علم ، انتباه السامع ، ويرى ان تقديم الشبه به ابلغ الا اذا " لم يعارض في التقديم مانح " (٥) .

٢ - ترشيح التشبيه : وهذا يبدو واثرا نقله عن الفيلسوف " هربرت سبنسر " فيقول

معلقا على قوله له :

-
- (١) - ٢ و ٣ ص ٦٤
(٢) فلسفة البلاغة ، ص ٦٦
(٣) = = ص ٧٣
(٤) = = ص ٧٣
(٥) = = ص ٨٥ .

وقد تغالى الفيلسوف هيربرت سينسر في مدح هذا الضرب من الكلام ، لما فيه من الاختصار والاقتصاد على انتباه السامع ، وذكر ان من احسن من اجاد هذا النوع من العبارة امرسون للكاتب الاميركاني الشهير ريموند في خطابه الاول من الزمان . تلك القطعة

وقد اورد الفيلسوف الانكليزي/شاهدا ، الا انها لما كانت عريقة في البلاغة الانكليزية تركت ترجمتها مخافة ان اخرجها عن صورتها الاصلية . ولكنني رأيت قطعة في الجزء الرابع من احيا علوم الدين للامام الغزالي ، هي في حسن استعمال هذا النوع اعلى طبقة من قطعة امرسون كما يتحقق ذلك لعارف بالانكليزية والعربية اذا قابل بينهما * (١) .

هذا ، ويعني ضومط بترشيح التشبيه ، ذلك الضرب من الكلام الذي يبدأ به الكاتب بالتشبيه بذكر طرفيه ثم يوهم تناسي احدهما واكثر ما يكون المشبه ويأخذ في ذكر احوال المشبه به ، كأن ليس في الكلام غيره * الا ان هذه الاحوال يلحظ العقل عند ذكرها ان لها ما يقابلها في المشبه * .

فقول احدهم " فمثال المال مثال الحية التي فيها تريق نافع وسم نافع فان اصابها العقزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها - النافع كانت نعمة ، وان اصابها السوادى الضرفي عليه بلاء وهلاك " (٢) .

فقد ذكر المشبه (المال) والشبه به (الحية) ثم تناسى المشبه واخذ يذكر ما يختص بالمشبه به * الا ان العقل يلحظ ان هذه لها احوال تقابلها في المشبه * .

٣- اما في كل من الاستعارة والمجاز المرسل والكناية ، فهو يسعى نحو توضيح سر البلاغة مرجعا اياه الى الاساس الذي بني عليه كتابه وهو الاقتصاد .

ملحق القسم الاول

وقبل ان ينتقل ضومط الى القسم الثاني من مبدئه العام في ان البلاغة تكمن في الاقتصاد على متأثرية السامع ، يعقد فصلا حول الشعر ، متناولا فيه اربعة مباحث هي على التوالي :

(١) فلسفة البلاغة ، ص ٨٨

(٢) ص ٨٩ .

١- ماهو الشاعر (١)

٢- تحديد الشعر

٣- ما الذى يدخل في صناعة الشعر ويمكن للشاعر اعتماده على انه من

مواد صناعته . (٢) .

٤- لماذا الشعر ابلغ من النثر .

ونورد هنا رأيه في الشاعر لما فيه من ملاحظة واعية بالعمل الشعري ودور

الشاعر . حيث يرى ان الشاعر هو من "يشعر بما لا يشعر غيره من المنسبات بين

المعاني" ، وبين هذه "وبين العبارة الدالة عليها" ، فضلا عما يشعر به من مناسبة

المعاني وعبارتها لمقتضى الحال في الزمان والمكان كما عليه ان يشعر بالمشابهة

حيث لا يرى غيره الا المنافرة والمضادة .

"وبعبارة اخرى نقول : ان الشاعر يرى نفسه في الطبيعة وما فيها من

صور الموجودات ، ويرى الطبيعة تتخيل في نفسه بصورة الاحساسات والانفعالات

ليس بين صور هذه في نفسه وصورها في المرآة . الا ان هذه محسوسة بالحس

الظاهر ، وتلك من المعاني والوجدانيات " (٣) .

ولعل اهم ماورد في هذه الطحق حديثه عن الشعر "ولماذا كان ابلغ من

النثر" (٤) ويجيب على ذلك برجوعه الى مبدئه العام الاول وهو الاقتصاد على

انتباه السامع "مبدأ البلاغة الاصلي" .

فيقول : " ان الاقتصاد في الشعر اكثر مما هو في النثر ، فلذلك هو ابلغ

واليك بيان ذلك :

" الفارق بين النثر والشعر امران ، احدهما معنوي والاخر لفظي . . اما

" الفارق المعنوي المترتب على طبيعة الشاعر ، وعلى الحالة التي يكون عليها عند

النظم ، فهو قائم بامور ثلاثة يكثر ويزدادها في الشعر اكثر مما ترد في النثر وهي :

(١) ص ١١٤ - د - في الكتاب (١) ص ١٢٨ و ص ١٢١ و ص ١٣٩

(٢) ص ١٢٨

(٣) ص ١٢١

(٤) ص ١٣٩ .

اولا : الایجاز
ثانيا : كثرة التشابه والکنایات وسائر انواع المجاز والاستعارة .
ثالثا : كثرة ورود تقديم القيود على المقيدات .
وهنا يذكر ان الایجاز والمجاز وكثرة تقديم القيود كلها تبين ان الاقتصاد فيها على انتباه السامع اثر من اضوارها .

ثم يوضح بمثالين : ان الفارق اللفظي ، وهو الوزن بين الشعر والنثر ، فيه اقتصاد اكثر * (١)

هذا هو مجمل ما بحثه ضومط ، من مسائل بلاغية ، نظرية وتطبيقا ، وانتقادا في القسم الاول من مبدئه السام اي * الاقتصاد على انتباه السامع * مدار اهتمامه الاول لقوة الفهم او الادراك . اما مدار اهتمامه الثاني المنحصر بقوة التأثير والانفعال عند السامع ، والمكمل لمبدئه السام فقد اجراه حول :

* البلاغة في الاقتصاد على متأثرة السامع * (٢)

ويوضح قيمة ذلك فيقول مهيدا :

* لا يقتصر السامع اذا سمع العبارة الكلامية على ان يفهم معناها فقط ، بل هو يفهم معناها ، ويتأثر بها معا * .

فيه اذن قوتان : قوة للفهم او الادراك ، وهو ما اردنا بانتباه السامع ، وقوة التأثير والانفعال ، وهو ما نريد به بالمتأثرة * (٤) .

ثم يقول : * وعلى ما نرى لا يوفى الموضوع حقه اذا اغفلنا الكلام عن الاقتصاد على المتأثرة لان الاقتصاد عليها ان لم يكن اهم من الاقتصاد على انتباه السامع فهو مساو له * (٥) .

(١) ص ١٤٠

(٢) صفحة ١٤٣ .

(٣) هكذا في النص وهي (للتأثير)

(٤) صفحة ١٤٣ .

(٥)

ويقرر مفهومه الدقيق لهذا المبدأ من خلال ملاحظات أريح يعمله بهـ
ليحسه :

- الملاحظة الاولى : القوة المتأثرة اذا تأثرت ابتداءً بمدرك من المدرجات
فلا بد ان تكون على حالة من القوة ، والضعف هي غير بعد ان تتأثر استثنافاًـ
بمدرك ثان غير الاول .

والبلاغة كما لا يخفى تتوقف على كيفية تأثرها استثنافاً ، فانه ان بقيت التأثيرات
التالية شديدة استمر الكلام على بلاغته ، والا شعر السامع بركاكنه وتبرم به* (١) .

- الملاحظة الثانية : " القوى العقلية والبدنية الفاعلة والمنفعله هي في
حالتها الطبيعية اقوى على العمل بداً منها عليه استثنافاً ، فاذا اشتغلت ضعفت* (٢)

ويستنتج ضومط من هاتين الملاحظتين الاولى والثانية :

* ان علمي الكاتب التحول في كتابته والانتقال فيها من صورة الى صورة في سائر
ما يأخذ به من ضروب الهيئات الكلامية ، لا يطيل في شي* مما يأخذ به من الوصف ، ولا
يكثر من موالاة معنى بعينه من معاني مدح او ذم . ولا يستهويه نوع من انواع مجاز
او مبالغة مهما حسن بنفسه ذلك النوع ، كما انه لا يتكلف ضرباً واحداً من ضروب
المعبارة الكلامية او تنسيقاً واحداً من تنسيقات الجملة ولا سيما في كل ^{سائر} متحرك له
النفس ويهيج من انفعالاتها .

فاذا " وصف فليذكر ان الوصف وان بلغ النهاية في الاناقة والجودة فله حد ،
وكذلك المدح والذم وما اليهما* .

* كذلك فليحرص اذا انساق الى السجع او التوازن او الارسال الا يطيل المسجوع
ولا يكثر من المتوازن ، ولا يستمر على ضرب واحد من ضروب المرسل* (٣) .
ما استنتجهـ هنا من هاتين الملاحظتين على الواقع والمشاهد في النصوص ، فيقول :

(١) ص ١٤٣

(٢) ص ١٤٤

(٣) ص ١٤٧ و ١٤٨ .

" انظر في كتاب الكامل للمبرد ، والمقامات للحريزي ، فان الغرض من الكتابين واحد الا ان القارى لا يمل (من) مطالعة الكامل كما يمل (من) مطالعة المقامات " .

وبعد ان يذكر مزيدا من الامثلة التطبيقية ، يصل الى تعليق حول نص للامام الخفاجي فيقول :

" وليس انتقادنا هنا على الفاظ الامام رحمه الله ، فانها منتقاة ، ولا على معانيه ، فانها واضحة ظاهرة ، ولا على نفس التشابيه ، والاستعارات ، انما الانتقاد موجه الى الاقتصاد على متأثرية السامع ، لان التشابيه والاستعارات (والغرض منها التزيين) كثرت وتوالت بدون فصل ، فاشتدت على القوة المتأثرة حتى فتر من نشاطها " (١) .

- الملاحظة الثالثة : " النفس اذا فعل عليها مؤثران احد عما ضعيف والاخر اشد منه ، وتوالى عليها المؤثران ، الضعيف اولا ، والاشد ثانيا ، شعرت بأثر المؤثرين كل على حدة ، وادركت ايضا نسبة احدهما الى الاخر بخلاف ما اذا سبق ورود المؤثر الاشد عليها " (٢) .

- ويستنتج المؤلف من هذه الملاحظة ^{انتقال} " الانتقال " من الحسن الى الاحسن ومن المنبه الى المؤثر ، ومن المؤثر الى المهيج ومن الواضح الى مادونه في الوضوح " (٣) .

ثم يقول : " واما الخطيبا في المحافل والمنتديات السياسية فمعظم بلاغتهم متوقف على الانتقال من منبه الى مؤثر الى مهيج ، حتى اذا وصلوا الى المهيج اسكروا عن الكلام ، وتركوا السامعين وشأنهم " (٤) . مجتهدا ، على ذلك بنصوص لشكسبير وطارق بن زياد .

(١) ص ١٥٢

(٢) ص ١٤٦

(٣) ص ١٥٣

(٤) ص ١٥٤

- الملاحظة الرابعة : " الانتقال من احد الضدين الى الاخر يظهر

كلا من الضدين في اشد مظاهرها " (١) .

ك " النقطة البيضاء " في الرقعة السوداء " يظهر كأنما زاد بياضها وكذلك

ال سوداء " في الرقعة البيضاء " تظهر كأنما ازداد سوادها " (٢) .

اماما استنتاجه من هذه الملاحظة فيبدو من استهلاله بقول الشاعر :

ونذمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتميز الاشياء

ثم بقوله " كما ان ذكر احد المتضادين او المتقابلين ينبه الذهن لادراك

للمضاد او المتقابل الاخر ، حتى اذا ذكر ادرك العقل صورته على غاية مسن

الوضوح ، فذلك الانفصال المصاحب لذكر احدهما ، يهيئ النفس لمزيد التأثر

من الانفصال المصاحب لذكر الاخر " (٣) .

ففي قول الشاعر :

لستان مابين اليزيدين في الندى يزيد سليم والافربين حاتم
فهم الفتى الازدي اتلاف مالـه وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التتمام اني هجوتـه ولكنني فضلت اهل المكـارم

" مقابلة زادت النفس كرامة ونفورا من الثاني ، وحباً وميلاً الى الاول على

ما هو ظاهر بشهادة الحس والذوق " (٤) .

(١) ص ١٤٦

١٤٤ - ١٤٥

(٢) ص ١٥٦

(٣) ص ١٥٧ .

وفي نهاية حديثه يزيد قائلا ، " ان بين الاقتصاد على انتهاء السامع
وبين الاقتصاد على متأثره نسبة كنسبة الفطحة الى البلافة ، ^{عسى ان}
(كما لا بد في البلافة من مراعاة الصحاح ، هكذا في الاقتصاد على متأثره السامع ^ك
بمعنى لا بد من مراعاة الاقتصاد على انتباهه .

اذا تم للكاتب مراعاة هذين الاقتصادين ، كان كلامه على اعلى طبقة من
طبقات البلافة " (١) .

" وبالاجمال يصدق (^{عظم} الكاتب حينئذ) كل ما يصدق على ^{أهم} الكائنات
الحيّة من ان اجزائها ، على تخالفها (وايجاب) كل منها اثرا خاصا به
هي ايضا كاجزاء البدن الانساني ، كل منها مرتبط بصاحبه على اتم ارتباط
وانفله ، بحيث يتألف من مجموعهما (كما يتألف من مجموع) وحدة كلية فيها
دعشة للمناظرين ، وبجمال فكرة للمتأملين " (٣) .

(١) ص ١٥٩ .

(٢) هكذا في النص وهي (وايجاب)

(٣) ص ١٦٠ .

الفصل السابع

مسائل الصرف والنحوي

القرن التاسع عشر

في لبنان

ظهر في القرن التاسع عشر، كتابان في الصرف والنحو، اثارا عاصفة نقدية عنيفة، كان من نتائجهما ان تحرك البحث النحوي، وانفك من عقال جمود سيطر عليه عدة قرون سبقت بحثنا.

اما الكتابان فهما "غنية الطالب ومنية الراغب لاحمد فارس الشدياق" و "نار القرى في شرح جوف الفرا" لناصر اليازجي.

١- كتاب "غنية الطالب ومنية الراغب" (١) لمؤلفه احمد فارس الشدياق :

يرى الشدياق ان الدافع الذي حدا به الى تاليف الكتاب عو انه لما رأى العربية متشعبة القواعد، مبددة الفرائد، وان كثيرين من ذوى الفهم والقطنة يحجمون لاجل ذلك من تعلمها مع حرصهم عليها وتشوقهم اليها، خلج ضميره، وشغل تفكيره (كلام بلغا) ان يتصدى لتسهيل مصاعبها، وتيسير مطالبتها، في مؤلف خال من التطويل، والتعليل والتأويل. وانه الف لذلك هذه الرسالة السهلة الترتيب، الواضحة التبويب. وانه يضمن للطالب ان يتناول الصرف والنحو في ثلاثة اشهر، وعلى ذلك بعلى، وفصل فيه تفاصيل خاصة.

هذا وقد قسم الشدياق كتابه الى ثلاثة اجزاء: الاول في الصرف والثاني في النحو والثالث في حروف المعاني. وكل منهم مشتمل على عدة دروس فاذا تعلم الطالب منها في كل يوم درسا واحدا لم يمض عليه ثلاثة اشهر الا وقد احرز العلم كله.

(١) كتاب "غنية الطالب ومنية الراغب" للشدياق، مطبعة الجوائب سنة ١٢٠٠

كما يوضح انه استقى مصادره من كتب السلف ، الموثوق بعلمهم وفضلهم على العلوم العربية ، فيصرح باخذه عن شرح الشافية ، والشذور ، وشرح الالفية والكافية ، وشرح شواهد التحفة الوردية وشرح درة الفواص والكليات .

يضاف الى هذه المصادر - جميعا - كتاب " بحث المطالب " للمطران جرمانوس فرحات ، الذي يعود اليه الفضل في وضع الحجر الاول في بنيان الفصحى في لبنان ، في اواخر القرن الثامن عشر .

ورغم ان الشدياق لم يصرح باستفادته من هذا الكتاب ، فاننا نعلم تصام العلم ان جرمانوس فرحات كان مثلا اقتدى به رجال القرن التاسع عشر . حتى ان كتابه " بحث المطالب " صار مميّنا تستقي منه الكتب النحوية عناوينها .

وعلى كل حال ، ما ان ظهر كتاب " غنية الطالب " لاحمد فارس الشدياق ، حتى اثار ضجة في النوادي الادبية ، فهب الشيخ سعيد الشرتوني يخطي " الشدياق في كتاب سماه " السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب " فانبرى الشيخ ابراهيم الاحدب للرد على الشرتوني في كتاب عنوانه : " رد السهم عن التعريب وابعاده عن مرض الصواب بالتقريب " .

ولنستمع الى الشرتوني وهو يحكي لنا اسباب تخطئته للكتاب :

" وانما حملني على تخطئة هذا الكتاب اني لما رأيته قد شحن بالخلل والخلل ، وذهب فيه الفساد كل مذهب وام يثبت فيه برهان ولا نقل ، لم يسعني الا ان انبه على ما فيه من الاوهام والسقطات غيرة للعربية وخشية ان يفشو هذا الداء بين الطلبة ، اعاننا الله واياہ . (١) .

ويحدد الشرتوني - من ثم - طريقة العمل ، في انتقاده للشدياق ، حيث يستند في كل اعتراض على صحيح النقل عن اشهر ائمة العربية . معتمدا في ذلك اوثق الاراء - حسب رأيه - واضع الاقوال في المشهور . " دون ما يقصد به مجرد التعنت من المذاهب المختلفة التي لم يعول عليها الجمهور . (٢) .

(١) كتاب السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب ، لسعيد الشرتوني ، طبع في بيروت بالمطبعة الكلية سنة ١٨٧٤ ص ٩ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٠ .

ويضيف الشرتوني على هذا ، فيقول :

" قبل الشروع في تخطيط الكتاب نقول انه لا بد لمن تعمد الاخذ على احد ان ينظر الى حيثية المأخوذ عليه ثم يعامل على قدر حاله . فمن كان من اهل التدقيق والتحري دقق عليه في المسائل وانعم النظر في كلامه . ومن كان يقذف بالكلام مجازفة من غير روية ولا خبرة اكنى معه بايراد المسائل الباهظة والمأخذ الصريحة دون ما يقصر بابه عن البلوغ اليه . والا كانت التخطيطة تعنتا في غير محلها " (١) .

وعلى هذا يكون الشرتوني قد جرى في تخطيط الكتاب وفق رأيين اعتقد بهما :

اولهما : تشبيهه على ما كان مخلا باصول الصناعة مما يؤدي الى فساد قواعدها وذلك بايراد النصوص الصحيحة من كتب العلماء .

والثاني : ضربه صفحا عما كان مخلا بقوانين التأليف وصحة الايقاع مما يشير الى ضعف الشدياق في التأليف - حسب رأيه - وعدم مرونة على ايراد العلميات .

وينهب الشرتوني الى ابعد من هذا ، فيرى انه لو اراد ان يتكلف الكلام على جميع مواضع الغلط في الكتاب لكان ذلك شيئا مملا ، ان قلما تخلو عبارة عن النقد في وجه من الوجوه " .

ومن الطبيعي ان لا تمر اتهامات الشرتوني دون دفع من لغويين اخرين ، راوا في الشدياق قمة لغوية وادبية لاتجارى . فهذا الاحدب ، كما صرحنا ، يقوم بكتابه " رد السهم عن التصويب " برد افتراءات الشرتوني ، مردلا عليه علمه وسلوكه . ونقتطف من مقدمة كتابه شيئا من هذا الرد ، لنرى منهج الاحدب ، ونقارنه من ثم بضمهج الشرتوني عبر امثلة من كتابيهما .

يقول الاحدب :

(١) نفس المصدر - صفحة ١٠ .

" اما بعد فاني ما زلت منذ شعرت بمبادئ* الفنون ، ووردت من معين سلما لها
ماتقريبه العميون ، اتجنب الدخول في مطاف المناظرين ، واخلد عند قيام حرب المناظرة
على ساقها ان يكون من القاعدين . . .

" وطالما قرع سمعي تطاول قصير الباع ، عريض القفا ، بالتمريض ، ليقع مني
عند المجادلة بجديد الكلام في الطويل المريض ، فكنت اتصام عن سماع الخنا مع اني
اسمع من سمع ، واعرض عن التعرض لاولاد الزنا بما لا يطيب في سمع ، واغضي عن دعوى
كل دعي في الآداب . . . حتى وقفت على اعلان في احدى الجرائد البيروتية ، نشر به
قائله ما يخبث في السمع وتفتيح به الطوية ، يتضمن احداث كتاب باسهال الزمان ، ولين
طبع من نسب اليه حيث انقاد الى التأليف بدون عنان . . . " (١)

ثم يمضي الشيخ الاحدب في الثناء على احمد فارس الشدياق ، شعرا ونثرا
مكبرا ان يناله ناقد لاعلم له كالشرتوني .

وكان ريح النقد هذا قد طابت للنفوس ذلك القرن ، فقام اكثرهم شهرة ،
كي يساهم في هذه المناقشة ، او المباحثة على وجه احق . فهذا كتاب جديس
بسنوان " رد السهم للسهم " يصدره الشيخ يوسف الاسير ، دفعا عن الشدياق ، ودفعا
لادعاءات الشرتوني ، وسنديل نقد الاحدب بشي* مما جاء في هذا الكتاب .

وستناول في الصفحات التالية بعض النقود التي جاءت في كتاب الشرتوني
ثم نعقب ذلك برد الشيخ ابراهيم الاحدب ، وفق توزيع ثنائي ، يعصم البحث من الغرض
التي سادت ردود الناقدين ، مبتدئين - كالعادة - بالنقود الصرفية فالنحوية
مختارين لذلك نماذج من الكتابين .

١- النقد الصرفي :

انتقد الشرتوني ماجا* في " غنية الطالب " في الصفحة ٢٥ ، قول الشدياق :

(١) من مقدمة كتاب " رد السهم عن التصويب وايداده عن مرض الصواب بالتمريض "
لابراهيم الاحدب . مطبعة الجوائب بالاستانة سنة ١٢٩١ هـ . ص ٢ و ٣ .

(وربما جاء يريد وزن مفعلة) من اسم جامد نحو السبعة والمأسدة لمكان يكثر فيه السبع والاسد وقس عليه المبطخة والمقتاة) .

حيث يعلق الشرطوني بقوله : " وهو خطأ " والصحيح ان بناه من الاسماء البامدة مقيس من كل اسم ثلاثي كطالبة وسبعة ونحوهما .

" وان كان الثلاثي مزيدا فيه كفتح حذف الزيادة فيقال متفحة وقس على ذلك " (١) .

ويحتكم الشرطوني الى علماء اللغة لتأكيد ما ذهب اليه فيقول :

" قال العلامة الصبان . . . وقد صافوا مفعلة من الثلاثي اللفظ او الاصل

لسبب كثرة سماه او محلها مثالها لسبب الكثرة (الولد مجبنة ميخلة اي سبب لكثرة الجبن من الحرب وكثرة البخل ولمحل الكثرة مأسدة وسبعة ومقتاة ومعفاة اي محل اكثر الاسد والسبع والقنا والافعى " .

" وقال الامام الهمام صاحب المعنى . . . واذا كثر الشئ * بالمكان قيل فيه مفعلة من الثلاثي المجرد فيقال ارض مسبعة ومأسدة ومذابة وميطخة ومقتاة " .

وهكذا يبيّن الشرطوني حكمه على اعتبار ان عبارة الشدياق يفهم منها القلة مع ان المؤلف لم يعن هذا كما ان البناء غير قياسي .

وقد انتقد الشيخ ابراهيم الاحدب قول الشرطوني هذا بقوله :

" لا خطأ في عبارة المؤلف (اي الشدياق) بل هو المخطئ " (اي الشرطوني)

بادعاء انه مقيس لاني تتبععت كتب التصريف التي بيدي كميزان الادب للعصام والعزى وشرحيه للسيد والسعد والمراح وشرحه ولامية الامثال وشرحها . . . فلم ار احدا صرح بان بناه مفعلة من الثلاثي / مقيس بل الذي رأته في شرح العلامة الرضوي للشافعية انه غير مقيس . ونحو عبارته بعد الكلام على اسم الالة : واعلم ان الشئسي

(١) السهم الصائب ، ص ٢٤

(٢) السهم الصائب ، الشرطوني ، ص ٢٤ .

اذا كثرت في المكان وكان اسمه جامدا فالباب منه مفعلة بفتح الميم والعين كالمأسدة
والمسبعة والمدابة اي المواضع الكثيرة الاسود والسباع والذئاب وهو مع كثرته ليس
بقياس مطرد فلا يقال مضبعة ومقردة ولم يأتوا بمثل هذا في الرياعي فما فوقه نحو
الضفدع ، والثعلب ، بل استغنوا بقولهم كثير الثعالب او بقولهم مكان مشعلب ومعقرب . . .
بكسر اللام في الاول على وزن اسم الفاعل السح . . .

ويتابع الاحدب قوله : " فان كان المؤلف (اي الشدياق) يقول بعدم
قياسيته فحسبه الرضى قدوة مع كون عبارته لاتصح بما ادعاه . واذا كان للمعترض
(اي الشدياق) مأخذ يعتمد عليه يصرح بانه مقيس ينبغي ذكره حسب عاداته عند
اثارة جمجمة بدون طحن " (١) .

اما الشيخ يوسف الاسير ، فقد علق على ذلك بكتابه (رد الشهم للسهم)
حيث قال في هذه المسألة :

" قال صاحب السهم (يعني به الشرتوني) " ومن سقطات صاحب الغنية قوله
في ص ٢٥ وربما جاء وزن مفعلة من اسم جامد نحو المسبعة والمأسدة لمكان يكثس
فيه السبح والاسد وقس عليه .

ونص اعتراض السهم عليه . اقول مقتضى كلامه : ان وزن مفعلة يجي " قليلا من
مطلق الاسم الجامد وهو خطأ ، والصحيح ان بناء الاسماء الجامدة مقيس السح . . .
هذا نص اعتراضه (اي الشرتوني) .

" وجواب (العبارة هنا للاسير) ان هذا الاعتراض يدل على عيب بصيرته
وسوء سريرته وتوغله في جهله . . . وذلك ان اخذ من رب الواقعة في قول الغنية ، وربما
جاء والحال ان رب للتكثير غالبا . . . وعلى فرض انها للتعليل فعلتها من الجامد بالنسبة
للمشتق كضربة ومضربة ومأكلة الى ما لانهاية له . والمشتقة من المشتق لاتكون غالبا
الا لما يكثر ايضا ككتابة لما تكثر فيه الكتابة حتى لو وقف الانسان في مكان وكتب فيه كلمة
او كلمتين . نقلما يقال لذلك المكان مكتبة . وقول السهم : " والصحيح ان بناءه من
الاسماء الجامدة مقيس " يقتضي ان صاحب الغنية قال : انه لا يقاس . وعنى عن قوله

(١) رد السهم عن التصويب ، الشيخ ابراهيم الاحدب ، ص ١٥ .

(اى الشرتوني) وقس عليه * (١) .

- وما انتقد الشرتوني ايضا صاحب "غنية الطالب" ماجا في الصفحة ٢٧

من كتابه ، اذ قال : (وان كانت الهمزة في اسم مؤنث بالالف الممدودة ^{تكتب} واوا نحو حمراوان وسوداوان ولا يجوز فيره) . فيعلق الشرتوني على العبارة الاخيرة بما نصه : " قوله ولا يجوز غيره زيادة في اللفظ ادت الي نقص في المعنى فما كان اجدره بتركها لان القلب في مثل ذلك هو الاعرف . قال الملا جاي رحمه الله ، وربما صححت فقيل حمراآن وحكى المبرد عن المازني قلبها يا ، نحو حمرايان . والاعرف قلبها واوا * .

ويتابع قوله : " على ان السيراني . . . اوجب تصحيح الهمزة اذا كان قبل الفه واو لثلا يجتمع واوان ليس بينهما الا الالف . فتقول في عشوا عشوا ان بالهمز ولا يجوز عشواوان ويجوز الكوفيون في ذلك الوجهين كما افاده الاشموني في شرح الالفية " (٢) .

ويرد الاحدب منتقدا قوله الشرتوني " ان تركها اجدر به لان القلب في مثل ذلك هو الاعرف ، وقد جا التصحيح وقلبها يا " . فيرى ان ما ذهب اليه الشرتوني لا يسلم من اعتراض ، فقول الشدياق " ولا يجوز فيره " هو كقول الصحاح في " ردى " وقد صرحوا بان التصحيح او القلب يا شاذ . قال الاشموني وشذ حمرايان وهاشوران في قاصعا وهاشورا بحذف الهمزة والالف معا والجيد الجرى على القياس قاصعا وان وهاشوراوان * .

ثم يقول في معرض رده على الشرتوني :

" وان كان القياس لا يجوز ما ذكر فكيف يعترض من قال لا يجوز فان اراد المعترض

(اى الشرتوني) بقوله وقد جا التصحيح وقلبها يا انه جا قياسا منع بما نقلناه . وان اراد انه جا شاذ اسلم بدعوى المؤلف . ولا يجوز فيره .

ويضيف : " وقد صاغ اصمل التفضيل بقوله : هو الاعرف من المجهول ، اتباعا

لعبارة الجاي . وقد علمت انه شاذ . فكان الاجدر به ان لا يستعمل ما يعترض به على غيره " (٣) .

(١) كتاب : رد الشهم للسهم ، للشيخ يوسف الاسير ، طبع في مطبعة الجوائب بالاستانة

سنة ١٢٩١ هـ . ص ٢٣ .

(٢) السهم الصائب ، الشرتوني ، ص ٣١ .

(٣) رد السهم عن التصويب ، ص ١٩ - ٢٠ .

٢- النقد النحوي :

وسا انتقد به الشرتوني صاحب "فنية الضالِب" قول الاخير في الصفحة ٢٧ من كتابه حول حذف الخبر (ووجوبا في نحو لولا زيد لهلك عمرو اي لولا زيد موجود . واذا كان الخبر خاصا صح اثباته لقول الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلما يزرى لكنك اليوم اشعر من لبيد)

فينتقده الشرتوني بقوله :

"مقتضى كلام المؤلف صحة اثبات الخبر وحذفه اذا كان خاصا على الاطلاق

كما ترى ، وهو عن الصحة بمخزل .

والصواب ، ان الخبر يعمد لولا يحذف وجوبا اذا دل على مطلق الوجود ،

ويجب اثباته اذا دل على وجود مقيد بصفة .

"ثم صوب التفضيل بما نقله عن الاشموني مما هو مشهور : قال العلامة

الاشموني في شرح بيت ابن مالك :

ويعمد لولا غالبا حذف الخبر حتم وفي نصيبيم اذا استقر

"اي في غالب احوالها ، وهو كون الامتناع معلقا بها على وجود المبتدأ

الوجود المطلق نحو : لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، اي لولا دفع

الله الناس موجود . حذف موجود وجوبا للمعلم به وسد جوابها مسده .

"اما اذا كان الامتناع معلقا على الوجود المقيد ، وهو غير الغالب عليها

فان لم يدل على المقيد دليل وجب ذكره ، نحو : لولا زيد سالما ماسلم . . . وان دل

عليه دليل جاز اثباته وحذفه نحو : لولا انصار زيد حموه ماسلم . وجعل منه قول المعري :

يذيب الرعب منه كل عذب فلولا القمد يسكه لسالا .

"وذعب الجمهور الى ان الخبر يعمد لولا واجب الحذف مطلقا وينا" على انه

لا يكون الا كونا مطلقا . واذا اريد الكون المقيد جعل مبتدأ . فتقول : لولا مسالمة

زيد ايانا ما سلم اى موجوده . . . (١) .

وعكذا يكون اعتراض الشرتوني منحصرا في انكاره صحة اثبات الخبر وحذفه
اذا كان خاصا على الاطلاق ، صوبها التفضيل بما نقله عن الاشموني ما هو مشهود .
ومن الطبيعي ان يكون رد الاحدب قويا على هذا الاجتهاد ، حيث يقول
مدافعا - بدوره - عن الشدياق :

" قلت لا غبار على عبارة المؤلف (يعني الشدياق) ولا يعترضها الا كل
جاهل لا يفهم مداني الكلام . وذلك لان قول المؤلف صح اثباته بمقابلة وجب حذفه .
فتصدق بوجود ذكره عند عدم الدليل على العاين . بخلاف وجود الدليل كبيت المعري
الذي ذكره المعترض كما لا يخفى .

" عبارة الجامي على التافية هنا كعبارة المؤلف حيث قال مشيرا الى وجوب
حذف الخبر بعد لولا ، هذا اذا كان الخبر عاما . واما اذا كان خاصا فلا يجب
حذفه . كما في قوله : ولولا الشعر بالعلماء يزرى . . . فمفهوم قوله " لا يجب حذفه " .
انه يجوز ، او يجب ذكره ، ولا شك انها كعبارة المؤلف ، فكيف يكون ذلك خطأ " (٢) .

هذا ماجا من ردود على كتاب غنية الطالب لاحمد فارس ، انتقينا نموذجا
من كل باب رجاء اكتمال الصورة النحوية والنقد النحوى الذى ساد في اواخر القرن
الماضي .

اما الشيخ ناصيف اليازجي (٣) ففعل في الصرف ، والنحو غير ما فعل الشدياق
وغيره . كان مثله الاعلى الحوك على نول القدماء ، فنظم مثلهم ونثر . كان اكبر همه ان
يكون له كتاب مثل الفية ابن مالك ، فنظم كتابه (نار القرى في جوف الفرا " الذى عرف
في الاوساط المدرسية بالارجوزة .

وتكلمة لما بدأنا به من رسم صورة عامة لملاح التاليف الصرفي والنحو في القرن
التاسع عشر نقوم برصد تاريخي لمؤلفات الشيخ ناصيف اليازجي في هذا المضمار .

(١) المسهم الصائب ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) رد المسهم عن التصويب ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) م .

١- "فصل الخطاب في اصول لغة الاعراب" : كتاب ثرى قسمه قسمين ، كتاب التصريف وكتاب النحو . وهو مختصر تستعين به الطلبة الاصغر . ويقع الكتاب في مائة وثمان وستين صفحة ، من القطع الصغير . طبع في بيروت سنة ١٨٥٤ في ١٢٤ صفحة صغيرة ، واطاف الى شرحه بعض زيادات وطبع سنة ١٨٦٦ في ٢٥٧ صفحة ، ثم طبع سنة ١٨٧٧ في المطبعة الاميركية .

٢- "لمحة الطرف في اصول الصرف" ارجوزة في سبع عشرة صفحة مشروحة بقلم المؤلف ، فرغ من تبييضها سنة ١٨٥٤ ، مقتصرا فيها على ماتجب معرفته بالضرورة من علم الصرف . طبعت في المطبعة المخلصية للروم الكاثوليك ببيروت سنة ١٨٧٠ .

٣- "نار الثرى في شرح جوف الفرا" ارجوزة في الصرف والنحو ، ضم اليها ماتفرق في كتاب ائمة النحو . والكتاب ، في الاصل ، اسمه "جوف الفرا" لكن اليازجي قام بشرح ماجا في نظمه ، "خدمة للمتأدبين الاخذين بعلم العربية" .

فصارت الارجوزة والشرح في كتاب واحد سماه "نار القرى في شرح جوف الفرا" فرغ المؤلف من تبييضه سنة ١٨٦١ وطبع في بيروت سنة ١٨٦٣ في ٣٨٩ صفحة متوسطة الحجم ، ثم اختصره ولده ابراهيم سنة ١٨٨٢ في ٢٩٦ صفحة واعرب شواهد المعلم شاهين عدلية سماه "الدرر في عقود الجواهر" .

ولما كانت هذه الارجوزة تأخذ الفية ابن مالك معيارا تحتكم اليه ، وطريقة تحدثيها ، فقد صار من الواجب ان نقارن بين الارجوزتين كي نخلص الى حكم عام ، مختارين فضلا واحدا من الارجوزتين على وجه التقابل والموازنة . فقد جا عن خير لولا ما بحرفيته في النصين :

(ابن مالك في الفيتة)

ناصيف اليازجي في (جوف الفرا)

- ١- وبعد لولا غالبا حذف الخبر
حتم وفي نصيبي اذا استقر
- ٢- وبعد واو عنيت مفهوم ---ع
كمثل كل صنع وما صنع ---ع
- ٣- وقبل حال لا تكون خبرا
عن الذي خبره قد اضـرا
- ٤- كضربي العبد مسيئا واتم
تبييني الحق منوطا بالحكم (١)

- ١- ويخلف الخبر ايضا في القسم
نصا جواب كلمرى لم السم
- ٢- وبعد لولا وهو كون مطلق
وشبه جملة به يعلـق
- ٣- والحال لا تصلح اخبارا كما
في نحو ضربي الغلام محرما
- ٤- وعطف واو لاصطحاب مثله
ايضا ككل فاعل وفعل ---ه (٢)

نلاحظ ما تقدم ان الفرق بين الابيات ، ان قول ناصيف اليازجي : "ويخلف الخبر ايضا الخ" .
عنى به ان الجواب بعد القسم يقوم مقام الخبر ويغني عنه ، كما يغني مرفوع الصفة عن خبرها ،
نحو اماض هم لانه عطفه عليه واتى بايضا وهو خطأ ووهم ، للفرق الظاهر بين اغناء مرفوع الصفة
عن خبرها "سد جواب لولا ، وجواب القسم والحال ، وما بعد واو المعية عن الخبر ، لان مرفوع
الصفة لا يقدر معه خبر ، فلا يقال اصل اماض هم اماض هم قاعد مثلا بخلاف ما ذكر فانه محذوف
مقدر كلولا زيد لتمام عمرو اى موجود ، فاعله لولا زيد موجود لتمام عمرو ، وكذا في سائر ما ذكر .
ولذلك قال ابن مالك في الاول واول مبتدأ والثاني فاعل المنى في اسارذان وقال وبعد لولا غالبا
حذف الخبر الح

ولم يدرك ناصيف اليازجي هذا الفرق العظيم .

وقوله : "وبعد لولا وهو كون مطلق" فيه قصور لان الخبر يحذف ايضا حيث كان كونا مقيدا ،
وذلك عليه دليل نحو لولا انصارزيد ما سلم اى حموه ، وفيه مذهب آخر وهو انه لا يكون الا كونا .
عاما وقوله : "وشبه جملة به يعلق" مراده ان شبه الجملة وهو الظرف ، والمجرور بحرف يغنى
عن الخبر مع ان ادخال ذلك في ما ذكر غلط ، لان فيه ثلاثة اقوال ، قيل الخبر هو المحذوف

(١) شرح ابن عقيل على الفيتة ابن مالك - المجلد الاول ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ الطبعة الرابعة
عشرة ١٩٦٤ دار الكتاب العربي ببيروت .
(٢) جوف الفرا ، لناصر اليازجي .

وقيل هو الظرف او المجرور ، وقيل المحذوف مع الظرف او مع المجرور ، ولذلك قال ابن مالك ، واخبروا بظرف او بحرف جر ناوين معنى كائن او استقر .

- وقول اليازجي : "والحال لاتصلح اخبارا" قد شكل اخبارا بكسر الهمزة ، وصوابه كما قال ابن مالك :

وقيل حال لاتكون خبرا عن الذي خبره قد اضمرا .

وذلك ان الحال قد تصلح لان تكون خبرا عن المبتدأ المحذوف خبره معها ، وحينئذ لاتسد مسد الخبر . فلا يجب حذفه ، وقد لاتصلح لان تكون خبرا عنه فتسد مسد الخبر ، فالاول نحو : ضربي العبد شديدا . والثاني : نحو ضربي العبد محرما او سيئا . واليازجي في جوف الفرا يقول : "والحال لاتصلح اخبارا والاخبار الاتيان بالخبر ، فاخطأ واوهم ، كما اخطأ في قوله وعطف واو مثله ، لان العطف مصدر لايسد مسد الخبر ، فان قبل ذلك لايجوز المجاز فيما هو تعريف ، او كالتعريف مع عدم القرينة الموضحة ، ومع ذلك كله ينبغي ان يكون جوف الفرا ادق من الفية ابن مالك لانه متأخر وجامع لكل كتب النحو كما يقرر اليازجي نفسه .

وهكذا ، تلوب محاولات ناصيف اليازجي حول الفية ابن مالك ، دون ان تبلغ المرام لفظيا ، بل كثيرا ما عقد المعنى ، وارهق اللفظ او زاد المعنى حشوا دونما طائل لقوله في الضمير مثلا :

ومن ضمير الرفع ما لا يذكر فكان في رافعه يستتر

وقال ابن مالك :

ومن ضمير الرفع ما يستتر كافعل او افق نغبتبط اذ تشكر

فقد جمع ابن مالك معنى بيت اليازجي في شطر ، ووشل في شطر مع السلامة من الحشو والزيادة ، فان زيادة " فكان " عند اليازجي مضره كزيادة " لا يذكر " فان الضمير المستتر مذكور حكما .

هذا ، وقد اثار كتاب " نار القرى في شرح جوف الفرا " موجة من النقد صارمة حمل لواءها الشيخ يوسف الاسير وذلك في كتابه " ارشاد الوري في تخطئة جوف الفرا " (١)

(١) كتاب " ارشاد الوري في تخطئة جوف الفرا " مطبعة الجوانب الاستانة سنة ١٢٩٠ هـ . وقد قدم له احمد فارس الشدياتي ووقع الكتاب في (٨٠) صفحة .

ولعل السبب الاول في هذا النقد ، هو ان الارجوزة لم تستخرج - كما رأينا -
تحقيق ماكان يرنو اليه الشيخ ناصيف اليازجي من مجد نحوي يضارع به مجد ابن
مالك ، او محاكاته في الفيتة الخالدة .

وسنقوم بدراسة الكتاب مع نقده ، كي تتبين الصورة بكل ملامحها .

يقول الشيخ يوسف الاسير في مقدمة كتابه المذكور :

" اما بعد ، فاني قد اذمعت على كتاب ناصيف اليازجي المسمى (بنار
القرى في جوف الفرا) فاردت بيان مبانيه وايضاح معانيه . . . فشرحتها شرحا
يميز بين الحق والباطل . حيث قرنت كلامه بكلام الائمة ليظهر الحالي من العاطل .
وما قصدت بذلك الا الثواب بارشاد مطالعيه الى سبيل الصواب " (١) .

ثم يبدأ الشيخ الاسير بنقد مقدمة الكتاب ، متتبعا اثر اليازجي كلمة فكلمة
، وبعبارة فعبارة ، حتى اوفى على نهاية الارجوزة كلها ، محتكما في ذلك النقد الى
كتب الثقات من اهل اللغة الاقدمين ، جاعلا من النقد الجزئي عماده الاول .

عذا ، وكثيرا ماكان الشيخ الاسير يرجز الابيات ، معارضة لنظم اليازجي
او تحديا له . مما جعل ارجوزة اليازجي ارجوزتين ، يتخللها شرح الاسير وتعليقه
ونقده . وهو نهج جدير بالاهتمام ، لان الاسير في عمله هذا يذهب مذهب المناظرة
والمناظرين الاوائل حيث يفرع اسباب القول ويتناول احكاما نحوية دقيقة ويتعرض
لمسائل في غاية الصعوبة . تماما كتلك المناظرات التي كانت تسود اجواء الكوفة
والبصرة . ولكن دلت هذه الابحاث على شي * فانما تدل على مدى التعمق اللغوي
والتخصص النحوي الذي كان عند علمائنا في القرن الماضي .

فيران الشيخ الاسير ، قسا في بعض احكامه ، وذهب مذاهب حقد وكراهية في
بعضها الاخر . فهو كثيرا مايقف على بعض العبارات التي لا تحتاج الى تأويل او
اجتهاد ، معملا بها وكده كي ينفذ الى وعن يعتربها او قصور اصابها .

(١) من مقدمة الكتاب ، ص ١ .

ولتبيان ذلك كله ، سنختار من هذه النقود نموذجين اثنين ، نظرا لتشابه

المنهج العام في الكتاب .

يقتقد الشيخ الاسير ماجا* عند اليازجي في فصل (احكام الاعراب والمعربات)

قوله :

بجمع ذى ذكور سلما	" بالحركات مفردا لعرب وما
عن مضمرباد اليه يسند	ومعرب الفعل الذى يجرد
وذاك في الاعراب فرع يخلف*	وما سواها اعربته الاحرف

حيث يرجز الاسير ، مناقسا صنيع اليازجي قبل انتقاده له :

اعرب كذا المضارع المجردا	وبالعلامات الاصول المفردا
والتاء جمعيته بذى اكتسب	وجمع تكثير وما بالالف
وقيل كل بالاصول معرب	وما سواها بالفروع يعرب

ويشرح الشيخ الاسير ماجا* في رجزه ورجز اليازجي ، فيقول مبتدئا بشرح
اياته : "علامات الاعراب الاصول اربع ، الحركات الثلاث وحذفها وهو السكون ،
والعلامات الفروع ستة الحروف الاربعة وحذف حروف العلة وحذف النون ،
وبالاصول الاربعة تعرب اربعة انواع من الكلمة الاسم المفرد وهو عنا ماليس مثنى
ولا جمعا ولا ملحقا بهما ولا من الاسماء الخمسة كزيد ومهدد والفعل المضارع
المجرد من الضمير البارز المرفوع ومن نون النسوة ونون التوكيد المباشرة كيضرب .
وجمع التكسير . . . والجمع الذى جمعته بالالف والتاء . . . وما سوى هذه الاربعة
يعرب بالفروع وهو المثنى والملحق به . . . والجمع الذى على حد المثنى وهو جمع
المذكر السالم وما الحق به . . . والاسماء الخمسة . . . والافعال الخمسة . . .
والفعل المضارع المعتل المجرد حال انجزامه . . . والسكون المقدرة ايضا وهو مذهب
سيبويه والمرضى عند المحققين ."

(١) ارشاد الورى في تخطيطه جوف الفرا ، الاسير ، ص ٢٢ - ٢٣ .

ويأتي الشيخ الاسير على شرح ابيات اليازجي مع نقد لها فيقول :

"وقوله: بالحركات مفردا اعرب" معناه اعرب بالحركات مفردا من المفردات

فقط لان تقديم المعمول يفيد الحصر . . والنكرة لاتعم في سياق الاثبات الا

ماندر .

"وقوله ما يجمع الخ . . معناه واعرب بالحركات فقط شيئا يجمع متجاوزا

صاحب ذكور سلم ، ثم ان فرضت الشيء الذي هو معنى ما مفردا او جمعا ففسد

المعنى لان التقدير على الاول واعرب المفرد الذي يجمع بالحركات وهو فاسد .

وعلى الثاني واعرب الجمع الذي يجمع بالحركات وهو فاسد ايضا ، على ان الحصر

قبله يوهم انه مستأنف مع ما فيه من الثقل للانتقال من كسرة ذال ذى لضمه ذال

ذكور والياء حاجز غير حصين مع ما فيه من الركة التي هي اشبه بعلم الركة ، لانه لم

يقل احد وما يجمع دون ذى ذكور سلما لكنه يرتكب الاغراب فيرتبك في الاعراب ، وقد

فاته الاعراب بالسكون وبال حذف هنا وبيان مذهب سيوييه المعتمد مع اسناد الاعراب

للحروف وغير ذلك من المفاسد التي يعرفها النحوى . . . (١) .

كما صوب الاسير قول اليازجي :

او جر والمنصوب للاصل تبسح

وكل منقوص تقاض ان رفع

وربما المرفوع كالناضي جرى

والجر كالنصب لدى قوم يرى

بقصره قلم ينون مطلقا

والجمع منه نقصه قد نطقا

بقوله :

وكجوار كل منقوص جرى

ولا تنون منه ما قد قصرا

اسكنه قوم لدى الرفع اعلمنا

وجرّ ذاقوم بفتح كـ

ويشرح الاسير ما ذهب اليه فيقول :

" وذلك ان المقصور المنوع من الصرف لا ينون سوا" كان مفردا كمصطفى
علما لامرأة او جمعا كعذارى بالالف علما او غير علم ، وان كل منقوص ممنوع من
الصرف (جوار يجرى كجوار سوا" كان مفردا كقاصر علم امرأة او جمعا على غير صيغة
منتهى الجموع كاذب علم امرأة او على صيغة منتهى الجموع علما او غير علم كسوار
ودعا ووداع " .

ويروى الاسير " ان بعض النحاة نصبه وجره بالفتحة ، وبعضهم اسكن ياءه
حالة الرفع ، وكل ذلك يفهم من بيتي مع السهولة والانسجام بخلاف ابیات ناصيف" (١)

- نعود ، بعد هذه الجولة الى كتب ناصيف اليازجي المدرسية ، لنحصر
ما بقي منها :

٤- " الجوهر الفرد " متن موجز وضعه الشيخ ناصيف للطلبة الاصفهري
خمس عشرة صفحة صغيرة الحجم . وهو عامة نبذة لطيفة جمع فيها المؤلف قواعد
الصرف والنحو على اسلوب شديد الاختصار " مجرد في ما هو من اصول العليين
المشار اليهما تسهيلا للحفظ والاستظهار . طبع بالمطبعة الوطنية سنة ١٨٦٥ .
ولما كان الكتاب غامض المعنى ، قليل البسط في المباني ، فقد قام ولده ابراهيم
اليازجي بعمل شرح " يسهل للطلبة العين صعبه ، ويوطي " للمالكين شعابه " .
فعلق عليه ما عن لخاطره لزومه من التمهيدات الكافلة بحل اشداله ، والتفصيلات المحللة
لعقود اجماله . وقد وصفها على اسلوب سهيل قريب التناول . مزجا الشرح بالمتن .
كما ضمن الكتاب فصل " اعراب شواهد النحو " تنميما للفائدة المرجوة من الكتاب
على حد قوله ، وقد عرفت هذه الطبعة بعنوان " مطالع السعد في شرح الجوهر
الفرد " طبع في بيروت سنة ١٨٨٨ طبعة اولى ثم في مطبعة صيدا ، طبعة رابعة
سنة ١٩٠٨ .

(١) ارشاد الوري ، يوسف الاسير ، ص ٥٣ .

٥ - "طوق الحمامة" وهو مختصر نثرى في مبادئ النحو يقع في عشرين

صفحة صغيرة . طبع في المطبعة المخلصية سنة ١٨٦٥ ايضا .

٦ - "الجمانة في شرح الخزانة" : ارجوزة مطولة في علم الصرف ، علق

عليها المؤلف نفسه ، شرحا ، سماه "الجمانة" جمع فيها مبادئ من الصرف معتمدا

في شروحه على كتب الائمة ، مقتصرا على ما يحتمل وقوعه في الاستعمال دون الثوارد

والمفروضات . طبعت في المطبعة المخلصية اولاً ثم في المطبعة الاميركية

سنة ١٨٧٢ في ١٤٠ صفحة . وقد اختصرها ابنه ابراهيم حيث حذف ما وجد

في الكتاب من الزوائد التي "لا يفيضي حذفها الى تقصير او اخلال" واطرح ما ورد

في بعض المواضع من ذكر شواذ اللغات ومرجوح الاقوال ، ونوادير الصيغ التي ترجع

الى صناعة الصرفي دون حاجة الاستعمال . كما زاد في مواضع اخرى فوائد من

استدراك " يتوسع به مضمون الكتاب او ايضاح تزداد به بصيرة الطلاب " . وقد طبعت

هذه النسخة المنقحة في بيروت (المطبعة الادبية) سنة ١٨٨٩ .

٧ - "اللباب في اصول الاعراب" : ارجوزة في علم النحو ، لخص فيها مبادئ

النحو القريبة على الطلاب الاصغر ، وعلق عليها شرحا . تقع في (٢٨) ثمان وعشرين

صفحة فقط . طبعت في بيروت سنة ١٨٨٩ .

هذا وقد صدر كثير من كتب الصرف والنحو في العقود الثلاثة من القرن

الماضي ، لادباء واساتذة ، وضموها لطلابهم ابتغاء تطويح مباحث هذا العلم

وجعله قريبا لمتناول الناشئة فيقبلون عليه .

ولم نجد في اى منها من ابتعد عن غاية ناصيف اليازجي ومنهجه في التلخيص

والشرح والتعليق .

لذا ، فقد اكتفينا بما جاء من صورة عامة لانماط التأليف المدرسي على يد

الشيخ ناصيف اليازجي وابنه ابراهيم ، املا في ان نكون قد اعطينا هذه الكتيبات

البسيطة حقها .

الفصل الثامن

النقد اللغوي في القرن التاسع عشر

في لبنان

كثيرا ، ما كانت تقترن مباحث النقد اللغوي بتلك المناقشات التي قد يشيرها كتاب نحوي ، او مقال لغوي ، وللغوي معروف ، او اديب مشهور . كما هو الحال في المعركة التي اثارها بطرس كرامة اللبناني ، مع صالح التميمي (شاعر عراقي) ، في اوائل العقد الخامس من القرن الماضي ، تلك المعركة التي دفعت باحد اديبنا^١ لبنان - يومها - وهو رشيد الدحداح ، الى تأليف كتاب " قطرة طوامير " (١) دفاعا عن الشاعر بطرس كرامة . (٢)

وكما هو الحال في المناظرات اللغوية التي دارت رحاها بين احمد فارس الشدياق ، و ابراهيم اليازجي ، وبين كل من وقف مدافعا عن هذا او ذاك . وما اعقب ذلك من مباحثات اشطرت حياة النقد الى هطرين ، تمثلها باصحاب التيار المحافظ واصحاب التيار الذوقي الجديد .

ولو عدنا الى المباحث اللغوية الاولى ، التي اعقب ردود بطرس كرامة والتميمي ، وما كان من دفاع للدحداح لرأينا ان هذه المناقشة اللغوية قد سمعت في اضيق مجالات النقد ، حتى كادت ان تنحصر في صلة الفصاحة بالدين ، والتعصب الديني وآثره في النقد ، وفي تتبع اخطاء لفظية جزئية كثيرا ما ترتبط باخطاء معنوية .

(١) طبع في باريس سنة ١٨٨٠

(٢) ذكر رشيد الدحداح في قطرة طوامير اقوالا للمعلم بطرس كرامة توضح الدوافع والظروف التي ادت الى اثاره هذه المعركة النقدية . فما قاله بطرس كرامه " النبي لما اتيت القسطنطينية . . . وتكلمت بين اربابها كما هو دأبي في مصر وحلب والشام . . . فكنت . . . اعرض بين يديهم منظوماتي وان لم تكن رائعة ، فاسمعني بعض شعرائهم ، الافاضل الكرام ، منظومات تركية اخذت من الحسن اعلى مقام . وقد كررت في بعض قوائميها (لفظة الخال) وامرني ان انظم قصيدة ، وانسخ ابياتها على ذلك المنوال ، فنظمت قصيدة لم يكن فيها غير لفظة الخال

ومن الغريب ان تثار قضية الفصاحة وصلتها بالدين ، وان تتجه بمباحث
النقد اللغوي الى الاحتكام بمعايير الجنس والدين ، او ربط البحث اللغوي بمباحث
الديانة والشريعة .

وصحما يكن من شي * ، فان قضية الفصاحة ليست مما يلحق بالدين ، وان
ادخالها فيه تنكب عن الصواب في التفكير وان القضية برمتها لا ينبغي لها ان تدخل
في نطاق النقد النزسيه .

قافية ، فجاءت على نوع اللزوم محاسنها وانية (١) ٠٠٠ فلما كمل لظاهرا ٠٠٠
زفتها ل ٠٠٠ داود باشا والي بغداد سابقا ، فتلقاها ٠٠ بعين الرضا ٠٠٠ وارسلها
الى بغداد ٠٠٠ ليطلع عليها من هناك من الشعرا ٠٠ فيشهدوا فضلها وينظموا
مثلها ، فتلقاها بعضهم بما تلقاني به زماني وانكسر حسنها ، لان ناظمها نصراني ، ٠٠٠
وقال نظما :

عهدناك تعفو عن سي تعذرا

الا فلغنا من رد شعر تلصرا

وهل من مسيحي فصيح لعهده

اذا اينع الشعر الفصيح واثرا .

فلما وقفت على هذا الجواب المفاهيم طريقة الاداب ، ولم يكن فيه ما يعترض على
الفصيح ، الا انني على مذهب المسيح ، ناخذني العجب من صاحب هذا الادب * (٢) (٢)

(١) خاليه بطرس كرامة تنتظم في ثلاثة وعشرين بيتا ، مطلعها :

امن خدها الوردى افتتك الخال

فسج من الاجفان مدمعك الخال

ديوان سجع الحمامة ، لبطرس كرامة ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٢) ديوان سجع الحمامة ، المطبعة الادبية في بيروت - سنة ١٨٩٨

صفحة ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٢) وانظر كتابه منظره حراير المهنو الدواج - طبعه في بيروت سنة ١٨٨٨ .

والذى يعنينا من ذلك كله ، ما كان من اهتمام رجال هذه المعركة في تتبع الهفوات والاختلاف اللفظية ، وما كانت تؤديه من اخطاء في المعنى . ابتغاء رسم صورة للنقد في ذلك الزمان ، بما فيه من جزئية وضيق افق .

قال بطرس كرامة مشيرا الى رائية صالح التميمي " الالفاعنا من رد شعر تنصر " لقد ضربت صفحا عما في نظمه من الهفوات المتعلقة بالالفاظ والمعاني ، ولكن لا بد من ذكر بعضها على وجه الاختصار حتى لا يقال دعوى من غير دليل برهاني فمنها ما هو مطلع قصيدته قوله : (الالفاعنا من رد شعر تنصرا) بوصل الهمزة ، وحقها القطع ، لان عفا لازم ولا يتعدى الا بالحرف او الهمزة وهو عداه بالهمزة فيجرب قطعها .

.. وقوله : (عداه شبيب) بالباء الموحدة ، وصوابه بالتاء المثلثة ، اللهم الا ان يكون الكاتب صحف حين كتب .

وعلى هذا النحو من النقد ، يمضي بطرس كرامة ، " فيقف عند مواطن ستة اخرى في قصيدة التميمي يناقش الفاظها وبعض معانيها بهذه الطريقة التي ناقش فيها هذه الالفاظ وبعض المعاني السابقة وبالمستوى نفسه " (١) .

اما رشيد الدحداح فيتناول ابيات تلك القصيدة بيتا بيتا يستخرج منها عيوبها في رأيه ويضع عنوانا على ذلك كله كلمة (تنديد) على القصيدة ، وبيان افلاطها بيتا بيتا . وفي هذا العنوان دليل على الطريقة المتشددة التي اتخذها رشيد الدحداح مع التميمي .

ولعل اختيار بعض النماذج من تنديد رشيد الدحداح ان يوضح طريقته :
قال : " قوله : (الالفاعنا) فيه وصل الهمزة ، والقطع بالامر المطاع وكلاهما من سقط المتاع . وقوله : (من رد شعر تنصرا) : فاسد المعنى / ^علاسم مخطي " من ثلاثة اوجه :

(١) النقد الادبي الحديث في لبنان ، الحركة النقدية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ج ١ د . هاشم يافعي ، ص ٣٣ - ٣٤ (اعتمدنا على هذا الكتاب في تنسيق هذا الفصل) .

أحدها ، ان تنصر معناها انتقل من دينه الى النصرانية ، وقال الفيروزآبادي
تنصر دخل في دين النصارى . فالشعر لا يدخل في دين احد ، ان ليس هو بمعاقل .
ثانياً : ان الاستمفاً من رد الشعر المتنصر الى ماكان عليه من الفطرة وهو
الاسلام لا يجوز لمسلم بل الاخرى ان يرده من الضلالة الى الهدى .

ثالثاً : خطأ التعبير ، لان الاستمفاً من الرد طلب للبقا على القبول ، وهذا
خلاف ما اراده الناظم ، وكان الصواب ان يقول : اعفنا من قبول شعر تنصر لان رد شعر
تنصر فتدبير .

وقوله : عداه شبيث والاخص وفاته الخ قد تكلم فيه كذلك صاحب الخالصة
(اى بطرس كرامة) وقوض الينا سؤال الناظم عن متعلق الضمير من عداه وفاته ، لانا ان
عودناه الى الشعر المتنصر كما يقتضيه الظاهر كان المعنى فاسداً ، وان عودناه الى
المسيحي الفصيح كان المعنى اكثر فساداً ، لان الفصيح لا يقال عنه ما قال من عداه
وفاته ، ولم يذكر الناظم احداً يتعلق^{بانه} به ، وهو مع ذلك قد اراد ناظم الخالية ولكنه
لم يذكره ، فتعويده الضمير الى غير مسمى يجعل الكلام كلاماً . . .

ويمكننا ، من خلال تلك النماذج القليلة ، ان نستدل على طريقة النقد
عند هذين الكاتبين ، تلك الطريقة التي لم تعرف لنفسها درجاً جلياً ، ولم تقدر على
التزام منهج منفرد ، فهي اشبه بآراء لغوية متمزعة ، تجمع بين النحو والصرف والتأويل
اللغوي والبلاغة ، في نص نقدي واحد تكاد ان تضيع معه الفوارق الدقيقة بين هذه
العلوم . وكان الكل يندرج في طريقة نقدية واحدة تقتصر حدودها على تعقب اخطاء
الخصم الجزئية . واعتماد النص القديم مرجعاً يحتكم اليه .

ومن الغريب ان يكون هذا الاحتكام الى القديم من ضيق الشيخ رشيد الدحداح
بالذات . فهو ممن اقاموا في باريس حيث عمل على نشر صحيفته البرجيس ، ومن اتاح لهم
ان يعيشوا في بيئة من بيئات الحضارة الاوروبية ، كما اتاح ذلك للشدياق مثلاً .
الا ان ذلك كله ، كما يبدو - لم يكن كافياً لان يصرف الدحداح عن الانغماس
في تيار القديم ، والرجوع الى مراحل القديمة كما رأينا وتخطي عوامل ثلث قرن او يزيد
من القرن التاسع عشر اتمت بالجدة والتطور اللافتين .

في حين كان زميله احمد فارس الشدياق في مدرسة عين ورقه ومن اظلموا
على بعثات الحضارة الاوروبية ، يقوم بمحاولات جريئة من محاولات التجديد في القرن
الماضي ، خطت بالنقد والعلوم اللغوية خطوات جديدة ، جديرة بالانتباه والدراسة
المستقصية .

وكذلك نرى المعلم بطرس البستاني وهو زميل آخر كان والشيخ الدحداح في
عين ورقه ، ينجح بوضوح نحو الجديد الذي استطاع ان يلمسه في عصره ، مع انه لم يتح
له ما اتيح لزميله من عيش في رحاب الحضارة الاوروبية ، وبما يعجزها الاصلية .

ومن هنا تزيد فكرة التطور الاجتماعي اهمية في تفسير هذه الظاهرة .

" فليس الاتصال بالحضارة الاوروبية وحده يكاف لتطور اي بلد من بلدان
الشرق ، وان كنا لانحفظ هذا العامل حقه ، وانما يجب ان يصحب ذلك او يسبقه استعداد
كاف في المجتمع الشرقي نابع من تطوره الطبيعي الذي كان من الممكن ان يوثق ثماره
حتى لو لم يتم الاتصال باوروبا وحضارتها ، لان التمهيد الطبيعي الشرقي هو العماد
الاصيل في التفاعل بما يمكن ان يتفاعل به من الحضارة الاوروبية .

" وبعد هذه الوقفة القصيرة ، في لعقاب الحديث عن القديم في النصف الاول
من القرن التاسع عشر ، نتلفت فنرى ان عوامل الحياة العامة التي فسحت لذلك القديم
صدرها طوال نصف قرن لم تبخل على بعض عوامل التطور التي تهدف الى التجديد
ففسحت لها في مجال " (١)

ولهذا ، لانكاد نطل على مشارف النصف الثاني من القرن التاسع عشر ونخلف
وراها ، نأ ذلك القديم الذي تمثل في عمل بطرس كرامة والدحداح ، حتى نرى اتجاهها عاما
يلفت الانظار في الانتاج الادبي والنقد في الحياة اللبنانية . مما سيكون له الكبر الاثر
في توجيه الحركة النقدية ، ومعرفة تفسير الاتجاه اللغوي في القرن الماضي .

ويتسم هذا الاتجاه العام بالمحاولات الجادة للوصول الى تعبير ادبي سليم
مصفى عن هذه النفس الجديدة التي بدأت تحس في غموض بذاتها وبوطنيتها او قوميتها
وسط عوامل كثيرة لم تمكنها من بلورة تلك الوطنية او القومية ، وان لم تقو على طمسها
او منعها من النماء .

(١) النقد الادبي الحديث في لبنان ، الجزء الاول الدكتور هاشم ياغي ، ص ٣٩ وما بعدها

وكانت تلك المحاولات الجادة متفاوتة القوة والنشاط ، حتى انها انقسمت الى تيارين مختلفين في نطاق ذلك الاتجاه العام الذي انضوت تلك المحاولات جميعا تحت لوائه .

- كوتيار يكتفي بالرجوع الى ينابيع التعبير المسلم في عصوره الحية الاولى الصائفة ، وهو ما يمكن ان نطلق عليه التيار المحافظ .

- تيار لا يكتفي بذلك بل يتجاوزه الى مرتبة التعبير الاصيل الحر عن هذه النفس الجديدة والتي اخذت تتلمس الجديد دون الوقوف عند ظرائق الابدان الاولى في تعبيرهم وان صفت ، ودون الاكتراف ^{بالشخص} بالتكلف في التعبير وان جاء به الابدان ، فهو تيار يحاول ان يلبس ثوبه الذي خاطه لنفسه في دنيا التعبير ، وترك ثوب الابدان وان كان مزركشا ، وبذلك يمكن ان نشير الى ما يميز هذا التيار من بذور جديد .

والتنبه لعوامل التطور في الحياة العامة امر هام جدا في كبح جماح كثير من الاحكام الجارفة على مظاهر الانتاج الادبي واللغوي والنقدي ، وفي الحيلة اللازمة التي تستهدى باضواء عوامل التطور تلك في رؤية التيارات المختلفة وان تجاوزت .

ولعل ذلك ان يكون معاوننا في تفسير اتجاه انتاج ادبي كانتاج الشيخ ناصيف اليازجي مثلا نحو التعبير في اصالة ووضوح عربيين لاثنوبهما ركافة عن هذا الذي بدأ يدب في الحياة من روح وطنية او قومية عربية غامضة . وما لذلك من اثار في توجيه الحركة النقدية ، ولعله كذلك ان يكون معاوننا في تفسير اتجاه لغوي كذاك الذي اتجه اليه المعلم بطرس البستاني واحمد فارس الشدياق وسعيد الشرتوني من حركة معجمية قاموسية لاستخلاص ما يمكنهم من مواجهة ما يلقونه في الحياة من حولهم واثار ذلك في الحركة النقدية ، مخلفين وراءهم تلك الحركة المعجمية القاموسية التي كان قد بدأها جرمانوس فرحات في القرن الثامن عشر من اجل اهداف تعبيرية دينية ، واعادها ثانية رشيد الدحداح في طبعه كتاب (باب الاعراب) (١) مصححا مدققا بزيادات جديدة في كتابه (احكام باب الاعراب) ، دون ان يتجاوز غايات جرمانوس فرحات تلك ، وممهدين كذلك لما جاء بعدهم من حركة ادبية ولغوية ، الجديد فيها اقوى مما كان زمنهم ،

(١) انظر فصل النقد المعجمي ، رشيد الدحداح ، ص

والتي ستجد ان ابراهيم اليازجي ، في معظم اتجاهه ، لم يكن كأبيه ، الى جانب الجديد من حوله فيها ، ولم يدرك ان الذي اخذه عن ابيه من اتجاه كان يجب ان ينمو نماه جيل الابن مخلفا ورثه جيل الاب ، فكان الى جانب القديم على ما كان يتمتع به من احساس لغوي دقيق ، ومقدرة لغوية هائلة ، وترك لواء الجديد في اللغة الى غيره ممن كانوا ادق احساسا بالجديد من حوله كالدكتور يعقوب صروف وتلميذاه جبر ضومط وغيرهما .

ونعود بعد هذا الى التيار النقدي الذي اتجه الى القديم اتجاهها محافظا فنجد كتابا كخليل اليازجي (١٨٥٦ - ١٨٨٩) يدعو الى الاستفاة من منابع التراث ورجاله ، لصقل موهبة الانشاء . جاعلا من مطالعة كتب المنشئين كالجاحظ وابن المقفع والبديع والخوارزمي وغيرهم ، منطلق الكاتب في التعبير السليم والكتابة الصحيحة ، لانه يرى ان الذات مهما ارتفعت منزلته من البلاغة واتسع صدره في مجال الكلام ليعجز عن اختلاق التراكم الجديدة ، واستنباط الاساليب المبتكرة آتيا بغير ما اتى به الاولون من ارباب الاقلام الذين تناهبوا البلاغة وضروبها ، والبراعة وطرقها ، فلم يغادروا ثم من متردم * (١) .

ولم يبتعد عن هذا الاتجاه كثيرا الشيخ ابراهيم الاحدب في (كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان) (٢) ، او في تحريره (الوشي المرقوم في حـــــــــل المنظوم) (٣) لابن الاثير ، او في (فرائد اللال في مجمع الامثال) (٤) . بل ظل صنيعه مندرجا في نفس الاتجاه .

ومهما يكن من امر دلالة هذه الاقوال فلا بد لنا من ان نراعي امورا ثلاثة :

الاول : ان هؤلاء الذين صرحوا بتلك الاقوال لم يكونوا وحدهم ممن ساروا في هذا التيار المحافظ ، فالذي يتصفح مآكبه جماعة من اصحاب هذا التيار المحافظ كالمعلم اسكندر آغا ابداريوس في " نهاية الادب في اخبار العرب " ١٨٥١ ، و " روضة الادب " ١٨٥٨ ، و " ضيعة النفس في اشعار عنتر عيس " ١٨٨١ ، وشاكر البتلوني

(١) يوسف صغير ، نثقات الكتاب في عهد النهضة الاخيرة (سنة ١٨٠٠ - ١٩٤٨) القسم

النثرى ط ٢ - المطبعة المخلصية قرب صيدا سنة ١٩٤٨ ص ١٦ - ٢١ .

(٢) طبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين سنة ١٨٩٠ .

(٣) مطبعة ثمرات الفنون - بيروت ١٢٩٨ هـ ١٨٨٠ م .

(٤) فرائد اللال في مجمع الامثال في جزئين كبيرين - المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة

في مقدمة كتابه " دليل الهائم في صناعة الناثر والناظم " سنة ١٨٨٥
وشاكر شقير في " مصباح الافكار في نظم الاشعار ، ١٨٨٨ " ، والاب لويس
شيخوني " علم الادب " سنة ١٨٦٧ وغيرهم ، يجد أن ماتناولوه من قضايا
نقدية يغلب عليها طابع القديم ، حتى ان مابدر منهم من قليل في ميدان
الجديد اتسم كذلك بطريقة قديمة في تناول

الثاني : ان تصريح هؤلاء لا يعني الفهم التام لهذه الصلة التي المعنا اليها بيمن
اتجاههم وبين مواجهة الحاجات الجديدة في الحياة من حولهم .

الثالث : ان التصريح او السكوت لدى هذه الجماعة لا يقطع في امر انتماء كل منها الى
متجههم انتماء كاملا فبين هؤلاء من اتجه للقديم العربي الاصيل وهو يراعي
امر مواجهة الجديد من حوله مراعاة مهما نقل في نقصها وعدم توضيحها
اياها لنا بالتصريح فانها دلالة سلوكية تستحق التقدير .

وبين هؤلاء كذلك من اتجهوا للقديم وبخاصة لغير الاصيل منه دون ما يدلنا
على انهم ادركوا ذلك الاتجاه الذي تشير اليه كما فعل بولس عواد في كتابه (العقد
البيديج في فن البيديج) (١) ، فقد اتجه لاحياء البيديجات التي كانت في بدعية
ابن حجة الحموي اتجاها مسرفا .

وستناول في عرض عام ، ما دار من مناظرات لغوية بين انصار القديم ، حول
كلمة " فطحل " تلك المناظرات التي غلب عليها طابع القديم ، والتي جرفت جملة من
اشتركوا في التيار المحافظ وبعضا من اشترك في التيار ذي البذور الجديدة .

وقد اشترك في هذه المناظرة كل من احمد فارس الشدياق و ابراهيم اليازجي
والمعلم بطرس البستاني والشيخ يوسف الاسير والشيخ سعيد الشرتوني ، والشيخ ابراهيم
الاحدب ، حيث الكل انجذب الى زوينة نقدية كثيرا ما انغلقت اسبابها على تناول
جزئيات لغوية ضئيلة ، وجزئيات نحوية بحثة .

(١) المطبعة العمومية الكاثوليكية بيروت سنة ١٨٨١ :

وستترك النقد النحوي لفصل آخر ، في حين يكون مدار البحث للثانسي

على المناظرة اللغوية فقط ،

وهـ

ويعود سبب بحث المناظرة اللغوية الاولى بعثا عنيفا ، الى ان الشيخ
ناصر اليازجي ، قبل وفاته كان قد مدح الشدياق في قصيدة "فرا" ولما نشر
ديوانه ، عنونها هكذا : "وقال يمدح احد الادباء" ، فعلق الشدياق بعد وفاة اليازجي
على ذلك "في ختام رثائه لناصيف اليازجي سنة ١٨٢١ بقوله : "ولا ادرى مامنعه من
التصريح باسبي على صفا الحب بيننا" (١) .

(١) اليازجي

ثم يتابع الشدياق فيقول :

"ثم بعد ان استقرى المقام بالاستانة العلية ارسل الي كتابا ذكر فيه
انه بلغه ان احد سكان الاستانة يريد ان يطبع مقاماته ٠٠٠ فان في نيته زيادة شي
عليها وتغيير شي منها ٠٠

المفطحل

"وكان اول ما خطر ببالي من التغيير الذي نواه لفظة المفطحل المذكورة في

المقامة الانطاكية صفحة ٢٥٧ بقوله : "ويصبح فاضبا ولا يزال عاتبا يذكرني زمن
المفطحل وينجز الوعد بالمطل" .

ثم قال في تفسيرها (اي اليازجي) : "هو زمن قبل ان يخلق الناس ويمكن

ان يكون المراد به زمن الطوفان لان المفطحل هو المظر الشديد ، والمراد منه انه

لا يزال يذكرها بامور قديمة وهو مثل لما تقدم عهدده" (٢) .

وينتقد الشدياق على لفظة "المفطحل" هذه فيقول :

"وعو وهم فان حق اللفظة تقديم "الطا" على "الحا" قال في القاموس : المفطحل

كهنير . دهر لم يخلق فيه الناس بعد . او زمن نوح عليه السلام ، او زمن كانت الحجارة

فيه رطابا . . . وقال في الصحاح : المفطحل على وزن الهزير ؛ زمن لم يخلق الناس فيه بعد .

(١) مقالة للشدياق في الجوائب ، مذيبة بقصيدة رثى بها اليازجي ، تاريخ ١٠ ايار

سنة ١٨٢١ ، عدد ٥١٩ .

(٢) انظر مجمع البحرين ١٨٥٥ لليازجي ، المقامة الانطاكية ، ص ١٥٩ ، طبع مكتبة

الطلاب وشركة الكتاب اللبناني - اللعازرية - بيروت . وهي مجموعة تتألف

من ستين مقامة . نسجها المؤلف على منوال مقامات الحريري دون ان يأتسي

بجدديد فقد كانت موهبته تنحصر في امتصاص مواهب الحريري ، دون ادنى محاولة

في الوصول الى تطوير جاد لفن المقامة يمكن ان يميزه ككاتب جيل القرن حتى يندر

ان يلصق له القارى شخصية مميزة . . .

ثم يقول :

" وفتح الفاء اسم رجل . مستشهدا بما جاء في بعض نسخ الصحاح ،

انك لو عقرت عمر الحسل او عمر نوح زمن الفتح

ويرى ، من ثم ، ان اهل بيروت يقولون للرجل المحنك : فطحل على وزن جعفر وهي ايضا - عنده معرفة . ويخلص بعد هذا الى القول : " ان قول الشيخ ناصيف في المتن ، الشرح فطحل بتقديم الحاء على الطاء هو من غلط الوهم الذي يفتقر للشاعر . هذا ، وقد اورد بعض اخطا اخرى للشيخ ناصيف ، كالمرباط ، والمرباض ، كان الشيخ قد جعل المرباض للخليل والمرباط للفنم ، مع ان رأى الشدياق هو العكس تماما وغير ذلك من تتبع الاغلاط المفردة .

ولما وقف الشيخ ابراهيم اليازجي على مقال الشدياق المذكور ، نشرردا مطولا على صفحات " الجنان " محاولا ان يستخلص منه بعض ما يدخل في نقد ورد نقد فطحل وفتح الفاء .

يقول ابراهيم اليازجي :

" اما وجه الانتقاد على اللفظة المذكورة فهو ان الحاء فيها مقدمة على الطاء في الواقع ، والحق العكس ، وان يقال الفطحل بتقديم الطاء . وقد اورد (اى الشدياق) على ذلك شواهد وادلة من كتب اللغة . . . ومن جملة ما اورد من ذلك قال " وفتح الفاء اسم رجل " .

" أقول (اى ابراهيم اليازجي) : وقرائن كلامه تقتضي بقا " ماسوى الفاء " على حاله فيكون مفتوح الطاء ايضا على سكون الحاء . ولا وجود لهذه اللفظة على هذا الوجه اصلا . " قال في القاموس : الفطحل كهزبر ، دهر لم يخلق فيه الناس بعد ، او

(١) انظر : الجنان ١٥ حزيران سنة ١٨٧١ ، الجزء الثاني عشر . بقلم اليازجي . وانظر الشدياق واليازجي للاب شبلبي ص ٦٨ وما بعدها .

اليازجي

"ففي قول صاحبنا (اى الشدياق) وهم ظاهرا ، او حمل الكلمة على وزن
جعفروفيه ^{سهبو} . وثان الاولي ان يبيده بفتح الحاء ايضا ، او يقتصر على ان يقول
بالفتح كما جرى اصطلاح اللغويين ، ويترك ذكر الفاء التي انما هي زيادة في اللفظ
تؤدى الى نقص في المعنى ، ويذكر الوجه الثاني ايضا وهو الضم .

ويتابع اليازجي رده متعقبا مثل هذه الزيادة في كتاب الشدياق " سر
الليال " في صفحة ٣ ، في كلامه عن لغات الاعاجم ، اذ قال (اى الشدياق)
" فما مثلهن الا مثل الثوب المرقع والوجه القبيح المبرقع " فانه قصد المبالغة في
قبحه فالتوى عليه المعنى وجاء " عنس المقصود .

" ويضيف اليازجي فيقول : " هذا واذا سلمنا بعدم ائسلام عبارته ، او سلم
بصحة المتقادنا ، وثبت على الوجهين ان الدلعة عي بوزن جعفر او قنفذ ، ورد عليه
الاعتراض من وجه آخر وهو ان المقام لا يحتمل وزن جعفر ولا قنفذ ، لوقوع الكلمة
في الفاصلة مقابلة بالصطلبي ، ولا يخفى ان الفاصلة حكم القافية ، على انه لو
ترك ايراد هذه اللفظة اصلا لكان اسلم من الانتقاد . وما ادرى ما الذى ساقها
وهي اسم رجل رجل لا مدخل لها في المقام البتة فضلا عما تقدم .

ويخلص اليازجي الى القول انه كشف في النسخة الاصلية التي بخط والده ،
فلم يجد لما توعمه الشدياق من اثر ، ويرى ان ذلك انما هو " غلط في الطبع من
التوع الذى وقع للمولى في ما ذكرت . ومنه ابدال البدائع بالمدائح في صحيفة
الجرائب المذكورة في العمود الثاني . . وغير ذلك مما لا يخفى على ذى عينين " .

اما ان اهل بيروت يقولون للرجل المحنك ، فحطلى على وزن جعفر ، كما
يقول الشدياق ، وهي عنده محرفة . فالصحيح ، كما يرى اليازجي " ان التحريف قد
حدث من قبله (اى من الشدياق) وانما هم يقولون فلان من الفطاحل . بتقديم
الطاء على الحاء بخلاف روايته (رواية الشدياق) . ويعلق على ذلك فيقول : " فربما
ورد عليه ذلك عن طريق النسيان والله اعلم " (١) .

(١) الجنان ، سنة ١٨٢١ ، الجزء الثاني عشر ، مقالة لليازجي . انظر الاب

وقد رد الشدياق على هذه الرسالة بمقال له لاذع عبر جوائبه ، تحت عنوان
" الرد على الخواجه ابراهيم اليازجي " (١) استهلها بقوله :

" لا يخفى ان الخواجه ابراهيم اليازجي كان قد كتب في صحيفته الجنان في
الجزء الثاني عشر مقالة " خطأني فيها فيما اورده على لفظة الفحطل و . . . ثم
انتقل منها الى تخطئة بعض الفاظ وردت في مقدمة سر الليال واطال لسانه
بالتهكم و . . .

" اما قوله : " اما وجه الانتقاد على اللفظة المذكورة فهو ان الحاء منها
مقدمة على الطاء في الواقع ، والحق العكس وان يقال الفطحل " فقوله (اي اليازجي)
في الواقع ، صوابه في المقامات (مقامات مجمع البحرين لناصيف اليازجي) . فان الواقع
هو تقديم الطاء على الحاء . "

ويتابع الشدياق فيقول :

" وهنا . . . زعم انه يلزمي ان اتقول وفطحل بفتح الفاء وسكون الطاء وفتح الحاء
لانه يقول : ان قرائن كلامي يقتضي بقا ماسوى الفاء على حاله . فالعجب من هذا
التبليغ فانه اذا قال احد وفطحل بفتح الفاء لم يفهم منه سوى وزان جعفر ، ان ليس
للرباعي المفتوح الفاء سوى هذا الوزن ، فما موجب هذا الهذيان كله في هذه الكلمة ؟ "

ويتابع في الرد على ماتوهمه اليازجي من غلط في كتابه " سر الليال " في
كلامه عن لذات الاعاجم ، فما مثلن الا مثل الثوب المرقع والوجه القبيح المبرقع ، حيث
قال اليازجي انه (اي الشدياق) قصد المبالغة في قبحه فالتوى عليه المعنى وجاء
عكس المقصود . فيقول الشدياق ردا على ذلك فلعمري انه لا يرى في هذا المعنى
التواء الا من التوت نيته وقصر فهمه واطال لسانه . فان القبيح قد يكون مبرقعا ، كما ان
المبرقع قد يكون قبيحا فلا تضاد بين هاتين الحالتين . فمن اين جاء الالتواء . وقد
قال ابو الطيب :

قبحا لوجهك يازمان فانه وجه له من كل قبيح برقع

(١) انظر الجوائب ، ٢٣ آب سنة ١٨٧١ عدد ٥٢٦ . والسدد ٥٣٨ ٢٠ آب
تحت عنوان " الرد على الخواجه ابراهيم اليازجي " .

فما الفرق بين الكلامين ؟

ويتابع الشدياق حديثه عن الفطاحل التي نسبتها اليازجي لاهل بيروت فيقول : "وقوله (اي اليازجي) : " ان اهل بيروت لا يصنعون مفرد الفطاحل وانما هي مسموعة عندهم بصيغة الجمع فقط " ، يكذبه ماحرره الفاضل سليم افندى نوفل فانه قال في كتاب ارسله الى من بطرسبرغ : واما لفظه الفطاحل فاني وجدت بها غير مرة في رسائل قس من اهل بيروت يستعملها في محل لعلامة او فحل رجال .

وعلى هذا النمط من المماثلة ، والجدل العقيم تستمر المناقشة بين هذين اللغويين ، حاولنا ان نكتفي منها بلفظة واحدة وهي الفطاحل ، تاركين بقية المسائل التي تعانقت تعانق قصص كليلة ودمنة ، راسمين من خلال هذه الكلمة خطأ افقيا تتجلى فيه ملامح هذه الزوبعة اللغوية التي لم تتمد فنهجان النقد الجزئي الضيق .

ولنتابع مزيدا من هذه النماذج ، لنرتد اخل القضايا اللغوية بعضها - بعضها - بعضا كأمشاج ، لا يطبق معها الدارس التفريق بينها ، كتد اخل النحو بالبالغة والصرف بالتأثيل ، والنقد الادبي بالنزعة الذاتية .

وهذا احد النصوص الدالة على ذلك : مما جاء في رد ابراهيم الهازجسي على الشدياق في مبحث المفاصلة :

" ثم ما لبث (يعني الشدياق) ان كذب قولي ان الفحطل فلط طبع واستدل على ذلك بورود المطل بعدها يعني وقوع كل واحدة منهما فاصلة . فما ادري كيف ورود المطل بعدها اوجب عنده تاخير الطاء ، وكأنه لا يجيز ان تكون احدي الفاصلتين المطل والاخرى الفطاحل ، مع ان الفطاحل والفحطل على روي واحد ووزن واحد ايضا ، وماذا عسى ان تقتضي الفاصلة غير ذلك .

ويتابع اليازجي قائلا : " ولعله يحسب التزام حذف حرف قبل الروي من الامور الواجبة في السجع ولذلك لم يجز مع المطل الا الفحطل . . . والصحيح ان ذلك جناس من البديع يسمونه التزام ما لا يلزم وفي تسميته اكبر دليل .

" وقد تصفحت في سجمه (سجع الشدياق) فلم اجده يلتزم ذلك . واذا كان في ريب من علمه ففي القرآن (الكريم) وفي مقامات الحريري وغيرها من افصح الكتب المفصلة ما يأتيه بالبرهان الفاصل ويتكفل بجلاء المسئلة باوضح بيان .

• / •

الشيخ ابراهيم اليازجي رأس المدرسة المحافظة :

مادار بين الشدياق واليازجي ، وما قدمناه في المباحة السابقة ، لخير دليل على ما ذهب اليه من ان ابراهيم اليازجي يرجع في تقييم الاعمال الادبية واللغوية وفق ما تقرره دراسات الاولين واحذامهم اللغوية . فهو مؤتم بعلماء السلف ، جاعلا من الاحتكام الى آرائهم الفيصل في كل امر . وكثيرا ما كان الرجل زميتا في مناقشاته عبر صفحات مجلته في مقالاته (لغة الجرائد) فيعمد الى تخطئة محدثيه دونما اعتبار لتطور المدلول اللفظي ، او ادنى استجابة لمتطلبات معنوية جديدة .

وقد غالى في ذلك ، حتى ذهب في امره شططا ، حين تصدى للكلام العرب الاقحاح جاهليين واسلاميين وقدماء ، كما تصدى لمحدثيه ، ابتغاه تقويم اهوجاج خطاهم ، كما يعتقد ، وهذا ما يفسر حملته على ناشري لسان العرب وتاج العروس وشارته الى ما وقع في ذنبك المعجمين من الخطأ الذي اعتبره فاضحا ، مرجعا اياه الى الصواب .

وقد كانت نظرتة هذه الصفية تعنى اولا بناحية جزئية وتمعن في تزمتها ، حتى حملت بعضا من جماعة هذا الاتجاه المحافظ نفسه الذي لمع اليازجي من بين افراده على ان ينقلب على اليازجي ، تعني به " خير الاسلام " الذي رد على الشيخ في كتاب اسمه " دفع الاوهام " ، وبذلك انقلب بعض اصحاب هذه النظرة نفسها على بعضهم الاخر ، وكانما انقلبت هذه الفئة على نفسها .

ولعل تزمت الشيخ ابراهيم اليازجي يعود الى ما فشا في لغة الجرائد من لحن وهو امر اخذ يستفحل حتى وصلت بعض اساليب الانشاء الى حد الركافة المرذولة . وهذا ما خشيه الشيخ من ان تنشأ لغة خاصة ببعض الكتاب العصريين والجرائد على ما ذكره في اللغة والعصر من وجود لغة لكل عصر .

ولنستمع الى الشيخ في مقالة من مقالاته (لغة الجرائد) حيث يقول :

" والعجب هنا انك كثيرا ما ترى اناسا من متقدي الكتاب وذوى القدم الراسخة في اللغة والانشاء يعتمدون احيانا على التقليد ، وربما قلدوا من هو دونهم مسن

أصغر أهل الصداقة ، حتى نشأ النقل بين تلك الطبقات كلها ، وأصبح كثير من الفاظ الجرائد لغة خاصة بها تقتضي معجماً بحاله . ولما كان الاستمرار على ذلك صما يخاف منه ان تفسد اللغة بأيدي أنصارها ، والموكول اليهم امر إصلاحها ، وهو الفساد الذي لإصلاح بعده ، رأينا ان نورد لذلك هذا الفصل ، نذكر فيه اكثر تلك الالفاظ تد اولاً ، وننبه على ما فيها مع بيان وجهة صحتها من نصوص اللغة . ونسي يقيننا ان رصفاننا الافاضل يتلقون ذلك منا خدمة اخلاص لهم ، لان قصد بها الا المحافظة على اللغة ، وصيانة اقلامهم من مثل غده الشوائب ، مع كفايتهم مؤونة البحث والتنقيب في كتب اللغة على ما هو معلوم من وعورة صلكها ، وشكاسة ترثيها ، مما كان ولا شك ، هو السبب في تجانيهم عن مراجعتها ، واستثبات صحة تلك الالفاظ منها .

ثم يتناول ما يزيد على اربعمئة لفظة ينقدها نقدا جزئيا نختر من بينها
اربعة امثلة :

المثال الاول : قال اليازجي : " يقولون تكدر من هذا الامر ، اى استاء منه واشتد عليه . وقد كدره الامر واحدث عنده كدرا عظيما . ومنهم من يقول كدره بمعنى عثفه وقرعه وهذه الاخيرة من اصطلاح الاتراك وكل ذلك غريب عن استعمال العرب ، وان امكن رده الى وجه صحيح " (١) .

والمثال الثاني : قال اليازجي : " ومن ذلك قول الاخر (٢) ، قباب نواقيس فرناطة ، يعنى بالنواقيس الاجراس ، وانما النواقيس جمع ناقوس ، وهو كما فسر صاحب القاموس ، خشبة كبيرة طويلة تفرع بخشبة قصيرة ، يقال لها الوييل ، ايدانا بوقت الصلاة . وكل احد يعلم ان هذا النوع لا وجود له في كنائس فرناطة ، بل هو مما لا يعرف له وجود في جميع اوربا ، غير ان الكاتب لم يكتف بذلك حتى جعل محسول النواقيس في قباب الكنائس وهو اقرب " (٣) .

والمثال الثالث : قال اليازجي : " ويقولون هولا قوم افراب . يريدون جمع

(١) مجلة الضياء ، السنة الاولى ، الجزء ١٧ ، ص ٥١٤ .

(٢) الاخر هو شكيب ارسلان

(٣) ص ١٢٢ من لغة الجرائد .

وقد كان شكيب ارسلان في دفعه وتناوله المواد اللغوية في الرد على
اليازجي يسير في طريق اليازجي نفسه حتى انه قال :

"فهذا ماتوخينا ايراده من الجواب على هذا الذي اقام نفسه صيطرا
على اللغة ، وان شاء" اوردنا له من لغاطه في لغة الجرائد ، وفي الضياء ، وفي
البيان ، وفي الطبيب من قبله ، وفي مختصر الارجوزة ، وفي شرح المثني ، وفي
تاريخ مادي الذي صححه وفي مناظراته العديدة مع بعض ادباء العصر ، ما يكون
كتابا مستقلا ، وأريانه كيف يكون الانتقاد وابن مواضع الخطأ ، وكيف يخبط الشيخ ،
وهو ينسب الخبط الى غيره (١) . "

ولعل من الجدير بالملاحظة ، ان شكيب ارسلان كان قد رد على اليازجي
في تخطئة شوقي ودافع عن شوقي في روايته (عذرا الهند) التي نقدها
اليازجي (٢) بهذه الطريقة نفسها ، وقد اورد ذلك في كتابه (شوقي او صداقة
اربعين سنة) (٣) ولم يفت شكيب ارسلان التذليل على سعة علم اليازجي وتعنته
مع غيره (٤) في الوقت نفسه ، كما ذكر ذلك في الدفاع عن رواية (آخر بني سراج) .

اما عبد الرحمن سلام في كتابه " رد الالهام " فقد نهج في رده على اليازجي
نهج الشيخ نفسه . دون ان يخرج عن نطاق المدرسة التقليدية التي يرثسها
اليازجي . مع ان عبد الرحمن كان قد اخذ على اليازجي تهوره وخروجه عما اراد في
مقدمته من نصح للكتاب في لغة البرائيد . الا انه عاد فتناول اربعين مادة مما
تناول اليازجي واعاد القول فيها بالطريقة نفسها ، ومستوى المعالجة اياها ، مع
مدافعة عن الكتاب القدامى الذين انتقدهم اليازجي .

يقول عبد الرحمن سلام في مقدمة كتابه " دفع الالهام " (٥)

(١) الضياء ، وابن سراج : ضمن مجلد يحوى : آ - كتاب لغة الجرائد السابق ذكره .

ب - كتاب دفع الالهام لابن سراج .

ج - الضياء ، وابن سراج .

(٢) نقد اليازجي (عذرا الهند) لشوقي وبخاصة عبارتها واللفظها في سنة ١٨٩٧

- الروائع رقم ٤١ ص ٤٥ .

(٣) شوقي او صداقة اربعين سنة : مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه بمصر سنة

١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م عن ٥٨ - ٧٦ .

(٤) نفس المصدر ص ٥٦ - ٥٨ .

(٥) كتاب دفع الالهام ، المطبعة الادبية ، بيروت سنة ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م .

* بيد انه (اى اليازجي) ملغتم ان سمّ القلم و دس السم في الدم
وشرع يتهور في تخطئة فريق من مشاهير الكتاب والعلماء السالفين تهورا لا يكاد
يصدر عن سائق انسان خلقه الله وعلمه البيان

• وسنختار مثالين / من اربعمين ردا للسلام على اليازجي

المثال الاول : قال عبد الرحمن سلام : " وغلط (اليازجي) الالبيري في

قوله :

ومهما اكربتك صروف دهر نقل مقاله الرجل الاربب

• فيرى انه لم يرد اكرب بمعنى كرب .

(قلت) اى (سلام) لا مانع من استعمال اكربه الامر مكان كرب ، وفي التاج

يقال اكربت السقاء اكرابا اذا ملأته . وفي مجاز الاساس ملأت السقاء حتى اكربتسه

وكفظته . وفي التاج على القاموس (وكظه الامر) يكظه كظا وكظاظا وكظاظه ، بفتحهما

(بهظه) وملأه هما و (كربه وجهده) وانقله وهو مجاز .

" وعنا لنا ان نقول اذا جاز ان يأتي اكرب بمعنى كظ وكظ بمعنى كرب جاز ان

يأتي اكرب بمعنى كرب ، وعليه نقول الالبيري صحيح لاغبار عليه " (١) .

— والمثال الثاني : قال عبد الرحمن سلام : " ورد (اى اليازجي) ماورد في

تاريخ ابي الفداء " وذلك قوله في حوادث سنة ٦٥٨ وقتل مقدمهم كبتنا واستؤسر ابنه .

وكذلك ماجا في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة في الكلام عن الاسكندر اصبح

مستأسر الاسرى اسيرا . اه .

قال اليازجي : وانما يقال استأسر الرجل بمعنى استسلم للاسرفالفعل لازم

لا متعدد .

(قلت) (العبارة لسلام) ان استعمال استأسر متعديا لاشبهة فيسه

فقد صرح بذلك المطرزي صاحب كتاب المغرب ، واورد عليه حديث عبد الرحمن وصفوان

وهو (انهما استأسرا المرأتين اللتين كانتا عندهما من هوازن) .

ويعلق سلام على هذا فيقول : " فهل بعد ما اورده المطرزي مجال للاعتراض " (٢)

(١) سلام ، دفع الالهام ، ص ١٦ - (٢) نفس المصدر ، ص ٢٨

ولعل ما يوضح نظرف اليازجي مع غيره في التخطئة ما نقله رشيد الشرتوني في مناظرته مع اليازجي حول لغة الجرائد ، ان نقل الشرتوني عن الجزء الثاني والعشرين من مجلة الضياء من كلام اليازجي ما يلي :

وأيضا

" قبل ان نمسح القلم من هذا الفصل لا بد لنا من ذكر امر فاجأنا به احدى المجلات الادبية بما لم نتوقعه ، ولعل ذكره لا يخلو من فائدة وتبصرة .

وذلك ان بعض رصفائنا الالباء توهم اننا نريد من هذا البحث مناقشة اصحاب الجرائد ، نقام يرد علينا ، (١) ويشتمل الحجج والاعذار تصحيحا لبعض ما نبهنا عليه من الاغلاط .

" ولعله توخى منها ما كان قد اتفق له السقوط فيه . فكذلك ذهنه واسهر جفنه في البحث وتقليب الصحف ، ثم جاءنا بامور حاصلها تخريج بعض تلك الاهدام على بعض المذاهب الساقطة ، واحالة بعضها على بعض اللغات المتروكة ، وتوجيه بعضها على وجوه من التأويل والمجاز ما نحن اعلم به . . . ولو ذهبنا الى التخريج كما يريد هذا الاديب لما كتبنا في هذا المعنى حرفا . ان قلما تجد تركيا مخالفا للصحة الا وله وجه يرد اليه . على ان التخريج انما ينحى فيما يصدر عن قائله سهوا او لضرورة ، لا فيما يرتكب عن جهل ، او في سعة من اجتنابه ، ولا على ان يجمع قاعدة يسوغ بها ركوب الشطط ، ثم تتكلف له الاعذار الباردة والحجج الواهنة ، وهذا القدر كاف في هذا المقام . "

وكأنما كان نقد ابراهيم اليازجي لغة الجرائد محورا دارت في فلكه آراء له تتصل بهذا النقصد وتشبهه الى حد كبير في المستوى وطريقة التناول .

ويحدد شاكر شقير ، وهو من اصحاب التيار المحافظ في كتابه (غصن لبنان) (٢) واجبات المنشي فيقول :

(١) يقصد رشيد الشرتوني .

(٢) كتاب " لسان غصن لبنان في انتقاد العربية العصرية " شاكر شقير ، طبع في

المطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٨٩١ .

"ومن واجبات المنشي* ان يعرف فنون الادب ، اى علم العربية لكي يصون كلامه من الخطأ في التركيب ، والبيان باقسامه لكي يحسن تأدية المعنى بالفاظ لاتخل بالفصاحة والبلاغة ، ويسببها في قوالب حسنة قويمة (مائوسة) والعروض واطرافه لكي يأتي بنظم لايمجه الذوق ، والمنطق ، لكي يكتب عبارات حسنسة الارتباط متينة الاساس ، موقعة توقيما قياسيما ينبوعنها سيف الانتقاد العقلي ، وعلم اللغة لكي يضع كل كلمة في محلها الصحيح بحيث تؤدي مع القرينة المعنى المراد ^{منها} (١) .

ولكن شاعر شقير مع هذا التحديد الذى لم يحس بمضي الوقت وما جدّ فيه من جنيد لايتوانى عن الترويج للسهولة في الكتابة فيقول : " فاذا نظرنا الى ايام الجاهلية واقوالهم نرى فيها كلاما يستهجنه ابنا هذا الزمان ، ولكن يستأنس به عصرهم ، وان ملأوا الدفاتر باوصاف اباعرهم . . . فلا غرو لانه لم يكن عندهم غير هذه المواضيع ، يقلبون فيها كلامهم كيف شاؤوا . غير اننا نحن في عصر سلس لتين رائق تدركي ، قد احاط علما بامور بدیعة واحوال مفيدة فيطلب مايناسبه من هسدا الفن فيسيفه وينفر مما يخالف طبعه فيمجه ، فالسهولة والظرافة والانسجام مع السلاسة ، والايضاح والايجاز ، وما اشبه ذلك من محسنات الالفاظ والمعاني التي هي الان المحور الذى يدور عليه دولا ب الانشاء ، والبضاعة في سوق الادب " (٢) .

وهكذا نرى شاعر شقير بعد ان حاول ان يتلمس شيئا من مطالب العصر في السهولة والايضاح يعود الى طمس هذه المحاولة بقوله ان المحسنات اللفظية والمعنوية هي المحور في دولا ب الانشاء زمنه ، طمسا لايوافقه عليه حتى بعض من كتبوا من رهطه من اصحاب التيار المحافظ كشكيب ارسلان ، كما مر سابقا ، لايل نراه هو نفسه في كتابه (فصن لبنان) ينمى على بعض كتاب عصره خبطهم في انشائهم بالسجع فيقول :

" فلم يتصدى بعض من حركت اناملهم القلم للكتابة جمل في مواضيع مختلفة ، فيخبطون خبط عشوا " صارفين جهدهم الى زخرف الكلام بالتسجيع والاغراب ، ظانين

(١) نفس المصدر ص ٥٥

(٢) لسان فصن لبنان ص ٦

ان طنطنة الكلام هي الفصاحة والبلاغة ، مطننين حيث يخل الاطناب وهو جزين
حيث يكون الایجاز لغزا ، يطيلون شأو عبارتهم حتى تتشوش الافكار ، ويفصلون بعضها
عن البعض بحيث تفقد الرابطة بينها كسلسلة قد انتشرت حلقاتها ، فهو ممنون الجاهل
انهم اتوا ببلاغة يظنها فوق طاقة ادراكه ، فيوقع الملامة على نفسه وقصر فهمه ، لكن
لا يفتربها الا ديب لعلمه ان مثلها مثل طبل تكدر رجرجته الهوا ، وهو من الداخل
فارغ لامعنى فيه * (١) .

ثم يعلننا في كتابه (فصن لبنان) انه سينشر بعض ملاحظات في الاساليب
وما يقع فيها من خطأ لدى بعض كتاب زمانه .

وكما عالج شقير في كتابه (فصن لبنان) قضية الانشاء بالمستوى الذي
رايناه ، عالج كذلك قضية الانتقاد ، فمعرض الغاية منه ، ولمواده ، وكيفيته .

اما اوجه الانتقاد التي عنى بها في كتابه الذي نقف عنده فتدور حول ثلاث
قضايا هي على التوالي : " التمريب ، والخطأ في قواعد العربية ، واستعمال بعض
الفاظها في غير محلها " * (٢) .

ويحدد شقير طريقته في التمريب ، وما يجب ان تخضع اليه هذه الصائفة
من قوالب كي يمتنع الخطأ في رأيه . ثم يتناول الوجه الثاني من الوجوه الثلاثة
السابقة فيقول :

" واما الخطأ في قواعد الصرف والنحو والبيان ولا سيما في استعمال الظروف
والحروف فاكثر من ان يحصى ، فاني كل يوم ارى منه شيئا في كل المطبوعات تقريبا .
والعلة معروفة تصعب مداواتها ، لان كثيرين من الكتاب يكونون قد تعلموا في المدرسة
بعض مبادئ العربية ، والبعض منهم لا يكون له العلم بها فيستند الى فيره . وحالما يخرج
الولد من المدرسة واحيانا قبل ان يخرج ، يطرح بضاعته لدى العموم ، فيطبع المقالات
والاشعار ، وهو يهرف بما لا يعرف ، فهذا الذي هتك ستر العربية ومزق حجابها
كل ممزق " * (٣) .

(١) لسان فصن لبنان ص ٥

(٢) = = = ص ٧

(٣) نفس المصدر ص ٨

ثم يقول :

" وسأبين شيئا كثيرا من هذا الخطأ ، فيتضح للمعوم لزوم اتقان قواعد

اللغة .

" وهذا الذي حملني ايضا على وضع كتاب جديد سميته " الاحكام الصحيحة

في العربية الفصحى " وهو عبارة عن ثلاثة كتب الاول في الصرف ، والثاني في النحو

والثالث في الظروف والحروف . وقد جمع هذا الكتاب فروع اشياء مسائل لا يعرف

اكثرها الا من كثرة المطالعة ، على ان الكتاب كله لا يتجاوز اربعمائة صفحة يقطع

ربيع ، وهو حتى الان لم يطبع

وعنا يقتطف شاكر شقير من كتابه المشار اليه فهدل على اتجاهه الذي لمحنا

جانبا منه ، وهو رغبته في تعميم القواعد اللفظية للتعبير ، دون اعتمام بتطور العصر

والنفوس من حوله ويتناول بعد ذلك الوجه الثالث من وجوه الانتقاد ، فيرى ان استعمال

الالفاظ في غير محلها ، عمل يقتضي شرحا طويلا ، لان كثيرين ^{يصحون} الكلمة لمعنى

يقصدونه ويكون معناها بالخلاف . وهو الذي حمل - كما يعتقد - على وضع كتاب اسماء

" اساليب العرب في صناعة الانشاء " (١) الذي يقول في مقدمته :

" فلما كان هذا العصر الزاهر ميدانا تتسابق فيه اقلام الكتاب ولم

يكن الكثير متقنا للمعوم العربية ومطلعا على اسرار اساليبها الفصحى المأهولة . . .

ورأيت كتابات عديدة يرمى اللام فيها على عواهنه رأيت من باب اللزوم . . . ان اضع

كسبا مختلفة محاولا فيها تأدية قواعدها واساليب تراكييبها بطرق سهلة بسيطة . . . (٢)

وسنكتفي هنا بذكر مثال واحد فقط .

جاء في قوله عن (بيت) : " بات يبيت (ولا تقل يبات) قض ليله يقال بات

زيد عند عمرو بات سرورا او قلنا اوني هم شديد ، اوني شغل شاغل ، ولا يقال بالها

عوضني الا في الضرورة .

(١) كتاب اساليب العرب في صناعة الانشاء ، مطبعة القديس جاورجيوس للزوم

الارثوذكس بيروت سنة ١٨٩٣ وسنة ١٨٩٤ .

(٢) من مقدمة (اساليب العرب في صناعة الانشاء) ص ٢٠

" واما قولهم بات بليل النقد . فليس المراد به الظرفية ، والحرف فسي
الموضعين متعلق بمحذوف حال من الضمير ولا يبيات بخلاف قولنا بمت في منزلي .
فتأمل .

" ومن اساليبهم باتت فلانة بليلة حرّة اي لم يعرفها زوجها وبليلة
شيباء اي عرفها ، والباء استصحابية . وبات يفعل كذا ، من الافعال الناقصة مختص
بالزمان الليلي ، وقد لا ينظر فيه الى زمان مخصوص " (١) .

ما تقدم ، تبين ان كتاب شاكر شقير (اساليب العرب) عمل معجبي صغير ،
او قاموس يحاول ان يحصر فيه مآراء مفيدا في استعمال الكلمات والعبارات العربية .

وبذلك اوضح شقير في جلاء اتجاهه في محاولة تفهيد القواعد المعنوية
الثابتة للتعبير اللفظية ، وما درى ان الحياة وتطورها يستعصيان على التفهيد
المتحجر ، ويتطلبان شيئا آخر ادركه جماعة من رهط مقابل لرهطه في هذه الفترة
الزمنية التي نقف عندها وهم رهط المجددين .

ولعل ما ذكرنا من اتجاه شاكر شقير العام النقدي يوضح في جلاء ناصع منزعه
الذي نزع اليه في خطابه الذي وجهه لجماعة الازهر في مصر في مطلع كتابه (فصن
لبنان) ودعوته لحصر التعبير العربية في قمم خشية الخطأ الذي كان يخاف منه .

قال يخاطب السادة العلماء الافاضل في الجامع الازهر من حيث عم في
رأيه " نخبة العلماء الامثال " ويبدعهم زمام العربية بعد ان كثر عليها المتكلمون
وصاروا يأتون بكل لقيطة من عباراتها مما تأباه السجية العربية والغيرة الادبية
مما اوجب عليه أي المؤلف شقير - بعد التفكير الطويل الاقدام على فتح باب
الانتقاد الخطير ، ومخاطبة علماء الازهر علمهم ينظرون الى عمله (وهو الاتيان بعجالاته
الانتقادية) بعين الحلم والقبول ولعلمهم يضعون لاحكام اللغة العربية الشريفة
بعد الحدود حدا يقف عنده الطالب ولا يتعدى ، حتى بعد الاشارة الى مايفني
من الشوارد والنوادر ، كي تصير العربية (في رأيه) على " تمادى الزمان محصورة
في احكم الدوائر " (٢) .

(١) من مقدمة اساء ليب العرب في صناعة الانشاء (ص ٧٩ - ٨٠)

(٢) لسان فصن لبنان ، المقدمة (بتصرف) .

ثم يخلص مقررنا على علماء الأزهر ،

• وبأخذنا لو عقدت مجلساً يحكم منذ الآن على كل ما كتبته ونشرته ، بل وقد
الصحيح منه ، وينبذ كل ما لا يحسن ان يذكر ، فتنهض اللغة بعد خمونها ، وترجع
الى منابتها باصولها ، وتعود الى زهرتها النضارة بعد ذبولها . (١)

بدور الجديد ونبذ التكلف اللغوي ؛

وقد آن لنا ان ~~نذكر~~ الى ما كان قد بزغ في حياة النقد اللبنانية من بدور
جديدة منذ اخريات النصف الاول من القرن التاسع عشر لنضي معها وهي تسير في
تيار تجدد مواز لما رأيناه من تيار محافظ في ظلال اتجاه عام كنا قد اشترنا اليه .

ولعل اسبق رجال هذا التيار في اطلعنا على ما كان لديه من بدور جديد
هو احمد فارس الشدياق ثم تلاه اديب اسحق ويعقوب صروف ثم حبيب بنوت ونجيب
الشوئي .

ورغم ان الكثير من اعمالهم النقدية هذه ، تخرج عن نطاق بحثنا ، الا انه
من الضرورة بمكان ان نرسم شيئاً عن نقدهم الادبي تمهيداً لما نريد من نقد لغوي
فقد استطاع هؤلاء ان يتناولوا في شيء من التجديد بعض جوانب من قضية التأليف
وقضية الشكل والمضمون ، وبعض بدور تدفع الى ادب مقارن ، وبعض آراء في صورة النقد
عامة ونقد الرواية او القصة خاصة الى جانب بعض الآراء التي تتصل بالتمثيل والشعر
والشعر .

ونحب ان يكون مدلول بدور جديد يتسق والجهود التي قام بها هذا الفريق
من اصحاب التيار المتجدد ، فان بدورا جديدة لا تنفي ما كان يغير شيئاً من الآراء
لدى بعض هؤلاء بغير القديم او يوقعهم في الخيرة بين القديم والجديد ، وهي لا تنفي
كذلك شيئاً من الالتقاء بين بعض هؤلاء وبعض اصحاب التيار المحافظ ، حول بعض
الآراء ، ولكنها مع ذلك كله كانت تنعم باضواء من جديد سمحت به الحياة والظروف العامة
منذ وقت مبكر من اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر .

(١) لسان قطن لبنان ، من المقدمة ص ٢ .

احمد فارس الشدياق :

لعل من اقوى من اسهموا في بذور بذور الجديد في حياة النقد اللبناني في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو احمد فارس الشدياق .
وما يهمننا من كتبه هنا ، ماجا في كتاب (الساق على الساق) من حيث دار
حول غرائب اللغة ونوادرها ، وما جا من ملاحظات نقدية تناثرت بين صفحات الكتاب
نقتطف منها ماجا في شكواه من حالة النقد والنقاد في زمانه ، حيث يقول :

” حيثما سرت وأيان توجهت وجدت اناسا ينتقدون عليك كلامك . فان
عبرت بالرواد مثلا قالوا الافصح هنا الفاء او يا وقالوا الاولى ام . . . وهذا هو سبب
قلة التأليف في عصرنا . فان المؤلف والحالة هذه يعرض نفسه للطعن والقدح والبلا .
ولا يراعي الناس ما في كتابه من الفوائد والحكم . الا اذا كان مشتتلا على جميع
المحسنات البديعة والدقائق اللغوية ومثل ذلك مثل رجل فاضل يدخل على قوم
بهيشة رثة ورعايل شماطيظ . فالناس لا تنظر الى ادبه الباطني بل الى بزته
وزيئه . والحمد لله على قلة المؤلفين اليوم في بلادنا ، ان لو كثروا وكثر نقدهم
وتخطئتهم لكثرت اسباب البغض والشاحنة بينهم ، وقد استغنى الناس عن ذلك بتلفيق
بعض فقر مسجعة في رسائل ونحوها لقولك السلام والاكرام . والسنية والبهية . فاحفه
ماكان ساكنا ” (١) .

وينتقد في موضع آخر في الكتاب ماكان من تكلف بدعي وتزيين لفظي يرهق
كاهل الانشاء والفتنين فيقول :

” ولكن هيئات فاني ارى اكثرهم قد زاغ عن هذه المحجة ، ان المؤلف منهم
بينا هو يذكر مصيبة احد من العباد في عقله او امراته او ماله اذا به تكلف لا يراد
الفقر المسجعة والمبارات المرصعة وحشى قصته بجميع ضروب الاستعارات والكنائيات .
وتشاغل عن هم صاحبه بما انه غير مكترث به . فترى المصاب ينتحب ويولول ويشكو ويتظلم .
والمؤلف يسجع ويجلس ويرصع ويورى ويستطرده ويلتفت ويتناول المعاني البديعة . فيعد
يده تارة الى الشمس وتارة الى النجوم . ويحاول انزالها من اوج سماها الى سافل
قول

(١) الساق على الساق ، الشدياق ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٦ م .

ثم يتناول الشدياق موضوع تلاؤم التفسير للموضوع وتوافق المبني والمعنى
فيقول :

" اني اذا اوردت كلاما عن احمق انتقيت فيه له جميع الالفاظ السخيفة .
و اذا نقلت عن امير تأديت معه في النقل ما امكن . فكأنني جالس بمجلسه . او عن امير
مثلا او مظران اتحفته بجميع اللفظ الركيك والكلام المختل . لئلا يصعب عليه المعنى
فيفوت الغرض من تأليف هذا الكتاب " (١) .

ومع هذا الذي اوردته الشدياق من هذا الذي ندعوه في زماننا من مشاكل
للواقع في وصف الاشخاص او انطباقهم ، بما يليق ومستواهم العقلي ، وفي هذا ما فيه
من بذور جديدة ، ومع هذه الخطبة التي رسمها للمؤلفين جميعا في التأليف ، او
العناية بالجواهر وبالبناء الاصيل للمؤلفات وترك العرض والصناعة اللفظية الصارفة عن
الجواهر وكذلك الاستطراد - مع هذا كله فان الشدياق لم يخل من عيب الاستطراد
ولا من شي * من عيب العناية بالالفاظ بطريقته الخاصة ، ولا من بعض اخلال بهذا الذي
نبه اليه من مشاكل الواقع .

ولعل ذلك يفسر ما قلناه من ان بعض رجال هذا التيار المتجدد لا يخلون من
تغيير اصاب تلك البذور الجديدة التي بذروها .

اديب اسحق ويعقوب صروف :

اما اديب اسحق فكانت بذور التجديد لديه اسطع من غبار القديم ، ولمصل
لنزعتة النضالعية الحارة اثرا في ذلك .

ولعل اكثر ما يلفتنا في بذور التجديد عنده ما جاء في حديثه حول الاساليب
وما فيها من شكل ومضمون ، ومهاجمة للصناعة اللفظية في كل ذلك .

قال في كلام له على سنة جريدة مصر (١) الاولى :

(١) الساق على الساق ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) جاء اديب اسحق الى القاهرة فأنشأ فيها جريدة اسبوعية (مصر : سنة
١٨٧٧) . انظر يوسف اسعد دافر ، مصادر الدراسة الادبية - ج ٢ بيروت
سنة ١٩٥٦ ص ١١٢ .

"ولكن للافكار حركة مستمرة تقطع بها عقبات الاهداهم لتدرك غايتها وهي

الحقيقة ، وللنفوس آمال منوطسة بالاستقبال .

"ومنها تهذيب العبارة ، وتقريب الاشارة ، وتنقيح الكلام ، وتقرير المعنى في

الافهام واطراح مايتجافى من اللفظ عن مضاجعة الرقصة ، وماكان منه غريباً تنفر منه
الخواطر وتشعر النفوس ، فانه لاقدّر لمن يقول : عقنقل وفي اللغة كتيب ، وقد موس وفيها
قديم ، والشهر المنصرم وفيها الماضي والسابق ، والغابر والمنسلخ ، والمنحسم ، وكثير
غيره .

"وذلك مع تجنبنا مبتذل الكلام وسوقيه ، واطراحنا فاسد التركيب وعاميه ، فانه

د" اذا سرى في عامة الناس أمات اللغة ، واغلق على الطلبة معاني كتب العلم ولا

أزيد بها القارى" علما انها كنوز لا توصف نفاسة ، ولا تعد كثرة " (١) .

وواضح من كلام اديب اسحق اهتمامه بالافكار ودورها في الوصول الى الحقيقة

واهتمامه الشديد بهذه الصلة التي يجب ان تكون قوية متينة بينه وبين معاصريه
من جهة وبين التراث الادبي والثقافي العربي من جهة اخرى . غير ان مفهومه
لهذه الصلة ، وحرصه على ذلك التراث التليد لم يمنعه من تمثل عصره و بذور
الجديد فيه فقال :

"على اننا لانكر ان لحركة العصر حكماً قاطعاً ، ولاصطلاح أهله قضا"

نافذا ، وان كاتبنا في هذا الزمان لا يستطيع ان يتلو تلو السابقين من المولديس
والمقدمين ، فان علمهم كان زائداً عن حاجات عصرهم ، اما هو فحاجات عصره تزيد عن
علمه " (٢) .

ولم يبتعد الدكتور يعقوب صروف ، عن هذا الاتجاه الذي الفيناه عند الشداق

واسحق فهو قد اثار اقوالا حول النقد عامة ، وخصص كذلك اقوالا بالشعر والشعرا
وبالروايات ، وحاول ان يدفع الى شي" من ادب مقارن . ولن نخوض تجربته ، لان ذلك
يخرجنا عن موضوعنا الاساسي ، لكننا نمسجل له موقفه من النقاد المحافظين حين عاب
عليهم اسلوب التخطيط سبيلا من سبيل النقد بعد ان اخذت بوادر النهضة تترعرع
لاعادة " شمس معارف العرب وعلومهم " الى ان يقول : "لهذا ولما تقدم . . . من

(١) اديب اسحق : الدرر - وهي منتجاها جمعها شقيقه عوني اسحق طبعة منقحة

في بيروت في المطبعة الادبية - سنة ١٩٠٩ : راجع ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) الدرر ص ١٠٩ .

الاسباب كثر فبينا المخطئون ، وقل بيننا الناقدون اولم يوجدوا * (١) .

هذا وقد انتقد حبيب بنوت المحامي في المقتطف بمقالة له تحت عنوان :
(الروايا) اصحاب الضممة في لغة القصة او الرواية انتقادا لاذعا ، عرض فيه
كثيرا من النقاط التي يتلاقى فيها مع اسحق وصراف والشدياق ، حيث ينبذ التكلف
اللغوي ويدعو الى انشاء يقوم على الذوق والطبع السليم .

وهو يقول في هذا الصدد :

* ومن الكتاب من كتب رواية بعبارة هي غاية الفصاحة ، جمعت اساليب
البيان ، وانواع البديع ، والتزم السجع في كل جملة منها ، وتلاعب في ضروف التعبير
وفنون التحبير مما يشكل على دارس اللغة ، ولا نعلم ما الغاية من ذلك * (٢) .

غير ان دعوة حبيب بنوت للسهولة في لغة الرواية واسلوبها لم تكن تعني
الركاكة والاغلاط ، لان اتجاهه من اتجاه من رأيناهم من اصحاب هذا التيار المتجدد
ولهذا اقال :

* ومن الكتاب من الفارواية بعبارة في غاية الركاكة محشوة بالاغلاط الصرفية
والنحوية ، لا تقرأ منها سطرا صحيحا ، ولا تتبين فيها معنى صريحا ، وهذا مما لا يجوز
التسامح فيه ، حرصا على شأن اللغة ، وحذرا من توهم القارى صحة العبارة على
فسادها ، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر .

* ولا مشاحسة في ان عبارة الرواية يجب ان تكون صحيحة من حيث قواعد
اللغة ، سهلة المأخذ ، قريبة المنال ، خالية من كل تعقيد ، يفهمها من درس قواعد
اللغة ومن لم يدرسها (٣) .

— نجيب الشوشاني —

وقبل ان نختتم هذا الفصل نقف عند خطبة لنجيب الشوشاني عنوانها —

(١) المقتطف ، السنة السادسة عشرة ١ ديسمبر سنة ١٨٩١ مقال بعنوان

الشعر والشمر .

٢-٣ ، المقتطف ، السنة الخامسة عشرة ج ١ ، تشرين اول ١٨٩٠ ص ١٦ وما
بعدها .

(حالة الاقلام في هذه الايام) (١) ، كانت النظرة فيها متوازنة بحيث رأت ما وصلت اليه البلاد من تقدم الى جانب مآثره من حاجة الى تنبيه اصحاب الاقلام لما لم يمتحنه من اخطاء آنذاك .

فقد حاول ان يقارن بين حالة الاقلام في زمنه وحالتها قبل ذلك الزمن بثلاثين سنة فوجد ان التفاوت كبير كالتفاوت بين الهلال والبدر ، لما رآه من تقدم في التأليف ، والمدارس والصحف ، والاتصال بالحضارة ، ودخول اللغة دورا جديدا لا يقتصر فيه على السجع والبديع والمحسنات اللفظية ، فقد اخذ الناس يميلون الى اتخاذ الحقائق ، وقال ان من يوازن بين مقال قبل زمانه بثلاثين سنة ومقال في زمانه يجد البون كبيرا ، ان يجد ما آلت اليه الكتابة من فصاحة العبارة وحسن الانشاء ، وجمال الاسلوب ، واختيار في الالفاظ يفي بكل ذلك ، مع تقدم كبير جدا في جملة المدارك .

(١) وهو الخطاب الذي القاه نجيب الشوشاني في منتدى المدرسة البطركية في احتفالها السنوي في ١٩ تموز سنة ١٨٩٢ .

خلاصة وتحقيب

يتبين مما تقدم ، ان الدراسة الادبية اللبنانية عامة ، والنقدية
فيها خاصة ، في القرن التاسع عشر ، قد غرقت في النصف الاول من ذلك القرن
في نتاج ادبي ونقدي قديمين ، وان رواسب القديم قد تراكت في ذلك النصف الاول
من القرن تراكما حجب عن النظر كل جديد .

فيمر ان عوامل التطوير كانت تفعل فعملها في حياة الناس ، وان لم تلتفت
نمارها النظر ، الا بعد ان اخذت بدور الجديد تلمع وسط غبار من قديم ، منذ مطلع
النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، واتساقا مع نواميس الحياة نجد العقود
الاربعة الاولى من النصف الثاني من ذلك القرن تنقسم باتجاهين :

- الاول : اتجاه محافظ في الادب والنقد وان احسن ان من واجبه
العودة الى مستوى الاداء العربي الرفيع في العهد العربية القديمة الزاهرة .

- والثاني : اتجاه فيه من بدور الجديد قدر واضح لا تنكره العين ، ولا يعز
على الدارس ان يتلمسه .

ولا يذاد الدارس يشرف على اوائل العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، حتى
يرى ان الحياة الادبية/ اللبنانية ، والنقدية منها خاصة ، قد تبلور فيها الجديد
واتضح ، بحيث برز للعيان طلائع من الجديد تنم بالعافية والقوة ذبل امامها
القديم بوزي ، بل اضطر الى ان يتخذ جانب لانت منه موقف المتكيف مع الدعوة
السافرة القوية الى الجديد .

ويمكننا تحديد ميزات النقد اللغوي التي سادت القرن الماضي بالعيزات
التالية :

اولا - الاهتمام بعامل الزمن :

اخذ لغويو القرن الماضي ، بحسبانهم عامل الزمن ، واثره في تطور اللغة
والنقد اللغوي ، فأمنوا بحتمية وجوده ، ومراعاة احواله لكل عمل لغوي يريدون
• /•

ولعل الشدياق وجرجي زيدان واديب لسحق ويعقوب صروف اول من دعا الى هذا في ابحاثهم . ولن تغرب عن بالنا نظرية النشو والارتقا في اللغة التي اعلنها زيدان وآمن بها ايماننا مطلقا . ولنتذكر قوله : " فاللغة ، من ثم ، ظاهرة من ظواهر حياة الامة ، فهي خاضعة دون ريب ، لناموس النشو والتجديد ولناموس الارتقا العام " (١) .

هذه الحتمية التاريخية بد متنام مع اللغة ، والوقوف في سبيل هذا النشو مخالف للنواميس الطبيعية ، فضلا عن انه لايجوز نفعا ، من هنا برزت قيمة النقد اللغوي ، كنتيجة لعمل عقل لا يطبق الوقوف او الجمود .

هذا الاثر الزمني في تطور اللغة ، طفق يدفع بها دفعا وثيدا ، فيجعلها حية متجددة ، متنامية كنمو اي ظاهرة من ظواهر حياة الامة ، كالأداب ، او الشرائع او غيرها ، فهي تسير في نوحها سيرا خفيا لا يشعر به المرء الا بعد انقضاء الزمن الطويل . وهي بهذا لا تتعد عن طبيعة التغير ، اذ تأخذ قيمة امثل في توثيقها وثبات قويمه عبر ذلك النشو الخفي ، متأثرة بعامل المحادثة مع الفكر والحضارة ، مما يزيد هانما واتساعا .

وقد تمثل هذا - كما رأينا - في اعمال الشدياق اللغوية ، فقد آمن الرجل بحتمية التطور ايماننا حدا به الى الشكوى مما في اللغة من بطء يشبه ان يكون موتا . وفي انها لا تخضع للحياة ولحيوية المتكلم ، وانما المتكلم هو الذي يجب ان يخضع لها " وبالجملة فان اللغة المرية تكاد تكون تعبدية فيجب الازعان لما ورد فيها من شذوذ واستثناء وجود واشتقاق فهي لا تعفو للمتكلم بل يجب على المتكلم ان يعفولها " (٢) .

لكن الشدياق - كما بينا في وضع الالفاظ - لم يقف عند حدود الشكوى هذه ، بل اجفل الى التنبه والمزمم الاكيد على وضع الالفاظ الجديدة لما رآه في اسفاره وهو ما يزيد على مائتي مصطلح جديد امرع بهم ابحاثه اللغوية .

(١) جرجي زيدان ، اللغة كائن حي ، ص ٢٣ .

(٢) الشدياق ، الجاسوس على القاموس ، ص ٢٦ .

وهو مانعه من بعده ابراهيم اليازجي و خليل اليازجي وبشاره زلزى وسواهم .
ومن ثم ، المعنا الى تصدى لغويينا في القرن الماضي لمشكلة الكلام المولد وقضية
الاخذ باستشهاد المولدين او الوقوف عنده . فبيننا رأي هو " جميعا حيث اتحدت
الهدف ، واتفقوا ان الاخذ عن المولدين شرعة لغوية ، تحتمها الحياة اللغوية
نفسها ، ايماناً منهم بناموس النشوء والارتقاء " .

كما اننا تناولنا في فضل عام ، ماضوه من آراء ونظريات ومباحث في المعجم
والنقد المعجمي . بعد ان تلمسوا اسباب القصور والضعف والخلل التي طفت على
معاجمنا القديمة ردحا من الزمن . وهو ما قام به المعلم بطرس البستاني في محيط
المحيط ومن بعده سعيد الشرتوني في اقرب الموارد ، حيث اعطيا للعربية مددا
من العطاء اللغوي ووفرة من الالفاظ المستحدثة .

ثانياً، الابداع الفردي :

كان لذلك الانقطاع الانتعالي بين اللغة العربية والانسان العربي ،
اجيالاً حيز في مجال التفكير اللغوي عند علمائنا في القرن الماضي . حيث رأوا
ان الامر هذا يسرف في الاجحاف بحق الانسان واللغة على السواء ، وهو ما حدا بهم
الى العمل حينئذ على تطوير اللغة ، والانتقال بها من طور الى طور احسن ، حتى
تؤدي وظيفتها على خير وجه ، وتقابل بالتالي حاجات الانسان الجديد في حياته
الجديدة .

ولقد سار هذا العمل في لقلب الاحيان ، مساراً يجمع بين الابحاث اللغوية
من جهة ، والدعوة الى اسلوب عصري ، رصين ، جزل ، من جهة ثانية . وهو امر قسم
اللغويين الى تيارين - كما مر معنا - تيار محافظ يرى في القديم - على علاته - كل
الخير وينبذ كل جديد . وتيار ثان فيه الكثير من اثار الفريق الاول ، لكنه فتح قلبه
لبذور الجديد فامرعت بين حناياه شيئاً فشيئاً ، حتى خطا باللغة والنقد اللغوي
خطوات جديدة بالدراسة وهو ما رأيناه في اعمال الشدياق وزيدان واسحق وصراف
وسواهم .

كما افردنا بحثنا خاصا للنظرية الثنائية ، وطريقها المتكامل في معجم
(سر الليال) عند احمد فارس الشدياق . وماكان لذلك من اثر واضح في العمل
المعجمي ، دفع به الى اوج النضوج والدقة .

ثم بيانا فضل ما قام به البستاني والشرتوني في معجميهما من منهج واضح
يسبر على قراء العربية مطالعة المعجم ، وقرب الى الازدهان مفهوم المادة بعد
ان اندرجت - عندهما - حسب تسلسلها المنطقي من بدو لذكر المادة ثم مشتقاتها .
ما عسى علمهم من الفوضى والخلل والاضطراب التي كانت تشوب المعاجم القديمة .

ثالثا - معيارية الاحكام والنقد الجزئي :

هذا ، ولم يكن النزوع الى التطور والتغير كل شي * في البحث اللغوي
- يوما - بل كثيرا ماكان يمتزج الخلق والابداع الاصيلين بعقلية المحافظة
التقليدية ، المتوارثة . حتى جازلنا القول : ان الاتجاعين سارا في مسرب
واحد ، فرضتهما البيئة الاتباعية وندرة الابحاث اللغوية في القرون السابقة من
جهة ، و ارادة الذات اللبانية في اثبات وجودها عن طريق الخلق والابداع
والتححرر من جهة اخرى .

ولعل هذا ما يفسر بعض التناقض الذي شاب قسما من الدراسات اللغوية
والنقدية ، التي كانت تجمع بين المعيارية او الاحتكام الى القديم والتأليف القائم على
على فكرة الجدة والابتكار .

وما دار بين الشدياق و ابراهيم اليازجي ومن تبعهم من مناظرات لغوية
حول كلمة فطحل ، لخير دليل على ما نذهب اليه . فهم يحتكمون الى كتب التراث
ويؤتمون بعلمائه من جهة ، ويدعون الى الاشتقاق والنحت ووضع المصطلح من جهة
ثانية .

وقد بينا في محاكمة الشدياق واليازجي ما بذله كل منهما من محاولات

الدفاع عن وجهة رأيه ومذهبه اللغوي ، هذا المذهب الذي اترغ النقد اللغوي من كل محتوى ، وحصره في اضيق مجالات التفكير ، مما حول البحث الى اقتناص الجزئيات اللغوية وقتلها في محاكمة عقيمة لم تتعد زوبعة في فئجان .

كما رأينا ، ان الشيخ ابراهيم اليازجي ، من اكثر هؤلاء مغالاة وتمسكا بالقديم والاحتكام اليه ، حتى بلغت به حدود التزمت حدا مسرفا فسعى يفلط القداما انفسهم مما جعل انصار القديم ، ممن ينهجون نهجه ، ينقلبون عليه ، وينبرون لمهاجمته ، كما فعل عبد الرحمن سلام في " دفع الازعاج " وشكيب ارسلان .

وقد ختمنا البحث برصد عام لنمو حركة التجديد التي ارتقت على يد الشدياق واديب اسحق ويعقوب صروف وسواهم

<u>اسم المؤلف</u>	<u>اسم الكتاب</u>
١٨ - ترزى ، حنسا / د /	- الاشتقاق . منشورات دار الكتب - بيروت
١٩ - حسان ، تمام / د /	- مناهج البحث فى اللغة .
٢٠ - حتى ، فيليب / د /	- لبنان فى التاريخ . ترجمة الدكتور انيس فريحة . نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين . بيروت - نيويورك ١٩٥٩ م .
٢١ - الحصرى ، ساطع	- آراء واحاديث فى اللغة والادب
	- آراء واحاديث فى الوطنية والقومية ط ٣ دار العلم للملايين ١٩٥٧
	- ماهى القومية . دار العلم للملايين - ط ٢ بيروت ١٩٦٢
	- البلاد الصربية والدولة العثمانية - معهد الدراسات العربية العالية - ١٩٥٧ .
٢٢ - الحاج ، كمال يوسف / د /	- فنى فلسفة اللغة . دار النهار للنشر - بيروت ١٩٦٧
٢٣ - خلف الله ، محمد / د /	- احمد فارس الشدياق ، وآراءه اللغوية والادبية . معهد الدراسات العربية العالية - ١٩٥٥ .
٢٤ - خورى ، رشيد	- الفكر العربى الحديث . دار المكشوف - ١٩٤٣ .
٢٥ - داغر ، يوسف	- مصادر الدراسة الادبية .
٢٦ - الدحداح ، رشيد	- احكام باب الاعراب عن لغة الاعراب . مطبعة بارساس وسافورنين - مرسيليا . ١٨٤٩ .
٢٧ - زيدان ، جرجى	- اللغة العربية كائن حى . دار الهلال بمصر (بدون تاريخ) تاريخ آداب اللغة العربية . الجزء الرابع ط جديدة دار الهلال ١٩٥٧ .
	- تراجم مشاهير الشرق - دار الهلال .
	- الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية . ط ٢ ١٩٠٤
	- وطبعة جديدة عن مؤسسة دار الهلال ١٩٦٩ .
٢٨ - الزركلى ، خير الدين	- الاعلام . ط ٢ جزء ٣ .
٢٩ - السمران ، محمود حسن / د /	- علم اللغة مقدمة للقارى العربى / دار المعارف بمصر ٦٢
٣٠ - سلام ، عبد الرحمن	- رد الاوهام . المطبعة الادبية - بيروت ١٣١٧ هـ
٣١ - سابا ، عيسى ميخائيل	- الشيخ ناصيف اليازجى . سلسلة نوابغ الفكر العربى / ٦ / دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .
	- الشيخ ابراهيم اليازجى . سلسلة النوايح / ١٤ / دار المعارف بمصر . ١٩٥٥ .
٣٢ - شيخو ، لويس	- الاداب العربية فى القرن التاسع عشر . المطبعة الكاثوليكية .

- | <u>اسم المؤلف</u> | <u>اسم الكتاب</u> |
|--------------------------|---|
| ٣٣ - شبلي ، انطون | - الشدياق واليازجي • مناقشة علمية وأدبية • مطبعة جونية (المرسلين اللبنانيين) سنة ١٩٥٠ |
| ٣٤ - شقير ، شاکر | - لسان غصن لبنان في انتقاد العربية العصرية • طبعة في المطبعة العثمانية • ١٨٩١ • |
| ٣٥ - الشرتوني ، سعيد | - اساليب العرب في صناعة الانشاء • مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٨٩٣ - ١٨٩٤ • |
| ٣٦ - الشدياق ، أحمد فارس | - معجم " اقرب الموارد الى فصح العربية والشوارد " الجزء الاول والثاني طبعا على مطابع المرسلين اليسوعيين (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٨٨٦ • والذيل سنة ١٨٩٣ • |
| | - السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب • المطبعة الكلية - بيروت سنة ١٨٧٤ • |
| | - معجم سر الليال في القلب والابدال • مطبعة الاستانة ١٢٨٤ هـ • ١٨٨٤ م • |
| | - الجاسوس على القاموس • م الجواب ، الاستانة ١٢٩٩ هـ |
| | - الساقى على الساقى • دار مكتبة الحياة - بيروت • طبعة جديدة قدم لها الشيخ نسيب وهيبه الخازن ١٩٦٦ • |
| | - كشف المخبا عن نثون اوربا ، والواسطة في معرفة احوال الطلبة • |
| | - اللقيف في كل معنى طريف • مطبعة الجواب ط ٢ القسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ • |
| | - منتخبات الجواب • مطبعة الجواب • |
| ٣٧ - الشراصي ، احمد | - شكيب ارسلان ، دعاية العربية والاسلام • سلسلة اعلام العرب / ٢١ / المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٣ • |
| ٣٨ - صوايا ، ميخائيل | - المعلم بطرس البستاني • |
| | - ابراهيم اليازجي • منشورات دار الشرق الجديد / اعلام الفكر العربي / ١١ / ط ١ سنة ١٩٦٠ |
| | - احمد فارس الشدياق • نفس السلسلة رقم ١٩ / ط ١ • ١٩٦٢ • |
| ٣٩ - ضومط ، جبر | - الخواطر الحسان في المعاني والبيان ط ١ بمصر سنة ١٨٩٦ و ط ٢ مطبعة الوفاء بيروت ١٩٣٠ • |
| | - فلسفة البلاغسة • المطبعة العثمانية • بمبدا / لبنان • ١٨٩٨ • |

اسم الكتاب

اسم المؤلف

- فلسفة اللغة العربية وتطورها • مطبعة المقتطف والمقطم
بمصر سنة ١٩٢٩ •
- البلاغة تطور وتاريخ • دار المعارف بمصر ١٩٦٥ •
- اللسان والانسان من دخل الى معرفة اللغة • دار المعارف
بمصر ١٩٧١ •
- البحث اللغوي عند الهنود واثره على اللغويين العرب •
دار الثقافة بيروت سنة ١٩٧٢ •
- الاستشراق • دار المعارف بمصر ١٩٦٥ •
- صقر لبنان • منشورات دار المكشوف ط١ بيروت
١٩٥٠ •
- رواد النهضة الحديثة • دار الثقافة - بيروت ١٩٦٦ •
- جدد وقدماء • دار الثقافة - بيروت - ١٩٥٤ •
- المقدمة اللغوية • (تهذيب المقدمة) قدم لها ونسق
عليها الدكتور أسعد علي • منشورات دار النعمان
بيروت •
- المقدم البديع في فن البديع • المطبعة العمومية الكاثوليكية
بيروت سنة ١٨٨١ •
- اشعات مجتمعات في اللغة والادب • دار المعارف بمصر
- سلوان الشجى في الرد على ابراهيم اليازجى •
مطبعة الجوائب - الاسنان سنة ١٢٨٩ هـ •
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية • ط٢ ١٩٥٧ •
- من كتاب المين • تحقيق الدكتور عبد الله درويش
م العاني - بغداد سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ •
- لبنان الشاعر • دار الحضارة • ط٢ ١٩٦٤ •
- فقه اللغة • دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية •
مطبعة جامعة دمشق (بدون تاريخ) •
- الحركة الفكرية والادبية في جبل عامل • دار الاندلس
ط١ ١٩٦٣ •
- الاشتقاق والتعريب • ط٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م •
- الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث •
- تطور الاساليب النثرية في الادب العربي • دار العلم للملايين
١٩٦٥ •
- المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٥١ •
- ٤٠ - ضيف وشوقى / د /
- ٤١ - ظاظا ، حسن / د /
- ٤٢ - عمر ، أحمد مختار / د /
- ٤٣ - عفيق ، نجيب
- ٤٤ - عبود ، مارون
- ٤٥ - المازلي ، عبد الله
- ٤٦ - عواد ، بولس
- ٤٧ - المقاد ، عباس محمود
- ٤٨ - عبد السيد ، مخايل
- ٤٩ - فروخ ، عمر / د /
مع مصطفى خالدى
- ٥٠ - الفراهيدى ، الخليل أحمد
- ٥١ - لبكى ، صلاح
- ٥٢ - المبارك ، محمد / د /
- ٥٣ - مكى ، محمد كاظم
- ٥٤ - المغربى ، عبد القادر بن مصطفى
- ٥٥ - المقدسى ، أنيس / د /
- ٥٦ - الكتاب المقدس

- | <u>اسم المؤلف</u> | <u>اسم الكتاب</u> |
|---|--|
| ٥٧ - مرتضى السيد محمد | - تاج العروس • دار ليبيا للنشر والتوزيع ط اوفست
بنغازى • من الطبعة الاولى (المطبعة الخيرية
لنشأة بجمالية مصر سنة ١٣٠٦ هـ • |
| ٥٨ - مجد الدين الفيوز ابادى | - القاموس المحيسط • ط ٢ مطبعة مصطفى البابى
الحلبى واولاده • سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م • |
| ٥٩ - نصار محسن / د / | - الممجم العربى ونشأته وتطوره • جزآن • دار مصر
للطباعة • ط ٢ / ١٩٦٨ • |
| ٦٠ - نويهض معجاج | - برتوكولات حكماء صهيون (ترجمة) المجلد الثانى
• ١٩٦٧ • |
| ٦١ - النحاس وجبران | - تنبيهات اليازجى على محيط البستانى • ١٩٣٢ • |
| ٦٢ - وافي على عبد الواحد / د / | - فقه اللغة • دار نهضة مصر للطبع والنشر • القاهرة
ط ٦ / |
| ٦٣ - ياغى هاشم / د / | - النقد الادبى الحديث فى لبنان (جزآن) دار المعارف
بمصر • ١٩٦٩ • |
| ٦٤ - اليازجى عناصيف
مع شروحات ابنه (ابراهيم) | - الطراز المعلم • المطبعة المخلصية سنة ١٨٦٨ •
- عقد الجمان مع ملحقة دائرة العروض • وقد جمعت فى
كتاب مجموع الادب فى فنون الادب •
المطبعة الاميركانية ١٩٠٨ و ١٩٣٢ و ١٩٤٨ (بيروت)
- مجمع البحرين • منشورات مكتبة الطلاب - بيروت
المطبعة التجارية •
- اللباب فى اصول الاعراب • طبع فى بيروت سنة ١٨٨٩ •
- مطالع السعد لمطالع الجوهر الفرد • المطبعة الوطنية
١٨٦٥ • ط ٤ مطبعة صبرا • بيروت - سنة ١٩٠٨ •
- فصل الخطاب فى اصول لغة الاعراب • بيروت سنة ١٨٨٩ •
- الجمانة فى شرح الخزانة ومختصره بقلم ابنه ابراهيم •
المطبعة الادبية - بيروت - سنة ١٨٨٩ • |

السنة	الرقم	البحث	اسم المجلة
١٩٥٦	٤٠م ٢ج	المعجم العربي ، عدنان الخطيب	١ - مجلة المجمع العلمي بدمشق
١٩٦٥	٤٠م	الالفاظ الشدياقية لظافر القاسم	
	٤١/٢٣ و ٢٢ و ٢١	اخطاء الشرتوني لاحمد رضا	
	٤٨ و ٤٧ و ٤٦		
	٧:٦	ابراهيم اليازجي	٢ - المقتطف
	١٨٨٢/١٣٢/١٥	عن يوسف الاسير	
	١٦٢٥/٣١م	عن الشدياق	
١٩١٢	٤١	الشرتوني لرشيد عطيه	٣ - المشرف
	٢م	الشرتوني	
	٢٤م	"	
	١٢م	عن الاسير	
	١٧م	" اليازجي (ابراهيم)	
	٤٤٩:٦	عن ابراهيم اليازجي	٤ - الضياء
	٦٦:١		
	٢٥٧:١	عن لغة الجرائد	
	١٩٣:٧		
	٦٩٦:٣		
		الاعداد : ١١٥ - ١٣٧ - ١٣٩ - ١٣٢ .	٥ - المرسي
		عدد خاص عن ابراهيم اليازجي السنة ٣٣/١٩٤٧ ج ٦ .	٦ - المسرة
	١٩٢٤/١٠	ناصر اليازجي والشدياق لهنري بيريس	٧ - المكشوف
	٤٢٧-٤٢٩	" " (عدد خاص)	
١٩٤٦	٢/١٥	الشدياق (عدد خاص)	
١٩٣٨	١٧٠	عدد ٥٦٤ ك ٢ سنة ١٨٧١	٨ - الجوائب
		والاعداد ك ٢ سنة ١٨٧٢ وما بعدها	
		ومنتخبات الجوائب ج ١ و ٢ ط ١ . مطبعة الجوائب سنة ٨٤	

فهرس المحتويات

<u>الصفحة</u>	<u>الفصل</u>
	<u>الباب الأول</u>
١١ - ١	الفصل الاول : الحياة السياسية في القرن التاسع عشر في لبنان
٢٠ - ١٢	" الثاني : " الاقتصادية والاجتماعية
٢٨ - ٢١	" الثالث : " الثقافية
	<u>الباب الثاني</u>
٤٩ - ٢٩	الفصل الاول : المدارس وازد واجية اللغة في القرن التاسع عشر في لبنان
٥٥ - ٥٠	" الثاني : اللنة بين ازد واجيات التركية والسريانية والفرنسيقوالانكليزية
٦٨ - ٥٦	" الثالث : حركة الاستشراق واثرها في اللغة من خلال لغويي القرن الماضي
٨٨ - ٦٩	" الرابع : التبشير ودور الرسائل في لبنان في القرن الماخر
	<u>الباب الثالث :</u>
١١٨ - ٨٩	الفصل الاول : اتجاهات البحث اللغوي في لبنان في القرن التاسع عشر
١٣٣ - ١١٩	" الثاني : الفترة المحجمية عند لغويي القرن التاسع عشر في لبنان
١٥٨ - ١٣٤	" الثالث : معاجم القرن التاسع عشر في لبنان
١٨١ - ١٥٩	" الرابع : التصريب ووضح الالفبائية في القرن الماضي عند اللبنايين
٢١٦ - ١٨٢	" الخامس : النقد المعجمي عند لغويي القرن التاسع عشر في لبنان
٢٤٥ - ٢١٧	" السادس : الدرس البلاغي في القرن التاسع عشر في لبنان
٢٦٢ - ٢٤٦	" السابع : مسائل الصرف والنحو في القرن الماضي في لبنان
٢٩٦ - ٢٦٢	" الثامن : النقد اللغوي في القرن التاسع عشر في لبنان
٣٠١ - ٢٩٧	فهرس المصادر والمراجع
٣٠٢	فهرس الصحف والمجلات
١٥٦	فهرس الخرائط